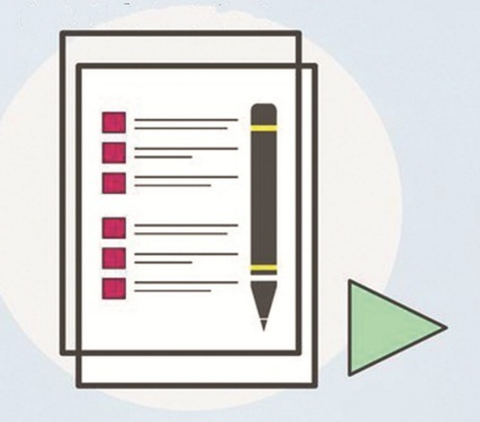
العصر الجديد للإعلام



JEAN BURGESS & AXEL BRUNS



العصر الجديد للإعلام

تأليف

John Hartley, Jean Burgess, and Axel Bruns

ترجمة

هدى عمر السباعي

نرمين عادل عبد الرحمن

الناشر

المجموعة العربية للتدريب والنشر



2018

حقوق الطبعة الإنجليزية

WILEY-BLACKWELL
A John Wiley & Sons, Ltd., Publication

English Edition Copyrights

A Companion to New Media Dynamics
This edition first published 2013
©2013 Blackwell Publishing Ltd.

حقوق الطبعة العربية

عنوان الكتاب: العصر الجديد للإعلام

تأليف: John Hartley, Jean Burgess, and Axel Bruns

ترجمة: هدي عمر السباعي، نرمين عادل عبدالرحمن

الطبعة الأولى

سنة النشر: 2018

الناشر: المجموعة العربية للتدريب والنشر
8 أ شارع أحمد فخري - مدينة نصر - القاهرة - مصر



تليفون: (00202) 23490242
فاكس: (00202) 23490419
الموقع الإلكتروني www.arabgroup.net.eg
E-mail: info@arabgroup.net.eg
E-mail: elarabgroup@yahoo.com

هارتلي، جون
العصر الجديد للإعلام/ تأليف: John Hartley, Jean Burgess, and Axel Bruns؛ ترجمة: هدي عمر السباعي، نرمين عادل عبدالرحمن
القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2018 - ط1
270 ص: 24x17 سم.
الترقيم الدولي: 978-977-722-121-4
1 - الإعلام
أ - بروجيس جين (مؤلف مشارك)
ب - برونز، أكسيل (مؤلف مشارك)
ج - السباعي، هدى عمر (مترجم)
د - عبدالرحمن، نرمين عادل (مترجم مشارك) هـ - العنوان
ديوي: 001,5
رقم الإيداع: 2018/1819

تنويه هام:

إن مادة هذا الكتاب والأفكار المطروحة به تعبر فقط عن رأي المؤلف - ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر الذي لا يتحمل أي مسئولية قانونية فيما يخص محتوى الكتاب أو عدم وفائه باحتياجات القارئ أو أي نتائج مترتبة على قراءة أو استخدام هذا الكتاب.



المحتويات

شكر وتقدير

لم يكن لهذا المشروع أن يرى النور لولا الجهود التي بذلها كثير من الأشخاص:

- **جيني فارجنولي** *Jayne Fargnoli*- وفريق عملها - بشركة ويلي- بلاكويل للنشر التي أعدت الكتاب ومنحتنا الثقة لإنتاج كتاب مختلف إلى حدٍ طفيف، ومن ثم التأكيد على أهمية عنصر الديناميكية بـ"نشر" الدراسات الإعلامية الجديدة.
- **ساندتنانيكي هول** *Nicki Hall*، وساعدت مؤلفي الكتاب، حيث مدت لنا يد العون واستجابت لنداء الواجب بصورة مبهجة ومشرفة تجاوزت بها كافة النواحي العملية. بالرغم من ذلك، فقد تحركنا "وفقًا للميزانية والوقت المحدد"، كما يقولون، بفضل مساعدتها وحرفيتها الشديدة. ولطالما كانت نيكي *Nicki* زميلة رائعة بجامعة كوينز لاند للتكنولوجيا *QUT* كما عملت كالمعتاد على مشروعٍ معقد يضم الكثير من الشخصيات بسعادةٍ بالغة.
- **مجلس البحوث الوطنيّ**، حيث أمدنا بالدعم الماديّ الذي منحنا الوقت المطلوب، والمساعدة البحثية، والدعم المؤسسي من خلال عدة مخططات، منها: ديسكفري بروجكت *DP0879596*: "التليفزيون الاسترالي والذاكرة العامة: أساليب جديدة لتناول التاريخ الثقافي للإعلام بمشروع بناء الأمة" (هارتلي)؛ ديسكفري بروجيكت *DP1094281*: "الإعلام الجديد والاتصالات العامة: تخطيط المحتوى الاسترالي الذي ينشئه المستخدم بالشبكات الاجتماعية على الإنترنت" (برونز ويبرجس")؛ بالإضافة إلى مركز ايه آر سي *ARC* لجودة الصناعات الإبداعية والابتكارية *SR0590002* (*CCI*) (هارتلي، يبرجس، برونز).

وأخيرًا، نتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى زملائنا (البالغ عددهم 45) الرائعين المتألقين والمتميزين عالميًا الذين شاركوا معنا في تأليف هذا الكتاب. إننا نتوجه بالشكر والعرفان لكم جميعًا. يا له من كتابٍ شيق ألفتموه!، وهم كالتالي:

أندريز ألبريتشس لوند Anders Albrechtslund:

أستاذ مشارك بقسم الجماليات والاتصالات بجامعة آرهوس بالدنمارك. دار بحثه الرئيسي في نطاق الدراسات الرقابية، فلسفة التكنولوجيا، الإعلام الجديد والأخلاقيات.

بن أسلينجر Ben Aslinger:

أستاذ مساعد بقسم الثقافة والإعلام - جامعة بينتلي - الولايات المتحدة الأمريكية.
يتركز بحثه على ترخيص الموسيقى الشعبية بنصوص ألعاب الفيديو والتليفزيون بجانب عولمة وحدات التحكم بألعاب الفيديو.

فيونا أتوود Feona Attwood:

أستاذة بقسم الإعلام - جامعة ميديلسكس - المملكة المتحدة.
يتركز بحثها عن الدور الذي يلعبه الجنس بالثقافة المعاصرة بجانب الاهتمام بشكلٍ خاص على "الإباحية" والجنسانية والتكنولوجيا الجديدة، والهوية والجسد، ووسائل الإعلام المثيرة للجدل.

كريستوف بيبير ChristophBieber:

أستاذ العلوم السياسية - جامعة دويسبورغ- إيسن - ألمانيا.
حيث يدور مجال بحثه الرئيسي عن الأخلاقيات بالمجتمع والإدارة السياسية.

جرانت بلانك Grant Blank:

زميل أبحاث المسح بمعهد أكسفورد للإنترنت، بجامعة أكسفورد، بالمملكة المتحدة.
اهتم على وجه الخصوص بالطرق الكيفية والإحصائية، والأثر السياسي والاجتماعي للحاسب والإنترنت بالإضافة إلى علم الاجتماع الثقافيّ.

إريك بورا Erik Borra:

مرشح لمنصب دكتور للفلسفة – جامعة أمستردام – هولندا.
يرتكز بحثه عن إعادة التفكير في شبكة الويب كونها تمثل مصدرًا للبيانات عن العلوم الثقافية والاجتماعية.

دانيل برادي Danielle Brady:

محاضرة بقسم الاتصال الجماهيري والثقافي والإعلامي – جامعة إديث كوان – بيرث استراليا. تركز بحثها على الدراسة الاجتماعية للعلوم والتكنولوجيا.

أكسيل برونز Axel Bruns:

أستاذ مشارك – جامعة كوينز لاند للتكنولوجيا – استراليا.
تركز أعماله على تطور منهجيات البحث الجديد بالنسبة لدراسة وسائل الاتصالات العامة بمجالات الإعلام الاجتماعيّ.

جين برجس Jean Burgess:

نائبة مدير مركز ايه آر سي لجودة الصناعات الإبداعية والابتكارات –جامعة كوينز لاند للتكنولوجيا – استراليا يركز بحثها على الابتكارات المنهجية في سياق تغيير البيئة الإعلامية، ولا سيما "التحول الحسابيّ" بدراسة الإعلام والاتصالات.

استيفن كولمان Steven Coleman:

أستاذ الاتصالات السياسية – جامعة ليدز – المملكة المتحدة.
تركز على بحثٍ بعنوان (الطريق إلى التصويت)، الذي يستكشف الأبعاد الجمالية الفعالة للمشاركة الديمقراطية.

كيت كروفورد Kate Crawford:

باحثة بمركز أبحاث مايكروسوفت – جامعة كامبردج – الولايات المتحدة الأمريكية.
أجرت مجموعة من الدراسات واسعة النطاق عن استخدام الأجهزة المتنقلة ومواقع التواصل الاجتماعي حول العالم.

سين كوبت Sean Cubitt:

أستاذ قسم السينما والتليفزيون - جامعة سميثز - لندن- المملكة المتحدة.

ويدور بحثه حول تاريخ وفلسفة التكنولوجيا المرئية، وعن تاريخ الفن الإعلامي والنقد البيئي والوساطة.

رنجانا داس Ranjana Das:

محاضرة بقسم الإعلام والاتصالات-جامعة ليستر-المملكة المتحدة

وتركز أبحاثها على الجماهير الإعلامية والإعلام والأسرة، وتحول الجماهير، والأطفال والإنترنت.

ويليام هـ. دوتون William H. Dutton:

أستاذ دراسات الإنترنت - جامعة أكسفورد، - المملكة المتحدة.

يعد أحد مؤسسي معهد أكسفورد للإنترنت.

إيميلي إيستون Emily Easton:

طالبة دكتوراه بقسم الاتصالات - جامعة إلينوي- الولايات المتحدة الأمريكية.

تركز بحثها على نقاط التقاطع بين الأساس الثقافي والاستهلاك الثقافي والتكنولوجيا.

تشريان جورج Cherian George:

أستاذ مشارك - جامعة نانيانج التكنولوجية - سنغافورة.

يتركز بحثه على الصحافة والسياسة بجانب وسائل الإعلام البديلة على الإنترنت.

جيراد جوجين GeradGoggin:

أستاذ الإعلام والاتصالات - جامعة سيدني - استراليا.

نشرت مؤلفاتٍ عن الديناميكية الاجتماعية والثقافية للإعلام الجديد.

ليليا جرينLelia Green:

أستاذة الاتصالات - جامعة إديث كوان - استراليا

باحثة مساعدة بالمشروع الأوربي للأطفال بالإنترنت.

تارليتون جليسبي Tarleton Gillespie:

أستاذ مشارك - قسم الاتصالات - جامعة كورنيل - الولايات المتحدة الأمريكية.

يتناول بحثه الطرق التي من شأنها توجيه المسار العام من خلال الترتيبات القانونية والسياسة والاقتصادية.

ألكسندر هالافيس Alexander Halavais:

أستاذ مشارك لعلم الاجتماع - جامعة أريزونا - الولايات المتحدة الأمريكية.

يتطرق بحثه إلى النظر بالتساؤلات الخاصة بالتغير الاجتماعي ووسائل التواصل الاجتماعي.

جون هارتلي John Hartley:

أستاذ العلوم الثقافية - جامعة كورتن- استراليا.

شمل بحثه الدراسات الثقافية والإعلامية ووسائل الاتصالات، بالإضافة إلى الصناعات الإبداعية والعلوم الثقافية.

بيرني هوجانBernie Hogan:

زميل البحث بمعهد أكسفورد للإنترنت - جامعة أكسفورد - المملكة المتحدة

يركز بحثه على العلاقة بين الإشارات الاجتماعية الموظفة من الناحية التكنولوجية، مثل (قوائم الأصدقاء، والأسماء الحقيقية، وسجلات العناوين، وغيرها) والهوية الاجتماعية وهيكل شبكة الإنترنت.

إندريك إبراسIndrekIbrus:

باحث بالمعهد الاستوني للعلوم الإنسانية - جامعة تالين- المملكة المتحدة

تركز بحثه على ممارسات إنتاج المحتوى الإعلامي وتطور القصص الإعلامي وأشكال الويب واسعة الانتشار.

جيفري ب. جونز Jeffrey P. Jones:

مدير معهد العلوم الإنسانية - جامعة أولد دومينيون.

تشارلز ليد بيتر Charles Leadbeater:

مؤلف مستقل يقيم بمدينة لندن - المملكة المتحدة.

ألف الكثير من الكتب عن نشأة شبكة الويب والصناعات الثقافية.

أندرو ليه Andrew Lih:

باحث بمجال الإعلام الجديد، وصحفي تكنولوجيّ، وأستاذ مشارك للاتصالات والصحافة،- جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث قام بتوجيه برنامج الإعلام الجديد.

سونيا ليفينجستونSonia Livingstone:

أستاذة علم النفس الاجتماعي - بمدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية - المملكة المتحدة.

تناول بحثها الحديث عن الأطفال، والشباب،والإنترنت، والإعلام والكتابة الرقمية، والميدان المتوسط العام، والاستقبال الجماهيري لمختلف أنواع التليفزيون.

أليس أ. مارويكAlice E. Marwick:

أستاذة مساعدة- جامعة فوردهام - الولايات المتحدة الأمريكية - قسم الاتصالات والدراسات الإعلامية

يتطلع عملها إلى الهوية وثقافة المستهلك عبر شبكة الإنترنت من منظور الخصوصية والاستهلاك والشهرة.

ويلارد مكارتي Willard McCarty:

أستاذ حوسبة العلوم الإنسانية بكلية الملك - المملكة المتحدة

مؤلف كتاب (حوسبة العلوم الإنسانية)، وهي أشمل دراسة نظرية في مجاله.

زيزي باباكاريسي ZiziPapacharissi:

أستاذة ورئيسة قسم الاتصالات - جامعة إلينوي - شيكاغو - الولايات المتحدة الأمريكية

تركز عملها على العواقب السياسية والاجتماعية لوسائل الإعلام عبر الإنترنت.

سابن نيدرر "Sabine Niederer:

مديرةمركز البحوث التطبيقية بمدرسة التصميمات والاتصالات – جامعة أمستردام – هولندا .

درست تقنية المحتوى على شبكة الإنترنت.

جوسي باريكا JussiParikka:

محاضر بمدرسة وينشستر للفنون – جامعة ساوثهامبتون -المملكة المتحدة.

مارك بيس Mark Pesce:

أستاذ بجامعة سيدني للثقافة الرقمية – استراليا

مستكشف حدود الإعلام والتكنولوجيا، حيث جمع بين الواقع الافتراضي وشبكة الويب العالمية.

توماس بيتيت Thomas Pettitt:

أستاذ مشارك بالدراسات عن النهضة والقرون الوسطى – معهد الثقافة– جامعة الدنمارك الجنوبية.

قام بتدريس عدد من الكورسات التعليمية عن المسرح والأدب الانجليزي، ويسعى بحثه إلى دمج الأعراف الشعبية الدارجة (الحكايات والأساطير، الأغاني والقصص الشعبية، الأعراف والحفلات الترفيهية) إلى تاريخٍ يجمع بين الثقافات الإنجليزية والأوروبية اللفظية والفعلية.

جون كويجن John Quiggin:

باحث اقتصادي – – جامعة كوينز لاند – استراليا.

معلق على السياسة الاقتصادية باستراليا،ويعد من أوائل الأكاديميين الذين قاموا بالنشر على موقع إلكتروني باستراليا.

بينلوب روبنسون Penelope Robinson:

مسئولة البحث – جامعة سيدني – استراليا.

تطرق بحثها إلى الدور الذي تلعبه الثقافة الشعبية في تمييز الجيل، أيضاً ركز بحثها على التحول الاجتماعي وتغير الأجيال، وثقافات الإعلام الجديد.

ريتشارد روجرز Richard Rogers:

رئيس قسم الثقافة الرقمية والإعلام الجديد - جامعة أمستردام- هولندا
مدير مجموعة مسئولة عن أداة تتبع الارتباطات والأدوات السياسية-المعلوماتية الأخرى.

توني د. ثامبثون Tony D. Sampson:

كاتب وباحث أكاديمي وحصل على الدكتوراه من قسم الاجتماع - جامعة إسيكس - لندن ألقى كثير من المحاضرات عن وسائل التكنولوجيا الجديدة والخبرات الفاعلة والتصميمات التفاعلية.

جان هنريك سكمديت Jan-Hinrik Schmidt:

باحث رفيع المستوى بمجال الإعلام التفاعليّ الرقميّ والاتصالات السياسية بمعهد هانزبريدو - ألمانيا.
وقد ركز بحثه على الخصائص والتطبيقات والمردود الاجتماعي للاتصالات التي تعتمد على شبكة الإنترنت وشبكة الويب الاجتماعية.

ثيرسا م. سينفت Theresa M. Senft:

محاضرة - بجامعة إيست - لندن
تطرقت إلى موضوع "الجنسانية والفضاء". وأظهرت بعض أفكارها بعدد من الميادين الإعلامية.

بيلي سنيكرز Pelle Snickers:

رئيس مركز البحوث - بالمكتبة القومية -السويد.
نشر عدد من الكتب بمجال التاريخ الإعلامي والإعلام الرقمي.

بيتر سويرسكي Peter Swirski:

أستاذ الثقافة والأدب الأمريكي - جامعة ميسوري-الولايات المتحدة الأمريكية.

يتطرق بحثه إلى الأدب والدراسات الأمريكية، كما تناول الحديث عن التليفزيون الصينيّ والروسيّ والأوروبيّ بجانب خدمة البث العالمية لشبكة بي بي سي BBC.

إيستر ويلتفريد Esther Weltevrede:

مرشحة للدكتوراه بمبادرة الطرق الرقمية وبرنامج الإعلام الجديد بقسم الدراسات الإعلامية – جامعة أمستردام – هولندا.

يتركز بحثها حول دراسات الويب القومية والمنصات والسياسة المحركة.

باتريك ويكستروم PatrikWikstrom:

أستاذ بجامعة نورث إيسترن – الولايات المتحدة الأمريكية

يقوم بتدريس برنامج عن صناعة الموسيقى، ويتركز عمله في الأساس على التعلم والإبداع بالمؤسسات الإعلامية والموسيقية.

باسيل زيمرمان Basile Zimmermann:

أستاذ مساعد بمجال الدراسات الصينية – جامعة جنيف – سويسرا

تدور مشاريعه البحثية حول الموسيقى الإلكترونية بمدينة "بكين" وتصميم مواقع التواصل الاجتماعي الصينية، وإعلانات الإنترنت في الصين، ومنهجية الدراسات الصينية.

العصر الجديد للإعلام

طريقة جديدة لدراسة "الإعلام الجديد"

جون هارتلي "John Hartley" و جين بورجس "Jean Burgess"
و أكسيل برونز "Axel Bruns"

ما الجديد ...؟

يُستخدم مصطلح "الإعلام الجديد" منذ عشرات السنين حتى الآن، وقد نلتمس العذر لكل من يتساءل عن مدى استخدام المنصات والأشكال الرقمية بوصفها "جديدة"، أو حتى مدي مساهمة دراسة الإعلام الجديد في المعرفة. هل من الممكن أن نقول أشياء جديدة عن الإعلام الجديد؟ نعم، نعتقد ذلك. لا يوضح هذا "المرفق" تنوع ومزايا وأهمية الإعلام الجديد فحسب، بل يفترض أيضًا طريقة مميزة لدراسة الموضوع ألا وهي ما تُسمى بـ "ديناميكية الإعلام الجديد". وفي هذا الإطار، فإن الاهتمام بالإعلام الجديد لا ينصب على التجديد بحد ذاته ولكن على "الديناميكية". فالرأسمالية والتكنولوجيا والشبكات الاجتماعية والإعلامية كلها مفاهيم تتغير وتتطور أحيانًا لبعث السرور في نفوسنا، وأحيانًا أخرى لبث الخوف في نفوسنا. والآن، تعتبر هذه العملية المستمرة للانقطاع والتجديد والإحلال النهائي (حتى لو كان جزئيًا في الكثير من الأحيان) إحدى الخبرات الأساسية للبشرية.

وتضم هذه السلسلة ذات الحد القاطع مجموعة ممتازة من أبرز الباحثين بالعالم، والرواد على المستوى الثقافي، والعلماء الناشئين لدراسة "ديناميكية" الإعلام الجديد متعددة الاختصاصات بالكامل من الناحيتين التاريخية والنقدية.

... عن الإعلام الجديد:

يظن الجميع أنهم على دراية كاملة بمعنى مصطلح "الإعلام الجديد"، ولكن يظل هذا المصطلح متغيرًا ومشروطًا من الناحية العملية. حيث تصف كلمة "جديد" شيئًا حقيقيًا منذ أن كانت الاختراعات تظهر بصفة مستمرة،إلا أنها تظل دائمًا غير كاملة بل ومثيرة أيضًا للجدل، مع الإعلام المختلف المتضمَن والمستثنَى من أي استخدام معين ومع مرور الوقت.

وبالرغم من ذلك، يوجد هذا المصطلح باللغة العامية والأعمال الأدبية، ويرجع ذلك على الأقل بسبب ظهور منصات وأشكال جديدة خلال فترتي التسعينات والألفينيات التي أثرت بدورها على الاتجاه السائد للإعلام اليوم، ومن ثم أثرت على مجال البحث والتعليم أيضًا. والجدير بالذكر أن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة (مثل: الإذاعة والتليفزيون والسينما) وإصدارات النشر (مثل: الصحف والمجلات والكتب) قد أصبحت صناعات مترابطة وهدفًا للدراسة بالنسبة لجيل أو أكثر. علاوةً على ذلك، فإن ظهور الإنترنت والشبكة العنكبوتية العالمية ذات المنصات الرقمية والمرتبطة بالشبكة والأشكال الإعلامية التي نقلت "الإعلام" من معناه المألوف إلى الأجهزة المتنقلة و"غيرت" مفهوم الناس عن "الإعلام". وما يُعتبر "جديدًا" في هذا السياق هو هذا الشكل الإعلامي الذي انتقل جذريًا من النموذج الإذاعي أو نموذج الإعلام الجماهيري.

والآن، يتضح لنا أن مصطلح "الإعلام" هو بالفعل مصطلحًا مزعجًا شأنه في ذلك شأن المصطلح "جديد" حيث إن بعض الابتكارات الأكثر إزعاجًا لا تشبه "الإعلام" على الإطلاق مقارنةً بالابتكارات السابقة. وعلاوةً على ذلك، بالرغم من استقرار الوضع حاليًا إلا أن الأمر ما زال غامضًا عما إذا كان من الممكن إطلاق مصطلح "وسيط" على شكل أو منصة أو تطبيق معين. إنها ليست مشكلة تعريفية فحسب ولكنها أيضًا سمة من

سمات البيئة التجارية المنظمة،حيث تحقق بعض المشاريع المهمَلة وغير المدروسة (كما يبدو) نطاقًا عالميًا على نحو مفاجئ كما تؤثر سلبًا على إمكانية نجاح صناع القرار الحاليين من بينهم الشركات الدولية وكافة القطاعات الإعلامية. وبعبارة أخرى، لا يمكن النظر لمصطلح "الإعلام الجديد" باعتباره جزءًا من عملية تدريجية للتطور المتزايد أو كميزة تنافسية ضمن المنظمات والأشكال الثابتة. فضلاً عن ذلك، فإنهم يفسرون عملية "التدمير المبتكر" للعالم شومبيتر بالشركات المستقلة كما يوضحون خطط الأعمال المجربة والمعتمدة (شومبيتر 1942) التي استمر العمل بها بالنموذج "الصناعي" المتوارث لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة، ووسائل التواصل الجماهيري، والثقافة الشعبية.

ويلي ذلك أمثلة عن "الإعلام الجديد" الذي طالما عكس تاريخ تشكيل هذه القائمة، ومن ثم يجب النظر بعين الاعتبار إلى التغييرات التاريخية - ليس فقط ما يتعلق بتعاقب تأسيس، واعتماد، واستبقاء، والانحطاط النهائي للإعلام الجديد بحد ذاته، ولكن أيضًا فيما يتعلق بالمجال العلمي الذي ينبغي أن يكون ديناميكيًا ومتغيرًا شأنه في ذلك شأن غايته التحليلية. وبالتالي، فإن "الدارسات الإعلامية الجديدة" تتطلب إعادة تشكيل الطرق التخصصية والتعاون بين القطاعات التخصصية الجديدة. ومن الضروري أيضًا دراسة عملية التجديد المخل بالنظام ولا سيما تعرف السمات الهدامة لكل شكل من أشكال الإعلام الجديد وذلك لإضافة الديناميكية كجزء من الموضوع قيد الدراسة. وبالتالي، يندرج هذا المصطلح ضمن هذا العنوان.

ويمكن النظر لـ "الديناميكية" باعتبارها "داخلية" و"خارجية"؛ داخلية، لأنها تشير إلى التغير السريع الذي يطرأ على وسيط معين جديد مع مرور الوقت، وخارجية، لأنها تتناول العلاقات المثيرة ضمن مجال وسائل الإعلام المختلفة - مثل: العلاقة بين البث التلفزيوني أو الصحف المطبوعة من ناحية، ومقاطع الفيديو المباشرة مثل: مقاطع اليوتيوب وجميع المدونات الموجودة على شبكة الإنترنت من ناحية أخرى. وإذا افترضنا وجود عدد من العلاقات المزعجة غالبًا بمختلف المنصات، فإن التحليل الهيكلي للمنصة الواحدة المتعارف عليه بالدراسات الإعلامية يصبح غير كافٍ لتفسير ما يحدث بالإعلام الجديد.

وعند زيادة التركيز على "ديناميكية" الإعلام الجديد، فإننا نتمكن بالأحرى من تحديد المساهمة المتزايدة بالدراسات الإعلامية الجديدة التي توفرها المجالات التي تتميز بتاريخ حافل بدراسة العمليات والأنظمة الديناميكية من المنظور التجريبي والنظري. إن تيار الأفكار المستمدة من بعض المجالات المتشعبة مثل: العلوم التطورية، وعلم الاقتصاد، وتحليلات شبكة الإنترنت، والفيزياء، وعلم الرياضيات تعلن عن كثير من المساهمات في هذا الكتاب - باعتباره مجالاً ديناميكيًا بحد ذاته - كما أن الدراسات الإعلامية بحد ذاتها تخضع حاليًا لعملية احتواء وتكيف سريع مع هذه المؤثرات الخارجية. والجدير بالذكر أن عملية التغير المذكورة ينتج عنها مجموعة من الأدوات المدروسة - كما نعتقد - والتي توصف بأنها أكثر الأدوات التصورية قوة ومرونة تُستخدم بهدف الاستمرار في دراسة "الإعلام الجديد" ومركزه في هذا العالم.

ديناميكية هذا الكتاب

إن سلسلة ديناميكية الإعلام الجديد" تتخذ موقفًا براجماتيًا تجاه الموضوعات التعريفية؛ ولذلك:

- لأنها "جديدًا" فإن هذا النوع من الإعلام يرتبط بعصر ما بعد الإذاعة من وسائل اتصال تفاعلية وتشاركية وذلك باستخدام الإمكانيات الرقمية المتصلة بشبكة الإنترنت.
- لأنها "إعلامًا"، فإنه يمكن استخدام هذه التطبيقات، التي حققت انتشارًا مطلقًا بين الشعوب والأقاليم، من جانب المستهلك العادي (وهو ما يتعارض مع الخبراء المختصين) ولاسيما عندما يكون هذا النطاق الشعبي منتجًا في حد ذاته لإمكانيات "جديدة" أو غير مسبوقة.
- لأنها تشمل ديناميكية التغيير باعتبارها جزءًا من موضوع الدراسة والمجالات التصورية والنظرية المتطورة التي لم تُفسر فحسب بل استبقت التغيرات التالية.
- فهم عملية التجديد التمزيقي للأمثلة العقلانية بشكل انعكاسي باعتبارها جزء لا يتجزأ من مجال الدراسة.

وبالتالي، فإن هذه السلسلة تساعد في تنظيم عملية "التدمير المبتكر" للإعلام المتوارث والدراسات الثقافية عند دراسة أشكال وأجهزة الإعلام الجديد. ويعتبر هذا الأمر بالغ الأهمية في سياق التعليم الرسمي حيث تنشأ علاقة حتمية بين الحاجة إلى منهج ثابت (من خلال وضع "قانون" للأشكال والأساليب والطرق المختارة) وتدريس آخر التطورات التي قد تبدو غير متسقة أو غير ذات صلة بالموضوع ما لم يتم استعراض هذه الابتكارات باعتبارها جزءًا من سلسلة المعلومات المراد استيعابها.

وبالمثل، فإنه في حالة عدم الربط بينها وبين الحاجة إلى برامج منهجية متكررة (من بينها اختيار صور مناسبة من علم أصول التربية والتدريس، والمنهج الدراسي، والتقييم)، فإن البحث أيضًا يتطلب نطاقًا تصوريًا واضحًا ومنظورًا مفسرًا عند ضرورة إجراء مساهمة بناءة أكثر عمومية في هذا الفرع من المعرفة. ولذلك، فإن التحدي هنا يكمن في رؤيتك لمجال وموضوع الدراسة على حد سواء باعتبارهما موضوعات متشعبة وديناميكية ومتغيرة إلا أن أسلوب دراستهما متسقٌ وواضحٌ.

وتطرح هذه السلسلة مدخلاً لدراسة "الإعلام الجديد". وحيث إن هذه الدراسة تتصف بكونها متشعبة وبرجماتية فيما يتعلق بهذه الظاهرة الخاصة التي تُعرف بـالإعلام الجديد في الوقت الحاضر إلا أنها تقدم أسلوبًا متسقًا وشاملاً كونه أسلوبًا جديدًا في إجراء الدراسات الثقافية والإعلامية . ويهدف هذا الأسلوب إلى ظهور نطاقات تفسيرية جديدة أكثر ملاءمة للحقائق قيد الدراسة.

هذا الكتاب....

تتناول فصول هذا الكتاب تاريخ " الإعلام الجديد"، حيث يقارن بين الدراسات الإعلامية الجديدة المعاصرة، والفترات السابقة، حيث التغير الثقافي والتكنولوجي السريع، إلى جانب التعرض لتاريخ الدراسات الإعلامية الجديدة، حيث يعكس مؤلفو هذا الكتاب مساهماتهم المعرفية الخاصة لتطوير الدراسات الإعلامية الجديدة، ويبرزون الحاجة إلى التعاون بين الاختصاصات المختلفة لا يفاء هذا المجال حقه كاملاً.

علاوة على ذلك يوضح هذا الكتاب الفرق بين الإعلام "الجديد" و "القديم" – ولاسيما كيفية تشكيل المستخدم للمحتوى، وأسواق الشبكة الاجتماعية، كما أعادت الوكالات التجارية (سواء كانت فردية أو تنظيمية) تحديد الفروق طويلة المدى بين المنتج والمستهلك .. والخبراء والهواة .. والثقافة والسوق .. وأخيراً المعرفة والتسلية.

وهذا الكتاب يعرض نظرة شاملة رائعة للتطور التاريخي للديناميكية النصية والتكنولوجية والسياسة للأنظمة الإعلامية والدراسات الإعلامية التي ظلت دائمًا موقعًا ديناميكيًا لتعارض فروع المعرفة وتبادل الأفكار، حيث لم تعد شبكة الإنترنت في الوقت المعاصر دخيلة، بل أصبحت محلاً للصراع الشديد حول الحكم ومستقبل السياسة والإعلام الجديد، وهذا ما أوضحه العالم " سين كوبت Sean Cubitt".

ويشير العالم " ويلارد مكارتي Willard Mcarty " وهو أحد العلماء البارزين في العلوم الإنسانية: " أن التخطيط للمستقبل عن طريق الاستدلال بالتكنولوجيا الحالية – حتى التكنولوجيا الجديدة – هو مجرد محاولة فضلاً على ذلك، فهو يوصى بدراسة

تاريخية لتعرف ما يشكل الأشكال الثقافية للعصر الرقمي، إلى جانب تتبع أفكار متعمقة عن التكنولوجيا الرقمية رجوعًا إلى بداية عصر الحوسبة، وأيضاً يوصى هذا العالم ويلارد مكارتي في هذا الكتاب بضرورة النظر إلى العلوم في وقتنا المعاصر والمقارنة بينها، مما يحافظ على التميز والتغير الشديد، إلا أنها تستبدل التفاعل بالتأثير، والهوية الشخصية بالضحية السلبية لتجاوز المرحلة الحالية من "معرفة الموسيقى" وصولاً إلى مرحلة فهم الإعلام الرقمي التي ينظر إليها باعتبارها مرحلة مغمورة.

أيضاً في هذا الكتاب .. تناول العالم "توماس بيتيت" Thomas Pettitt ديناميكية الإعلام الناشئ من منظور تاريخي بعيد، مما دفعه للنظر بعين الاعتبار إلى نموذج مختلف من التعاقب التاريخي، ومن ثم ديناميكية التجديد؛ حتى التعاقب الطولي للمراحل المتجددة، فضلاً عن ذلك، فقد افترض "توماس" أن الإعلام الجديد بمثابة " فترة توقف أو فاصل"، مثل إدخال جملة اعتراضية داخل جملة. يعقبها ما يطلق عليه مرحلة " استرداد" السمات البدائية للوساطة الثقافية فقط على المستوى التكنولوجي المتقدم. بالإضافة إلى ذلك فقد تطرق "توماس" لأنماط مختلفة من التصورات التي تعتبر عصر الطباعة " افتراضات جوتينبيرج " – واحداً من هذه الفترات الفاصلة أو المناظرات أو كحافز يمكنه نقده أو تحليله بدقة.

أما "بيترسوريسكي" Peter Swirski في صفحات هذا الكتاب، فقد واصل مقارنته بين ثقافة الكتب وثقافة الإعلام الجديد، وقد أظهر بالرغم من توقعاته الجريئة أن إنشار الكتاب حول العالم يتزايد، ولا ينخفض كجزء مما أطلق عليه "عصر تراكم المعلومات"، حيث نظر بعين الاعتبار إلى تضمينات النشر الأدبي أو الأكاديمي، وكذلك النشر العلمي، وتأثير الأشكال المتنوعة للنشر على شبكة الإنترنت ليس فقط على نظرية العقل أو قدرة الإنسان على استنتاج ما يعرفه أو يشعر به أو يفكر به الآخرون.

واكتشف " سوريسكي " أن قدرتنا على التفكير في الروايات " صحيحة " ستشهداً بأن " قوة الكلمات الأرقام، وقوة السرد تفوق قاعدة البيانات.

وقد ضمت صفحات هذا الكتاب أيضاً " اقتصاديات الإعلام الجديد، وكذلك تأثير

الإعلام الجديد على الاقتصاد " من خلال آراء أو أبحاث العالم جون كويجن John Quiggin، حيث استنتج أنه كلما زاد التنظير الشامل لاقتصاديات الإعلام الجديد .. كلما أدى إلى تحول جذري في الأسلوب الذي نستطيع من خلاله فهم الاقتصاد.

وتناولت كل من " سونياليفينجستون Sonia Living Stone" و "رنجاناداس Rangana Das" مسألة دراسة ديناميكية الإعلام الجديد من منظور إحدى جهات الإعلام المركزية – وهو الجمهور، حيث بنت تلك الباحثتان افتراضهما بناء على التاريخ المتداخل لكل من الجماهير والبحث الجماهيري دعمًا للأهمية المستمرة والحيوية لاستقبال الممارسات الجماهيرية المتمثلة في صناعة المعنى والعمل التفسيري حتى في بيئة الإعلام المعاصر الجديد.

بالإضافة إلى ذلك، فقد ركز كل من العالمان "جرانت بلانك Grant Blank ويليام دوتون William Dutton على ديناميكية الدخول إلى شبكة الإنترنت باستخدام بيانات البحث التمثيلي التي جمعت لصالح معهد أكسفورد للإنترنت Oxford internet institute وشركائه الدوليين، حيث قاما العالمان بتحليل نفس عناصر التغير الديناميكي "الجيل التالي" من مستخدمي الذين لا ينتمون لفئة الأطفال أو المراهقين، لكنهم ممن يستخدمون أجهزة الجيل التالي " مثل "الهواتف المحمولة أو التابلت" للدخول إلى شبكة الإنترنت، وتصل هذه النسبة إلى 44٪ من مستخدمي الإنترنت في المملكة المتحدة عام 2011، فمستخدمي "الجيل التالي" أكثرهم منتجين ومستهلكين أكثر من ذي قبل، حيث يستمعون للموسيقى، ويلعبون الألعاب ويحُملون الملفات الموسيقية ويشاهدون مقاطع الفيديو ويحُملونها ويرفعونها أيضاً من خلال الاتصال بشبكة الإنترنت، وما لايثير الدهشة أنهم مقارنة بالمستخدمين السابقين، ينظرون إلى الإنترنت باعتباره شيئًا "مهمًا وجوهرياً"

وأخيراً قام كل من " ريتشارد روجرز Richard Rogers و ايستر ويلتفريد Esterweltevrede و إريك بورا Erik Borra وساين نيدر Sabine Niederer بتطوير الطرق الرقمية البسيطة لدراسة الدور المجتمعي وأثر الإعلام الجديد عملياً، وافترض

هؤلاء العلماء طريقة لتصور وتحديد وتحليل الشبكة القومية بإستخدام إيران بإعتبارها دراستة حالة، الأن الذي أفاد في التوسع في دراستة ديناميكية الإعلام الجديد لتصحيح دراسة اقليمية.

وختامًا ...

وبشكل عام .. يمكن استخدام هذا الكتاب باعتباره "رفيق جيد" يمكن للقارئ من خلاله استكشاف أشكال الإعلام الجديد والأجهزة الإعلامية خطوة بخطوة من البداية حتى مرحلة "الويكيبديا"، ومن مرحلة الواى فاي حتى مرحلة الويكيلكس. هذا إلى جانب إمكانية قراءة هذا الكتاب بشكل مركَّز باعتباره دراسة موجزة للموضوعات والأصوات كل منهما بما تحمله من إيقاع وأفكار مهمة، ومثل كافة التوزيعات الموسيقية، فإن الكل أشمل من الجزء. أما بالنسبة لروح الإبداع والتعاون والحوار الموجودة بعدد كبير من فصول هذا الكتاب فإن هذا الرفيق يدعو قراءه من الباحثين وصناع السياسة ورجال الأعمال والطلاب والمستخدمين إلى إضافة أصواتهم لهذه الأغنية.

المراجع:

بوتس، ج. جنينجهام، س. هارتلي، ج.، وأورميرو، ب.(2008).

أسواق الشبكة الاجتماعية، تعريف جديد للصناعات المبتكرة. "مجلة الاقتصاد الثقافي"، 32 (3)، 167-185.

اسكمبيتر ، ج. (1942)، الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية. نيويورك: هاربر آند برززز.

الفصل الأول

الدراسات الإعلامية والدراسات الإعلامية الجديدة

سين كوبت Sean Cubit

التاريخ والجغرافيا

تقع الدراسات الإعلامية في مفترق طرق بين عدد من فروع المعرفة وينعكس ذلك في الأسماء المتعددة للأقسام الأكاديمية التي تتعامل مع الإعلام. وهذا الفرع غير المنضبط من فروع المعرفة الذي نشأ بالتسلسل، ما زال معلقًا من جانب العلماء الذين ينتمون للعديد من الأعراف في مجال الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية – الإنثوجرافيون (علماء الأعراق البشرية) للحياة اليومية، وعلماء الاتصالات بأوروبا والولايات المتحدة ، وعلماء الاجتماع للثقافات الفرعية – أما اليوم، فإنها تشمل نطاقًا هائلاً من الأنشطة التي تتضمن دراستها علم الاقتصاد، والاقتصاد السياسي، والتنظيم، والتكنولوجيا، والتحليل النصي، والاستيطيقا (علم الجمال)، والدراسات الجماهيرية.

ومن اللافت للنظر أنه لا يوجد قانون واحد لتعريف الأعمال النظرية، إلا الافتراضات الضعيفة بشأن طريقة دراسة الإعلام، ولكنها تُعرَف من خلال الشؤون المؤسسية، حيث إن دراسة أي نوع من الإعلام تُحدَّد بوجود بعض العناصر كالصحافة، والنشر، والتصوير،

أو المدارس الموسيقية التي تزعم وجود عنوان لهذه الأشكال الإعلامية كالتاريخ الفني، والدراسات الأدبية واللغوية بعيدًا عن تشكيلات إعلامية محددة. ومن خلال الدراسات الإعلامية، فإننا نفترض دراسة الإعلام الفني حيث ظهر خلال القرن التاسع عشر في صورة أربع فئات عامة، وهي: الطباعة، والتسجيل، والإذاعة، ووسائل الاتصالات. وبالرغم من أن الأشكال النموذجية لفروع المعرفة المجاورة تقوم بدراسة فروع معينة من الإعلام مثل: الأدب والموسيقى، إلا أن التركيز كان على الصناعة والحُكم والجماهير، مع التطرق إلى علم الاستيطيقا بصفة خاصة عند دراسة الإعلام الفني فقط. وبالتالي، فقد طرأ تغيير خاص على الدراسات الإعلامية "الجديدة" وبمجرد أن تصبح هذه الأنواع والنماذج التجارية مناسبة لكافة الفئات، فإنها تتلاقى من الناحيتين الجمالية والاقتصادية في ظل ظهور الإعلام الرقمي. ولم يشكل هذا الأمر تحديًا هامًا بالنسبة لمعظم المدارس التي تزايدت خلال القرن الماضي، والتي ركزت على الإعلام الفني بشكل خاص. في الواقع، فإن الأصول المختلطة لمجال الدراسة قد خَلَّفت إحساسًا شموليًا لافتًا بالمسئولية، بمعنى أنه لفهم الإعلام، فإننا نحتاج لفهم ماديته التي تتمثل في أهدافه وأنظمته، كالاقتصاديات والحكومات، خلال العمليات الإعلامية في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي يتوسطها الإعلام.

وبالرغم من ذلك، فإننا مرغمين على استخدام هذه العبارة التي يهتم بها فئة صغيرة من الباحثين بمجال الدراسات الإعلامية وهي: "تأثير الإعلام على ..."، فالوساطة هي الشكل المادي الذي يمكن من خلاله تبادل الثروة، واستعمال السُلطة، وإنتاج الأنواع الخاصة بنا. علاوة على ذلك، فإنه قد يُنظَر إلى تقارب هذه المؤسسات والأشكال الإعلامية المتميزة إلى حد ما باعتباره يُشكل إمكانية التفكير في الإعلام بهذا الشكل، وربما نعتقد أن فكرة الوساطة العالمية هي فكرة مشتركة بين هاتين الظاهرتين، أو ربما كانت مظهرًا من مراحل التطور الاجتماعي. وفي الحالتين، فإن الدراسة الشمولية تُعد حاليًا جزءًا لا يتجزأ من مواجهة الدراسات الإعلامية مع الإعلام الجديد.

وينبغي أن تتضمن مناقشات الإعلام الجديد بعض تعريفات الإعلام الجديد. ففي

مجال الدراسات الإعلامية، يمكن تحديد تاريخًا عمليًا لهذه الحداثة ألا وهو: 13 أكتوبر 1993، وهو تاريخ صدور مستعرض الويب موزايك (Mosaic) الذي فتح حوسبة الشبكة للمشاركة الجماهيرية في أواخر فترة التسعينات والقرن العشرين. وقد تبدو بعض التواريخ الأخرى واضحة - ربما ثورة الكمبيوتر الشخصي خلال فترة الثمانينات - ولكنها لا تستلزم إدراك الحس العام الذي نشأ خلال الشهور التي أحدثت تغييرًا هائلاً بالحياة. أما خلال المراحل السابقة، وتُشكل المراحل السابقة، كلما زاد الاهتمام بالدراسات الإعلامية السائدة، مرحلة ما قبل التاريخ التي تعتبر كمنفذ جماهيري أو شعبي (حيث يعتمد على مدرسة الفكر المتضمَن) يُحول الصيغ المعملية أو التجريبية إلى إعلام فني، لا يقل أهمية عن التليفزيون والصحافة. ويمثل عام 1993 عامًا مميزًا في تاريخ الدراسات الإعلامية الجديدة.

وتبدو الأخبار من هذا النوع مثيرة للجدل ليس فقط بسبب وجود تواريخ أخرى قد تبدو مميزة ولكن أيضًا لأن تاريخ الإعلام يعد مجالاً حيويًا ذا مناظرات ساخنة بشأن الدراسات الإعلامية. ومن بين أكثر النصوص المقتبسة في هذا المجال المقال الذي كتبه ولتر بنجامين Walter Benjamin بعنوان "تحفة فنية أو Work of Art" (1969، 2003) والمقال الذي كتبه مارشال مكلوهان Marshal McLuhan بعنوان " Understanding Media أو فهم الإعلام" (1964) حيث وضع كلاهما الأساس لمفهوم "التقسيم البندي" كونه أحد السمات الأساسية للدراسات الإعلامية، حيث فرق المقال الأول بين الصناعة اليدوية والآلية في حين فرق المقال الثاني بين اللغة الشفهية والهجائية والطباعة والإعلام الإلكتروني باعتبارها مراحل من التاريخ البشري. وفي حين أثار مفهوم مكلوهان McLuhan عن الحتمية التكنولوجية الظاهرية جدلاً واسعًا وقتذاك، إلا أن المفهوم الأساسي القائل بأهمية التاريخ الإعلامي في فهم تشكيلات الإعلام المعاصر قد أصبح مفهومًا مذهبيًا. علاوةً على ذلك، فقد اتفق العلماء السياسيون مع المتخصصين في مجال الاتصالات على بعض الأعمال الأساسية بالتاريخ البريطاني لكل من ثومبثون Thompson (1963) وويليامز Williams (1958، 1961) وأندرسون Anderson (1983) وكذلك

بعض الأعمال الأساسية بالتاريخ الأوروبي مثل ماتيلارت Mattelart (1994، 1996، 2000) ودبراي Debray (1996، 2000، 2004). بالإضافة إلى ذلك، فقد أُعيد توجيه هذه الدراسات التحليلية في أعقاب عصر الرقمنة (وليس سبب، بالرغم من ذلك) في صورة الإعلام قبل التاريخ، وهو فرع من التاريخ يدرس جذور الوقت المعاصر. علاوةً على ذلك، فإن الشخصيات القيادية أمثال: ليزا جيتلمان Lisa Gitelman (1999، 2006) وأوليفر جرو Oliver Grau (2003) وإريكي هوتامو Erkki Huhtamo (2005، 2006) و جوسي باريكا Jussi Parikka (2007، 2012) وجوناثان استيرن Jonathan Sterne (2003) وسيجفريد زيلنسكي Siegfried (1999، 2006) وربما أكثرهم شهرة الباحث فريدريك كيتلر Friedrick Kittler (1997، 1999، 2010) يختلفون في كثير من النواحي إلا أنهم يتشاركون في دراساتهم الدقيقة واستعدادهم لفهم التفاصيل الفنية، وانفتاحهم على الفترات الطويلة، وإحساسهم بأهمية الثورة الإعلامية التي لم يتعلموا منها فحسب، ولكنها قطعت الطريق نحو التقدم الذي يميز عمل مكلوهان McLuhan. والجدير بالذكر أن ظهور الإعلام الجديد قد أعاد النظر بجدية في أسس الحوسبة الرياضية والهندسية ونظر بعين الاعتبار إلى الإعلام الثانوي الذي، بالرغم من ذلك، يعد بالغ الأهمية في مجال الإعلام المعاصر، حيث تتنوع وسائل التكنولوجيا كمخططات التنفس (هوتامو Huhtamo، 2007) ونظم الملفات (فيزمان Vismann، 2008).

وفي كثير من الحالات، فإن الإعلام ما قبل التاريخ يُشير إلى الاستمرارية بين أشكال الإعلام البدائي والمعاصر والتي تعتمد على اكتشافات خاصة في مجال الإدراك البصري (مثل: تأثير فاي phi-effect الذي كان يُعتقد من قبل أنه استمرار لعملية الرؤية) أو فيزياء الضوء (كالعدسات المصممة من جاليلو Galileo حتى زيس ايكون Zeiss Ikon).

علاوةً على ذلك، فقد ركز بعض علماء التاريخ الإعلامي نسبيًا على تركيب الصناعات المتضمنة في تطوير وتوحيد قياس ونشر الابتكارات الإعلامية (بالرغم من أن علماء التاريخ السينمائي قد قدموا نموذجًا معاكسًا: انظر كرافتون Crafton 1997، وجوميري Gomery 2005). ولكن عندما انتقل التركيز على الصناعات الفردية، وغالبًا القومية،

سبب الافتقار إلى البحث التاريخي عن تاريخ الأجهزة والمؤسسات التنظيمية فجوة هائلة حيث بدأ المرء في تقدير مزيد من المحاولات الحديثة لتفسير تفاعل التأثيرات في تكوين أشكال إعلامية ناشئة بين المهندسين والشركات والحكومات والوكالات الدولية مثل: الاتحاد الدولي للاتصالات عن بُعد. ونتيجةً لذلك، فإن الآراء النقدية الهامة، بشأن تطور وتغير قدرات وتوجهات مثل هذه الأجهزة، قد نالت اهتمامًا أقل من وسائل التكنولوجيا التي ساعدت في قمعها وتنظيمها (انظر ما ذكره ماكلين Maclean 2003 عن مدى إفادة البحث التاريخي للسياسة الراهنة). ومن أهم النتائج الهائلة لديناميكية الإعلام الجديد العولمة السريعة والمتزايدة للبنية التحتية للاتصالات وزيادة الاعتماد عليها بالعولمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وبالتالي فإن الافتقار إلى الأعمال التي تُؤرخ المجال الجديد لهيمنة الإعلام العالمي يعد ضَعفًا في الدراسات الإعلامية المعاصرة في سياق الأعمال الجوهرية الجديدة على شبكة الإنترنت وكذلك هيمنة الاتصالات عن بُعد في المجال الدولي (اتشاكرافارتي Charkravartty وساراكاكيس Sarikakis 2006؛ جولدسميث Goldsmith ووو Wu 2008؛ دينارديس deNardis 2009؛ كولنز Collins 2010).

علاوةً على ذلك، فإن الفقر النسبي للتاريخ المؤسسي يُمكن أن يُفسَر من خلال ظاهرة مزدوجة تتوافق مع ظهور شبكات للإعلام الجديد خلال فترة التسعينات. وفي ظل تأثير النقد ما بعد الحداثة، فإن فكرة التاريخ الذي أصبح رمزًا قد شجعت على التشديد الفضائي الجديد في مجال التحليل الإعلامي. وفي الوقت ذاته، فإن سرعة التدفقات العالمية والحياة اليومية قد قللت الشعور بأهمية الوقت حيث حلت التوجهات الجديدة محله في الزمان والمكان. بالإضافة إلى ذلك، تظل أكثر الدراسات التي أُجريت على هذه الظواهر تأثيرًا هي مجلد "the Information Age أو عصر المعلومات" ثلاثي الأجزاء الذي صدر عن الكاتب مانويل كاستيلز Manuel Castells (2000[1996]، 2004[1997]، 2000[1998]). وبناءً على أسس البحث التجريبي الجوهري، تصور كاستلز Castells شبكة الإنترنت كصورة أساسية للعولمة في أواخر القرن العشرين. واستنادًا إلى نظرية النظم العالمية ولكن فيما يتعارض مع النظريين الذي رفضوا مفهوم الدولة القومية باعتبارها قوة سياسية

واعتبروا العلاقة الثابتة بين المركز والمحيط مبدأً أساسيًا، قام كاستلز Castells – بالإضافة إلى مجموعة من القادة الآخرين في المجال الجغرافي مثل: ديفيد هارفي David Harvey (1989) وساسكيا سازين Saskia Sassen (1991، 1994) – بالتشديد على العلاقة بين الحيز والوقت في مجال الإعلام الجديد إلى جانب ظهور التراكم المرن في عصر ما بعد الفورديذم، والصناعات المعلوماتية وكونية نُخبة الشركات في عالم أصبح الدخول فيه على شبكة الإنترنت يربط نُخَبَ مدينة ما بأخرى بصرف النظر عن المناطق القروية النائية والمناطق الصناعية والمدنية الفقيرة. وبينما كانت الفكرة نظرية من قبل (مثلا: من جانب الباحث فيريليو Virilio 1986) إلا أن مجموعة البيانات التي تدعم هذه الفرضية قد عمقت النظرية حيث فتحت مجالات جديدة بمختلف الأنماط التي تم اختبار المكان (مثل: أوجي Auge 1995) والوقت (مثل حسن Hassan 2003) بها بالشبكة العالمية. والجدير بالذكر أن التحول الجغرافي قد تزامن أيضًا مع ظهور تحديات ما بعد الاستعمار لتعزيز تحليلات الدراسات الثقافية التي طرأت بمجال الدراسات الإعلامية. إن تقليل الطابع الغربي بالدراسات الإعلامية (كوران Curran وبارك Park 2000) قد أصبح مشروعًا بالغ الأهمية بحد ذاته، ليس فقط بسبب تغير الإعلام الجديد من حالاته الأوروبية/ الأمريكية – من بين عوامل أخرى – نحو مرحلةٍ لم تعد الإنجليزية اللغة المهيمنة بها أو حتى اللغة الغالبة على شبكة الإنترنت. وقد استمرت نظريات الإمبريالية الإعلامية القديمة في الانتشار، وخصوصًا من قِبل نشطاء أمريكا الشمالية مثل: تشومسكي Chomsky (2003) ومتشسني McChesney (2008)، إلا أن حسابات أكثر تعقيدًا من التجربة الإعلامية، والتي تعمقت بالبحث في الهجرة والتشتت، قد بدأت بعرض حسابات أقل ذُعرًا، وأكثر إزعاجًا، مثل: ثوزو Thussu 1998، 2000).

علاوةً على ذلك، تعد أعمال ديفيد مورلي David Morley (2000، 2007) ومساهماته مع كيفن روبنز Kevin Robins (1995، انظر أيضًا روبنز Robins 2007) مثالاً نموذجيًا لهذه الحوارات الغنية بجانب، على سبيل المثال، التراكيب المعقدة للوطن والتي تتراكم حول الأجهزة التكنولوجية (الهاتف المحمول، والصفحة الرئيسية) بل والهجرة من "الوطن" بين المهاجرين والمحليين خشية وصولهم. وكما يرى بعض الباحثين،

فالهجرة لا تعني ارتواءَك من ثقافة الوطن، فمشاهدة الأخبار المباشرة أو تحميل الأفلام ومقاطع الموسيقى أو إجراء مكالمات عبر الإنترنت VOIP قد ساعدت المهاجرين على البقاء بالقرب من ثقافات بلادهم كما يرغبون، وفي اللحظة ذاتها توفر الهجرة خيارات اقتصادية وأحيانًا حريات ثقافية قد لا تتوفر في موطنهم الأصلي.

وخلال فترة الثمانينيات، وبمجرد التلميح بأهمية مثل هذه القضايا وبأنها قد تصبح حقلاً سياسيًا عظيمًا، نشر الاتحاد الأوروبي منشورًا بعنوان " Television Without Frontiers أو تلفاز بلا حدود" (لجنة الاتحادات الأوروبية Commission of the European Communities 1984)، وقد لعب هذا العنوان على شركة يوروفيجن للإنتاج المساعد. علاوةً على ذلك، فقد اعتمدت هذه الوثيقة على وصول تلفزيون الأقمار الصناعية، وهو أول وسائل التكنولوجيا الإلكترونية التي تجاهلت طبيعة حدود الدولة بالكامل. والجدير بالذكر أن المعاهدات الإذاعية الأولى قد سمحت للشعوب الصغيرة بمدينة مثل: لوكسيمبورج Luxembourg بالبث لجيرانها، فكان هناك دائمًا اتفاق ضمني على الأقل، ما لم يكن صريحًا، للسماح بشيء من انتهاك مجال السيادة الإقليمية كما أطلقوا عليها.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الدور الذي يلعبه الاتحاد الدولي للاتصالات عن بعد (ITU) هنا يفسر بعض الحالات الغريبة التي ظهرت على التوالي كالبث الموجي الذي كان يُعتبر مصدرًا نادرًا ومطلوبًا في مجال خدمات الطوارئ والدفاع وكذلك الأخبار والترفيهية. وبجانب ذلك، فقد كانت هناك أمور مشروعة للخطاب المشترك بين الحكومات. وبالرغم من ذلك، ومع انتشار إتاحة المجال الذي جلبه القمر الصناعي والتكنولوجيا الرقمية، توقف الاحتكار الظاهري الطبيعي للحكومات بشأن هذا المجال عن إثبات صحته. وبالرغم من ذلك، فإن تركيب الاتحاد الدولي للاتصالات عن بعد (ITU) القائم بالدولة لم يسمح له بالتطور في صورة هيئة للسلطة العالمية التي أصبحت مطلوبة بسبب الانتشار والتمدد الهائل للإنترنت في بداية التسعينات (أوسيوتشرو O'Siochru وآخرون 2002). وبالتالي، قامت بعض المجموعات المخصصة لهذا الغرض، والتي تتولى المجال النقدي مثل: منظومة اسم المجال (مولر Mueller 2004)، بالمطالبة عمليًا بنطاق عام فعال للعالم

هابرماس من المهندسين المستنيرين الذين يُكرِّسون أنفسهم "للإجماع وتشغيل التعليمات البرمجية" (فرومكن Froomkin 2003).

وخلال انعقاد القمة العالمية التي نظمتها الأمم المتحدة بالمجتمع المعلوماتي عام 2005، طالبت 15 هيئة على الأقل بتطبيق السلطة القضائية على مختلف نطاقات هيمنة الإنترنت، المتداخلة غالبًا، كما طالب الكثيرون بدعم نطاقات خاصة بدايةً من الحقوق الأهلية حتى الرقابة. وقد ظل الاهتمام الرئيسي - أي مطالبة الشعوب بالسيادة على "إعلامها" - واحدًا من أكثر الاهتمامات جدلاً بدوائر السياسة الإعلامية. وكما سنرى فيما بعد، فإن التطورات الأخيرة بالدراسات الإعلامية تُشير إلى حلٍ جدلي للأزمة الراهنة مفترضةً أننا قد تجاوزنا مرحلة الظهور ونتوجه الآن بالفعل إلى نضالٍ سياسي ومنافسة اقتصادية نحو حقلٍ جديد، لا يتعلق بالدولة أو السوق، ألا وهو شبكة الإنترنت.

الاستاطيقا السياسية

قبيل انطلاق الشبكة العنكبوتية والانخراط خلال أعوامها الأولى، كان التفاعل هو الاتجاه السائد بجانب إعلام الأقراص المقروءة فقط - استطراديًا ما لم يكن واقعيًا - والواقع الحقيقي المغمور. وخلال فترة التسعينات، كان التعبير الطنان هو الاتصال بشبكة الإنترنت، وهذا المصطلح كان على وشك التغيير ضمنيًا خلال الألفية الثانية، حيث ارتبط هذا المصطلح بالمسارات الإبداعية، والمحتوى الذي يُنشئه المستخدم، والمصادر المتراكمة. بالإضافة إلى ذلك، فإن ظهور التطبيقات في نهاية الألفية الثانية يُشير إلى العودة مجددًا للتفاعل الذي لم يتلاشى أبدًا بل انحصر في مجال الألعاب خلال العقد الماضي. أما النظام الجديد للقراءة الإلكترونية خلال 2009-2010 فقد ميز المحتوى الغني بالتفاعل ولاسيما بالنسبة للمستخدمين من الشباب كما ساعد على العودة مجددًا لنظام الأقراص المقروءة فقط الذي هُمِّش تدريجيًا أثناء الاندفاع نحو الإنترنت باعتباره أهم وسائل الإعلام المعاصر المتنقل. وقد شهدت هذه الفترة أيضًا ظهورًا متزايدًا للسينما الرقمية. وقد شهد الخيال العلمي الأمريكي باستوديوهات ديزني Disney Studios' Tron (1982) استخدامًا هائلًا لأجهزة متناظرة لتصوير العالم الرقمي الحقيقي. علاوةً على ذلك، فقد

سجل فيلم Lawnmower Man، الذي ظهر عام 1992 ، عدة دقائق مثيرة من التصوير المولد بالكمبيوتر (CGI) كما تركز السيناريو أيضًا على قدرة شبكة الإنترنت بالحوسبة. وبعد عشر سنوات، ومع صدور سلسلة هاري بوتر وحجرة الأسرار، وسيد الخواتم: البرجان، ورجال البذات السوداء (الجزء الثاني)، والرجل العنكبوت، وحرب النجوم (الجزء الثاني: هجوم المستنسخين)، حاربت هذه الأفلام بشراسة حتى اكتظ شباك التذاكر ونادرًا ما خلا نطاق أي فيلم منهم من الاهتمام الرقمي بدايةً من التأثيرات الخاصة حتى تعديل مقاطع الفيديو اللاخطية والتصنيف الرقمي.

وفي الوقت ذاته، فإن الإعلام النموذجي لتسجيل واسترجاع المحتوى قد انتقل من مرحلة أشرطة التسجيل المتناظرة حتى الأنظمة البصرية الرقمية وإلى ملفات MP3 في تجارة الموسيقى.

إن الانتقال من الأشياء الطبيعية إلى شاشات العرض ومكبرات الصوت التي تديرها البرامج الإلكترونية مباشرةً قد أدى إلى ظهور اتجاهين: أحدهما نحو الاستاطيقا الرقمية- القياسية النسبية ولاسيما في المسار المختص بالإعلام المسجل، والآخر نحو مصطلح "اللامادية" بالاقتصاد السياسي. وقد بدأ اتجاه الاستاطيقا الرقمية باكرًا في مجال التصوير، حيث أشاد المعلقون سريعًا بمرونة الصور الرقمية ودحض الاعتقاد القديم القائل بسلامة ورجحان كفة الصور الفوتوغرافية (ريتشن Riichin 1990؛ ومبيل Wombell 1991؛ ميتشل Mitchell 1992). والجدير بالذكر أن التصور الحقيقي الذي يركز على العلاقة المميزة بين الصورة الفوتوغرافية والموقف الذي تصفه قد يبدو أقوى بين نقاد الفوتوغرافيا أكثر منه في الدراسات السينمائية حيث حلت عشرات السنوات من السيمياء محل العلاقة بين الصورة والمشهد غير المؤكد. وبالتالي، خلال فترة الألفينيات، بدأت اهتمامات مماثلة في الظهور بين علماء السينما وفي تعابيرهم الأكثر تعقيدًا كما يظهر بكتاب " The Virtual life of Film" للمؤلف د.ن. رودويك D.N. Rodowick 2007. وقد فسدت هذه المناقشة بسبب قلة التفهم بشأن عملية الدوائر التفاعلية المدمجة مقارنةً بعمليات التصوير الميكانيكية القديمة. والآن، يتمتع المصورون بخلفية أقوى وأصبحت الجوانب الفنية لعملية التصوير

جزءًا لا يتجزأ من تحليلها بالأسلوب الذي نادرًا ما اتُبع بالدراسات السينمائية. وهناك شكوى مماثلة بمجال دراسة الموسيقى، وهي نادرة الحدوث، بالرغم من ذلك، ألا وهي الاهتمام بدقة الأداء الشعبي والرد على مختلف الصيغ وانتشارها فضلاً عن أشكالها المتميزة. بالإضافة إلى ذلك، فإن عمل الباحث جوناثان استيرن Jonathan Sterne على صيغ الملفات الموسيقية (2006، 2012) يعد بمثابة ابتكار عظيم حيث شدد على أهمية القواعد الرياضية المضغوطة- غير المضغوطة (المخطوطات)، وهي قضية ظهرت نادرًا بالإعلام السمعي المرئي (انظر ما ذكره ماكنزي Mackenzie 2008).

علاوةً على ذلك، فقد ذاع صدى قضية اللامادية بالاقتصاد السياسي للفكر الإيطالي ما بعد الحكم الاستقلالي (لازاراتو 1996) إلا أنه قد نال اهتمامًا خاصًا فيما يتعلق بمجال العمل بصناعات الإعلام والبرامج اللإلكترونية ولا سيما من جانب العلماء أمثال تيرانوفا Terranova (2006). يُشتق هذا المفهوم من التعارض الثنائي بين النظير والرقمي، هذه المرة بالرغم من ذلك، من حيث المنتجات والإنتاج. وبينما يتركز علم الاقتصاد بنظرية الفورديزم على إنتاج البضائع الفيزيائية، إلا أن الانتقال إلى العلامات التجارية والحاجات المعنوية مثل: العروض التليفزيونية أو المشاهير بالطائرات المنتجة في ظل اقتصاد ما بعد نظرية الفورديزم والتي تتميز كونها ذات شكل غير فيزيائي. وفضلاً عن ذلك، تُصنع "مجرد" البضائع الفيزيائية، وأجهزة الكمبيوتر، أو الهواتف المحمولة - في ظل ظروف شاقة بسبب عدم وجود ربح هائل من وراء هذه الصناعة، بمعنى أن مصدر الثروة يتمثل في البضائع المعنوية التي تقدمها شركة نايك Nike أو شعارات شركة أبل Apple ومزايا تصميمات المصمم جوناثان ايفز Jonathan Ives.

إن طابع اللامادية بالعمل يؤدي بالطبع إلى نمط قانوني متميز الذي أصبح موضوعًا أساسيًا بالدراسات الإعلامية الجديدة مثل: الملكية الفكرية. وبخلاف البضائع المادية، حيث ينطبق التعريف القانوني للحرمان (حيث تُمَيَّز الملكية الخاصة من خلال منح المرء الحق بحرمان آخر من الاستخدام كالسرقة كونها حرمان للمالك)، فالبضائع الفكرية وغير المادية تعتبر غير مسببة للحرمان، بمعنى أن لديَّ فكرة ما، فإن باستطاعتي منحك إياها

وهي ما زالت فكرتي. بالإضافة إلى ذلك، فإن إنشاء نظام جديد للملكية (من خلال مد وتصعيب الأحكام التاريخية ظاهريًا بقانون حقوق الطبع وبراءة الاختراع) يعد جانبًا أساسيًا من أنماط التجارة التي تطورت لاستغلال الإعلام الجديد منذ عام 1993. وسوف نعود لمناقشة هذه النقطة فيما بعد.

في الواقع، يرتبط موضوع العمل الوجداني بشدة بالعمل اللامادي، حيث يفترض العمل الوجداني أن الكثير من الإنتاج المجهز من خلال الصناعات المبتكرة لم يُصمم للإيفاء بالاحتياجات فحسب بل صُمم للتعبير عن تدفقات الرغبة والارتباط الحسي أو العاطفي (ماسيومي Masumi 2002). وبين ماركس Marx، من ناحية، وديليوز Deleuze وجوتاري Guarrari من ناحية أخرى، يشير المنحنى الوجداني إلى ما وراء الرقمية، نحو ما يُطلِق عليه باتريكيا تيسينتو كلاف Patricia Ticineto Clough (2008) الذاتية "المعالجة حيويًا". علاوةً على ذلك، فإن التشديد على العاطفة يميز بين التشكيلات الفطرية وقبل الفردية من حيث الخبرة الشخصية والمشاعر العاطفية حيث يبدو فيهما التطلع إلى شكل جديد من الذاتية والاجتماعية بينما يرى البعض ، كما ينص عليه تحليل كلاف Clough، إمكانية استخدامه بالإدارة السياسية الحيوية في صورة التعبير العنصري عن المخاوف الثقافية، على سبيل المثال. فمن ناحية، قد أدى هذا الأمر إلى الترحيب بالمحتوى الذي يولده المستخدم باعتباره ديمقراطية جديدة للثقافة في صورة "منتِج" (برونز Bruns 2008). ومن ناحية أخرى، فإن ملاحظة احتشاد المجتمعات متماثلة الفكر وقدرتهم على الانسحاب من المناظرات العامة (صنشتاين Sunstein 2007) كما فتح نقد استغلال العمالة المجانية مجالاً للعمل الوجداني بأشكال جديدة بالمناظرات السياسية (اسكولز Scholz و ليو Liu 2011).

وتُشير عبارة "السياسة الحيوية" إلى التأثير الثالث العظيم على الدراسات الإعلامية الجديدة بالعقد الماضي، أي العودةً إلى عمل الباحث ميشيل فوكولت Michel Foucaul ولكن هذه المرة إلى عمله الأخير عن الحوكمة ولاسيما عن الانتقال من الحكم التأديبي إلى الحكم السياسي الحيوي. أما الأول فيحمل لقب المراقبة الجماعية لبنثام Bentham حيث

يهرب المعتقل من أحد الأبراج المركزية من خلال النوافذ التي يتم الإشراف علي نزلاء السجن بواسطتها في أي وقت بينما يظل الحارس غير مرئي، ومن ثم يتم الإعلان عن عادة التصرف حتى في ظل الرقابة المستمرة من خلال قبول القوانين التأديبية للمؤسسة. والجدير بالذكر أن هذه الرؤية للحكومة المراقِبة قد ألهمت الدراسات الأولى عن مجتمع الرقابة (غاندي Gandy 1993، ليون Lyon 1994) وقد ظلت أيضًا ذات أهمية في ظل التغير المعقد حتى تحليل التداخل التجاري في ظل الرقابة المعاصرة (إلمر Elmer 2004، ليون Lyon 2007). وهذا الوصف يتناسب مع الأهمية الفعلية للشبكات الكمبيوترية المرتبطة ببعضها البعض خلال فترة التسعينات وأوائل الألفينيات، الأمر الذي يتعارض مع سمات الترويج المندفع لـ"المجلة الإلكترونية". وفي بعض النواحي، يمكن النظر إليه باعتباره ما تبقى من الريبة، أو حتى الكراهية، تجاه "العقدة الصناعية- العسكرية" التي اجتاحت الثقافة المضادة خلال فترة الستينيات، حيث اتُهمت الثقافة المضادة، كما يزعم تورنر Turner (2006)، بأنها المسئولة أيضًا عن تطور الدوران الحُر للثقافة الصناعية- العسكرية لوادي السيليكون Silicon Valley.

إن ازدواجية الحكم التأديبي الرقابي واستعارة لفظ الشبكات الكمبيوترية المرتبطة ببعضها البعض كونها أحد حدود عصر ما بعد الوطنية أو معقلاً متحررًا (بارلو Barlow 1996) قد انتشرا، بالرغم من ذلك، في ظل الأزمة العظمى الأولى للتأثير على الوسيط الجديد ألا وهو حادث تحطم الدوت كوم عام 2011. وبعد انتشار موجة من زيادة الاستثمار بالبرمجيات الوهمية دعمًا للاعتقاد بأن الأنماط التجارية التي تُقتبس من إعلام ما قبل الإنترنت هي ثروات حقيقية، حيث إن انخفاض مؤشر نازداك NASDAQ من القمة خلال شهر مارس لعام 2000 من 5132.52 نقطة يبدو كما لو كان يضع نهايةً مناسبة للفترة الأولى من استقرار الشبكات المفتوحة بالانترنت. ولكن، استعجل المتعهدون تعلم الدروس من بضع شركات نجت من هذا الحادث.

وعلى صعيد آخر، بينما استخدمت شركة وورنر تايم آول AOL Time Warner مجموعة من الأنماط التجارية وتكبدت الشركة قدرًا هائلًا من الخسائر، أصبحت هذه

الشركات الثلاث أقوى من زي قبل: أمازون Amazon وإي باي eBay وجوجل Google. أصبحت الشركات الثلاث مخصصة للإنترنت وأسست علاقاتها التجارية وعلاقاتها مع العملاء من خلال شبكة الإنترنت باستخدام التقنيات المباشرة كما أصبحت هذه الشركات رائدة في مجال السوشيال ميديا. علاوةً على ذلك، لعب حادث شركة دوت كوم دورًا فعالاً في تركيز الانتباه على مجال السوشيال ميديا – ويب 0.2 - كتحديد أفضل طريقة للاتصال عبر الانترنت: الاتصال. وبينما خسرت بعض الشركات المبتدئة سوقها الخاص، مثل: فريند فايندر FriendFinder وشركة ماي اسبيس MySpace، ازدهرت بعض الشركات الأخرى، مثل: شركة فيس بوك Facebook وفليكر Flicker وتويتر Twitter ويوتيوب YouTube. وفي الوقت ذاته، فكرت بعض شركات التجزئة مثل: شركة أمازون Amazon ومؤخرًا شركة آي تيونز iTunes في إمكانية العمل بتوصيات العملاء المنتشرة على شبكات التواصل الاجتماعي في ظل المجتمعات ذات الذوق والاهتمام كما أتقنت شركة جوجل فن دعوة المستخدمين للمشاركة في تحسين خدماتها بمئات الطرق بدايةً من توفير بعض سمات تطبيقات جوجل حتى الفولكسونومي (هو ترتيب محتويات موقع بطريقة تعاونية بين المستخدمين باستخدام كلمات تُربط بكل محتوى بغرض وصفه، و تُعرف هذه الكلمات بالبطاقات) الذي يوفر بطاقات متغيرة للمادة التي تتملص من البحث عن الكلمات النموذجية مثل: الموسيقى أو الصور أو الفيديو.

ويدفعنا ذلك إلى للتطرق إلى واحدة من أهم المشكلات الأساسية في مجال الدراسات الإعلامية خلال فترة الألفينيات . ففي عام 1977، أشار الباحث دالاس سميث Dallas Smythe (1994) إلى أن اقتصاديات الإعلانات قد اعتمدت على العمل غير المدفوع للفت الانتباه والذي تُبديه الجماهير تجاه المحطات التليفزيونية التي قد تُباع لأصحاب الإعلانات. أما في حالة الإنترنت، لا يلتفت المستخدمون أو يدفعون (كالجماهير التليفزيونية) للأجهزة المطالبَة بذلك فحسب، بل يُنتجون أيضًا المحتوى الذي من شأنه جذب الانتباه ومن ثم، الحصول على العائد الإعلاني. وحتى لو كانت أطروحات العمل غير المادي أو الفعال غير صحيحة، يظل اتهام الإنترنت قائمًا حيث يبدو كخلفية في حين

أنه يُعد مصنعًا للأنشطة الهزلية التي تُصبح فيما بعد ملكية فكرية لملاك البوابة الإلكترونية أو يقوم بتوفير محتوى غير مدفوع والذي من شأنه إثراء أصحاب الإعلانات أو يقوم بكلا الأمرين معًا.

والجدير بالذكر أن هذا الأمر يُشكل السوق، ولكن إلى حدٍ مثير للجدل. فبينما اعتبر علماء الماركسية (الذي درسوا نظرية الأنظمة والاتجاهات الفكرية المعاصرة الأخرى) مثل: كريستيان فوتشز Christian Fuchs (2008) أن هذا الأمر يعد من أعظم صور استغلال رأس المال، يرى آخرون أنه بداية لظهور نوع جديد من الاقتصاد. وفي رؤية أولية لهذه النظرية، يفترض ريتشارد باربروك Richard Barbrook (1998) أن اقتصاد الإنترنت ما هو إلا مجال مختلط حيث يرتبط أحد جانبيه بالاقتصاد الرأسمالي القديم بينما يرتبط الجانب الآخر بنشأة اقتصاد الهبة. وقد أصبح هذا الافتراض بمثابة منصة عملية لمتطوري البرامج الإلكترونية بحركة البرامج الإلكترونية المجانية مفتوحة المصدر (FLOSS)، كما ينص عليه عمل الباحث ريتشارد ستولمن Richard Stallman (2002) كما تم الترويج بشدة لهذا الافتراض من جانب حركة النظراء (P2P) ولا سيما عن طريق المروج لمؤسسة النظراء العالم ميشيل باونز Michel Bauwens (انظر باونز Bauwens 2005). وكان الموضوع الأساسي لما كتبه باونز Bauwens ينحصر في طريقة عمل اقتصاد الهبة. وفي بعض الأمثلة مثل: نظام التشغيل لينكس Linux وموسوعة الويكيبديا، قد يمنح مستخدم واحد عشر ساعات للعمل، وفي المقابل يحصد ثمار آلاف، بل آلاف الآلاف من الساعات. وقد تناسب هذا المبدأ مع مشروعات العالم الفعلي التي تتمثل في تصميم سيارة صديقة للبيئة (مفتوحة المصدر أو الأوسكار)، والقروض متناهية الصغر التي يقدمها بنك جرامين Grameen Bank، وموقع كيك ستارتر Kickstarter (وهو موقع يقوم المبتكرون، وآخرون بعرض المشروعات به، ودعوة المستثمرين للاستثمار بمبالغ صغيرة مقابل عائدات صغيرة أو عائدات رمزية صافية). ويعترف باونز Bauwens، منظم المؤتمرات الماهر والناشط العام، بكل حرية أن تجارة الموجودات (أو الأصول الثابتة) ما زالت تتطلب استثمارًا لرأس المال ولكنها تتطلع إلى استبدال المنظومة المصرفية تدريجيًا بمبادلة اقتصادية أكثر شخصية وارتباطًا. ويُمثل باونز Bauwens –

وآخرون، من أبرزهم المفكر المتطرف أندري جورز Andre Gorz (2010) ومجتمع أوكونكس Oekonux (www.oekonux.org) – النهاية الجذرية للنطاق الذي يضم أيضًا نجوم العُرف الليبرالي أمثال: ليسيج Lessig (2004، 2006) وفون هيبل Von Hippel (2005) وبينكلر Benkler (2006). وفي النهاية المتحفظة لهذا النطاق، يفترض فون هيبل Von Hippel امتدادًا لمبدأ المستهلك حيث يتأهب المستهلك والأعمال التجارية، وفقًا لهذا المبدأ، للمكسب عندما يتعهد المستهلك بالعناصر النهائية للإنتاج والتي تتمثل في تصميمات المطابخ بالصناعة المناسبة وتجميع تصميم لسيارة من قائمة من الخيارات أو تركيب البرامج الإلكترونية والمواصفات الأخرى بجهاز كمبيوتر جديد. ويُضيف فون هيبل Von Hippel أنه يمكن تطبيق هذا المبدأ ليشمل المحتوى الذي يولده المستخدم على شبكة الإنترنت، والذي يشمل تطوير البرامج الإلكترونية والأعمال التصورية (أو "اللامادية") المبتكرة الأخرى. ويُشيد بنينكلر Benkler بأهمية هذه العملية في تجديد رأس المال. وبالإضافة إلى ليسيج Lessig، كان بينكلر Benkler صوتًا لا يُستهان به في الحملات المناهضة لجمود قوانين الملكية الفكرية التي تُسن وتُطبق بالمحاكم القومية والدولية. علاوةً على ذلك، فقد كان هناك عنصران رئيسيان في تأسيس مؤسسة المشاع الإبداعي، التي تُصدر رخصًا للملكية الفكرية أكثر تنسيقًا من رخصة جنو GPL لستولمن Stallman (www.fsf.org) التي تضمن للمؤلف الاحتفاظ بشيء من حقوقه بمنتجه.

إن النزاعات القائمة بشأن الملكية الفكرية قد احتدت جزئيًا ليس بسبب تضمينهم المنافع الاقتصادية فحسب، بل لتضمينهم مبادئ الاشتراكية ونظم الحُكم أيضًا، ولا سيما ما يُسمى بأخلاق القرصان (ليفي Levy 1984؛ هيمانين Himanen 2001): وهو المبدأ الذي يضمن الدخول للمعلومات بشكل شامل وبلا حدود. ولا يتعارض هذا المبدأ مع مبادئ الملكية الخاصة فحسب بل يتعارض أيضًا مع أخلاق الإعلام المهني – وأبرزها حالة الويكليكس – ومبادئ السلطة المركزية. وخلال الفترة الأولى من نشأة الاتصالات على شبكة الإنترنت، ظهرت استعارة محببة وهي الجُذمور، وهو بحثٌ اقترحه الفيلسوفان الفرنسيان ديلويز Deleuze وجاتاري Guattari عام 1980. وأضاف الفيلسوفان أن

الشكل النموذجي للسُلطة يشبه الشجرة، حيث تبدو ككائن حي واحد مُثبت بجذوره في مكانه. وتربط المنظمة الجُذمورية مئات الأجسام شبه المستقلة بمجمع معقد متضامن واحد.

بالإضافة إلى الاستعارات عن الرحالة - ... - والفضاء الأملس (الذي يسمح بالتدفقات) في مقابل الفضاء الهرمي المخطط الساكن كما تعرض الجذمورة صورة واضحة لميوعة التجربة الأولى للشبكة المترابطة . وبالرغم من ذلك، في منتصف فترة التسعينيات، بدأت مجموعة الفنون النقدية Critical Art Ensemble (1994) لتتجلى نشأة الأشكال الإبداعية للثقافة الرأسمالية المشتركة التي بدأت بالفعل في توظيف هذه الخصائص بالاهتمامات التي يصفها ديفيد هارفي David Harvey بأنها "تجمع مرن".

في ظل نفس المحيط الفكري الإيطالي حيث تطبيق أفكار ماركس Marx وديلويز Deleuze وفوكولت Foucault معًا، وُصفت ظروف التوظيف المحدودة من حيث كونها نقدية بالنسبة لسياسة النشطاء الجدد والتحليل الإعلامي للتشكيلات الإعلامية الجديدة كالوجود العارض. وقد تتبع رونيج Raunig تاريخ هذا المصطلح عام 2010. عند تكرار هذا المصطلح للمرة الأولى، نجد أن الوجود العارض هو مصطلح يشير إلى حالة عمال المصنع المهددين بالطرد من الخدمة، وقد امتد هذا المصطلح ليشمل الجيش الاحتياطي للعمل والذي استمد منه كارل ماركس Marx هذا المصطلح اللعين "لومبنبروليتريا Lumpenproletariat " (دون أو تحت البروليتاريا) : أي المهاجرين والمتشردين والخارجين عن القانون والاقتصاد الموازي. وبالرغم من ذلك، كان يُنظر للموضوعات الأصلية للعمل البريكارتي (ذو الوجود العارض) والظروف الاجتماعية البريكارتية باعتبارها علم دراسة الضحايا، حيث يدرس الطبقة السلبية التي تكافح دون موارد. وفي إعادة تقييم لهذه الدراسة المرتبطة بسياسة عدم العمل والخروج من عالم الرأسمالية، كان يُنظر للبريكارتية أو الوجود العارض باعتباره حالة منتجة للتحرر من الرأسمالية. وقد انضمت الفكرة سريعًا لثقافة القرصنة الموجودة بالفعل وكذلك عالم الجريمة البوهيمي بأوروبا والمدن الأمريكية الشمالية والجنوبية. ويُنظر للوجود العارض بأنه الحالة التي

تسمح للمرء بالحصول على وظيفة مؤقتة لاستثمار وقته وطاقته بالفنون الابتكارية وبناء المجتمع أو بأي نشاط مستقل آخر مصممًا للسعادة أو المشاركة فضلاً عن الربح (براردي Berardi 2009، n.d).

دراسة عن ممارسة الإعلام الجديد

إن الإثنوغرافيا النقدية (وهي علم دراسة الأجناس والسلالات البشرية وعاداتها) التي أطلقها ديفيد مورلي David Morely (1980) فيما يتعلق بالجماهير التليفزيونية قد توافقت سريعًا مع الأعراف القديمة التي تتمثل في علم الاجتماع الفرعي لبيكر Becker بكتابه (Outsiders أو الدخلاء) عام 1966 وأنثربولوجيا المؤسسات (علم الأجناس البشرية) بداية من ألفارادو Alvarado وبيسكومبي Buscombe 1978 حتى بورن Born 2005). ويوظفوا اجتماع بالثقافات الفرعية لكل من بشبكة الإنترنت أو بأجهزة الكمبيوتر الكثير من الأساليب الأساسية لعلماء الاجتماع وعلماء الأنثربولوجيا القدامى. علاوةً على ذلك، فإن الأعمال البارزة للباحث كيدر Kidder عام 1981 عن مهندسي البرامجيات والباحثة تيركل Turkle (عام 1984) قد مهدت الطريق لنوع معين من إثنوجرافيا الإنترنت التي وضعها مؤسسي جمعية أبحاث الإنترنت Association of Internet Researchers (مثل: جونز Jones 1999). ونظرًا لأن الهواة يرتبطون بالإنترنت تمامًا كما يرتبط البط بالماء، فقد اكتملت الدراسات الأولى عن أدب الهواة Fan Literature (مثل: فيرموريل Vermorel 1989، الذي اعتمد على الخطابات التي أُرسلت إلى ديفيد بووي David Bowie وآخرين) بالدراسات التي اعتمدت على الدخول السهل لأرشيفٍ هائل من التفاعلات والقصص والفنون والمحادثات على شبكة الإنترنت. وقد عززت هذه الأبواب قوة الأدب في مجال إثنوجرافيا الإنترنت، وهي ممارسة جديدة تعتمد بشكل هائل على المواد النصية التي تتشاركها مجتمعات الهواة (وقد يكون محتوى بصري أو سمعى محدود).

وهناك سمة استثنائية لهذا النمط من علم الإثنوجرافيا وهي أن الباحث قد لا يلتقي مطلقًا بالأشخاص محل الدراسة مما يضع كثيرًا من التحديات أمام بممارسات الإثنوجرافيا

القديمة حيث كانت النماذج العاطفية مثلاً جزءًا بصريًا أو سمعيًا لا يتجزأ من هذه المقابلة. وبالتالي، مازال الكثير من تحليلات الجماهير يعتمد على الجماليات والتفسيرات النصية.

زاد اهتمام "الجمهور" بدراسة الألعاب ولاسيما الخالية من التدريب الذي ناله الباحثون القدامى بدراسة الأفلام بدايةً من خلال المناظرات التي اندلعت بشأن "علم دراسة الألعاب" خلال فترة التسعينيات (أرثيث Aarseth 1997) واليوم بسبب المزيج الغني للأعراف التي ازدهرت خلال وقتنا الحالي (وولف Wolf وبيرون Perron 2003؛ بيرون Perron وولف Wolf 2009). بالإضافة إلى ذلك، فهناك عدد من النصوص المؤثرة، ولاسيما النصوص الأمريكية، التي تتناول الأشكال الثقافية للإعلام الجديد (بولتر Bolter وجروسن Grusin 1999؛ مانوفيتش Manovich 2001؛ جينكينز Jenkins 2008). وبجانب ذلك، فقد شدد جينكينز Jenkins بشكل خاص على السلطة التي يتمتع بها الجمهور الفعال في إنشاء المعاني والثقافات أما الآن فقد ساعدت الأدوات الرقمية على إنشاء ومشاركة الأدوات الثقافية. علاوةً على ذلك، فهناك مجموعة من الأسئلة المبتكرة ترتبط بالبحث الذي أجراه كل من سيلفرستون Silverstone وهيرسك Hirsch (1992) بشأن المعاني واستخداماتها في مجال التكنولوجيا المحلية. وفي كثير من الجوانب، فتحت هذه الدراسات، التي تطرقت أيضًا إلى سجل التصميمات ثم الدراسات التي تمت بمجال العلوم والتكنولوجيا، السبيل لمزيد من الأبحاث الاجتماعية بالغة الأهمية من بينها الدراسات التي أُجريت في مجال الألعاب والبرامج الالكترونية. وهناك جانب شديد الأهمية تناوله الباحثان سيلفرستون Silverstone وهيرسك Hirsch في أعمالهما ، وكذلك مورلي Morley خلال بحثه المستمر، ألا وهو التعبير عن هذه الجوانب الثقافية للاستهلاك بمنظمة العمل في مجال الاقتصاد الرقمي. ويعد هذا الأمر بمثابة تقدم بالغ بشأن المعلومات القديمة بمجال الدراسات الإعلامية التي، شأنها في ذلك شأن الدراسات الثقافية، التي تجنبت تحليل مكان العمل باعتباره بيئة ثقافية صريحة. ومن ناحية، لاحظ المحللون الأوائل تغيير مكان العمل وبلترة العمل المكتبي (عملية الوصول إلى الوضع البروليتاريّ) (برافرمان Braverman 1974)، ومن ناحية أخرى، لاحظوا إخفاق الإعلام الجديد وحده في توفير الكفاءات المتوقعة حيث اعتاد العمال إفساد أجهزة الكمبيوتر

بالعمل واستخدامها لأجل الترفيه أو لأغراض شخصية أخرى (سبيرول Sproull وكيسلر Kiesler 1991). علاوةً على ذلك، فإن تحليلات الإعلام وثقافات مكان العمل الرقمي كما تناولتها بعض الأعمال مثل البحث الذي أجراه كل من كنور ستينا -Knorr Cetina وبروجر Brugger (عام 2002) وهو دراسة عن صناعة المالية والتي تشير إلى زيادة الاهتمام بإعلام موقع العمل وكذلك الترفيه والوظائف الإخبارية.

ومن الصعب الفصل بين الوساطة في العمل خلال القرن الحادي والعشرين والتغيرات التي طرأت على وساطة السُلطة. بالإضافة إلى ذلك، فإن اختزال الحياة السياسية إلى الإدارة السكانية السياسية الحيوية لا يُعد أمرًا فعالاً بالضرورة كما تفترض بعض البرلمانات في بريطانيا واستراليا، كالعلاقات الجامدة بين الرئاسة والكونجرس في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعليق البرلمان الكندي. علاوةً على ذلك، فإن الحدث السياسي - كونه حدثًا يغير التاريخ - يبدو نادرًا في نطاق الحياة السياسية (باديو Badiou 2006) وكما يقول مؤلفو النصوص النشطة الحديثة، فإن المشكلة بأحداث باديو Badiou أنها تبدو جميعًا أحداث ماضية (بابادبيولس وآخرون Papadopoulos،2008). وكما تقول جودي دين Jodi Dean (2009) أن كل ما اكتسبناه من Web 2.0 (وهي المرحلة الثانية لتطور الإنترنت) ينحصر في الالتزام بموقع تويتر، حيث إننا لا نشعر بمثل هذا الالتزام في الاستماع أو الاستجابة. وتضيف الباحثة أن هذا الاتجاه قد تطور في حالة السياسيين، فإن عبارة مثل "إنني أسمعك" التي تلفظها الرئيس أو رئيس الوزراء تعني "لابد أن أمنحك حقك في الكلام بحرية ولكنني لا أملك أي رغبة في الاهتمام بوجهة نظرك." ولهذا السبب أصبحت الشبكات النشطة أكثر أهمية بالنسبة للدراسات الإعلامية. وبخلاف عمال المالية، يتنازع النشطاء باستمرار بشأن سبب وكيفية التشغيل والتي تتضمن طبيعة البرامج الإلكترونية التي يقومون بتشغيلها (كيلتي Kelty ، 2008).

وقد امتد هذا الأمر ليشمل الاتجاه الحديث الناشئ بمجال الدراسات الإعلامية الجديدة كالنقد البيئي للمادة، أو الإنتاج، أو استخدام الطاقة، أو إعادة تدوير الأجزاء الرقمية الرئيسية بأجهزة الكمبيوتر.

وتخاطب هذه الدراسات، على سبيل المثال، الاعتماد السيئ لصناعة الهواتف المحمولة على الكولتان (وهو خام طبيعي هام في صناعة الأجهزة الحديثة) الذي يستخرجه عمالة الأطفال من شرق الكونغو التي دمرتها الحرب حيث الدمار المتواصل للموطن وفقدان فصيلة غوريلا الجبل (هايزHayes وبيرج Burge 2003). ونظر البعض إلى الآثار البيئية والصحية الناتجة عن تصنيع أشباه الموصلات (هولدن Holden وكيلتي Kelty، 2005) ونوعية الطاقة المستخدمة في الحوسبة السحابية (كوبيت Cubitt وآخرون، 2010) بينما أعقب قدر هائل من الأعمال شبكة عمل بازل Basel Action Network (2002، 2005) من حيث إنتاج مستهلك للفضلات الإلكترونية بكليهما (جروسمان Grossman 2007) وكذلك مواصفات العمالة في مجال معالجة المخلفات السامة (ماكسويل Maxwell وميلر Miller 2008؛ فيلهور Feilhauer وزيحل Zehle 2009). وتشير الدلائل أيضًا إلى أن المعادن الاستراتيجية غير كافية للاستمرار بالفعل بمعدلات النمو الحالية وهناك خلافات حول ما إذا كانت الحلول الفنية أو الإجراءات التقشفية أفضل في هذه الحالة.

إن السمات الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والبيئية للاتصالات الإلكترونية والإعلام الجديد عمومًا قد أصبحت متغيرة. علاوةً على ذلك، فسوف يتزايد نضال الهيمنة من خلال تسريع "إنترنت الأشياء" والحوسبة واسعة الانتشار، وسوف يستمر التقسيم الرقمي في التزايد وسوف يتطور الدخول إلى الأجهزة رديئة المستوى والمهارات بالدول النامية وبين المتشردين بالمناطق الثرية. ومن غير المعتاد الترويج للدفاع عن البيئة في مجال السياسة المعيارية، ليس فقط عندما احتلت شركات البترول والسيارات أول عشر شركات بقائمة فوتشين 500 (Fotune 500) (وهي قائمة سنوية تقوم بتجميعها ونشرها مجلة فورتشن، المجلة التي تضع ترتيباً لأعلى 500 شركة مساهمة أمريكية حسب إيراداتها بعد إجراء بعض التعديلات لاستثناء تأثير الضرائب التي تتحملها تلك الشركات) عام 2010 حيث انضمت الشركات المالية التي انتفعت من دين المستهلك المرتبط بالبيوت والسيارات وأجهزة الكمبيوتر، بالطبع. بالإضافة إلى ذلك، فإن المطالبات بدمج "الأسواق الناشئة" بالاقتصاد العالمي سوف يجعل العمالة البشرية أرخص من إعادة تدوير المنظمات الآلية مما يضمن أهمية المواصفات القياسية الفنية. وفي هذا النطاق، فإن نجاح

تصميم لوحة المفاتيح من طراز كويرتي QWERTY هو أمر مثير للاهتمام، حيث أصبح مسؤولاً عن وباء إصابة الساعِد بين مستخدمي أجهزة الكمبيوتر وقد تطور هذا النموذج للإبطاء من حركة الطابعين وذلك من خلال وضع الحروف في ترتيب أقل براعة، وبالرغم من مرور 140 عامًا إلا أنها ما زالت منتشرة. وبالتالي، فإن البراعة والأناقة لا يضمنان الوصول إلى المواصفات القياسية التي تعتمد على التفاعل بين الاقتصاد والسياسة والقصور الثقافي.

وفي الوقت ذاته، فإن بعض الاحتكارات، مثل: احتكار شركة IBM ومايكروسوفت والآن، جوجل وفيس بوك، سوف تستمر لتميز المشهد الإعلامي الذي يتطور سريعًا، وتشير المشاركة الجماهيرية للمستخدمين بالإعلام الجديد بأن المعارك جميعها لا يمكن خسارتها. بالإضافة إلى ذلك، فإن تاريخ الابتكار الذي يصنعه المستخدم يشير أيضًا إلى الاتجاه المعاكس وهو ضرورة مراعاة الشركات والحكومات للابتكار بقاعدة الاتصالات الشبكية وأن الاقتصاد السياسي لحقوق الملكية الفكرية والإقصاء لم يعد يتناسب مع الظروف الجديدة. وفي المستقبل القريب، نتوقع رؤية مجالين عظيمين للخلاف ألا وهما الخدمة مفتوحة المصدر والخدمة الكونية. أما المجال الأول، فإنه يتعرض بالفعل لهجومٍ بسبب الخلافات بشأن تنفيذ الإصدار (6) من HTML5 و IP بينما يتم الاختلاف بوضوح على المجال الثاني في مجال استخدام التجسس السياسي والصناعي خلال الهجوم العظيم على الانترنت بشأن مسئولي الدفاع الأمريكيين والهيئة العسكرية التي نشأت على ما يبدو بالصين. لم تعد شبكة الإنترنت شيئًا دخيلاً بل أصبحت محلاً لمعركة هائلة بين ثلاث قوى: الدولة وظهور وتطور الاقتصاد الجديد بدول بريكس BRICK (وهي: البرازيل وروسيا والهند والصين وكوريا)، والسوق الذي هيمنت عليه حقوق الملكية الفكرية، والقوى المحلية للشركات الربحية مثل: جوجل والشركات غير الربحية مثل: لينكس. وسوف يتطور شكل القوى المحلية الجديدة خلال فترة من الضغط المكثف لضمان الالتفات إلى مزاعم التشكيلات الأقدم. وبالتالي، فإننا على وشك الوصول إلى مرحلة من انتشار التفاعل الإبداعي (جونتيلت Gauntlett 2011) وإلا سنواجه مزيدًا من الاحتكار (كما هو

الحال بالأسواق الأساسية للبرامج الإلكترونية) والتحكم السياسي (كما بمشروع الدرع الذهبي بالصين China's Golden Shield policy). ومن غير المحتمل أن تفتقر الدراسات الإعلامية الجديدة إلى موضوعات الدراسة أو الهدف العام للمشاورات.

المراجع

Aarseth, E. (1997) *Cybertext: Perspectives on Ergodic Literature*. Baltimore, MD: Johns Hopkins, University Press.

Alvarado, M. and Buscombe, E. (1978) *Hazell: The Making of a Television Series*. London: BFI.

Anderson, B. (1983) *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. London: Verso.

Aug´e, M. (1995) *Non-Places: Introduction to an Anthropology of Supermodernity*, trans. J. Howe. London: Verso.

Badiou, A. (2006) *Being and Event*, trans. O. Feltham. New York: Continuum.

Barbrook, R. (1998) "The Internet Gift Economy". *First Monday*. http://firstmonday.org/htbin/cgiwrap/bin/ojs/index.php/fm/article/view/1517/1432.

Basel Action Network (2002) *Exporting Harm: The High-Tech Trashing of Asia*. www.ban.org/E-waste/technotrashfinalcomp.pdf.

Basel Action Network (2005) *The Digital Dump: Exporting High-Tech Re-use and Abuse to Africa*. www.ban.org/BANreports/10-24-05/index.htm.

Bauwens, M. (2005) "The Political Economy of Peer Production." *C-Theory*. www.ctheory.net/articles.aspx?id=499.

Becker, H. S (1966) *Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance*. New York: Macmillan.

Benjamin,W.(1969) "The Work of Art in the Age of Mechanical Reproduction" in H. Arendt, ed., *Illuminations*, trans. H. Zohn. New York: Schocken, pp. 217-251.

Benjamin, W. (2003) "The Work of Art in the Age of its Technological Reproducibility: Third Version" in H. Eiland and M.W. Jennings, eds., *Selected Writings*, vol. 4: *1938-1940*. Cambridge, MA: Bellknap Press/Harvard University Press, pp. 251-283.

Benkler, Y. (2006) *The Wealth of Networks: How Social Production Transforms Markets and Freedom*. New Haven, CT: Yale University Press.

Berardi, F. ("Bifo") (2009) *Precarious Rhapsody: Semiocapitalism and the Pathologies of the Post-Alpha Generation*, trans. A. Bove, E. Empson, M. Goddard, et al. London: Minor Compositions.

Berardi, F. ("Bifo") (n.d.) "Info-Labour and Precarisation," trans. E. Empson. www.generation-online.org/t/tinfolabour.htm.

Bolter, J.D. and Grusin, R. (1999) *Remediation: Understanding New Media*. Cambridge, MA: MIT Press.

Born, G. (2005) *Uncertain Vision: Birt, Dyke and the Reinvention of the BBC*. London: Vintage.

Braverman, H. (1974) *Labour and Monopoly Capital: The Degradation of Work in the Twentieth Century*. New York: Monthly Review Press.

Bruns, A. (2008) *Blogs, Wikipedia,* Second Life*, and Beyond: From Production to Produsage*. New York: Peter Lang.

Castells, M. (2000 [1996]) *The Rise of the Network Society*, *The Information Age: Economy, Society and Culture Vol. I*. Cambridge, MA; Oxford, UK: Blackwell.

Castells, M. (2004 [1997]) *The Power of Identity*, *The Information Age: Economy, Society and Culture Vol. II*. Cambridge, MA; Oxford, UK: Blackwell.

Castells, M. (2000 [1998]) *End of Millennium*, *The Information Age: Economy, Society and Culture Vol. III*. Cambridge, MA; Oxford, UK: Blackwell.

Castells, M. (1998) *The Information Age: Economy, Society and Culture volume 3: End of Millenium*. Oxford: Blackwell.

Chakravartty, P. and Sarikakis, K. (2006) *Media Policy and Globalization*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Chomsky, N. (2003) *Media Control: The Spectacular Achievements of Propaganda*, 2nd edn, New York: Open Media.

Clough, P.T. (2008) "The Affective Turn: Political Economy, Biomedia and Bodies". *Theory Culture Society* 1(25), 1-22.

Collins, R. (2010) *Three Myths of Internet Governance*. Bristol: Intellect.

Commission of the European Communities (1984) *Television Without Frontiers, COM (84) 300 Final*. Brussels: CEC.

Crafton, D. (1997) *The Talkies: American Cinema's Transition to Sound*. Berkeley, CA: University of California Press.

Critical Art Ensemble (1994) *The Electronic Disturbance*. Brooklyn, NY: Autonomedia.

Cubitt, S., Hassan, R., and Volkmer, I. (2010) "Does Cloud Computing Have a Silver Lining?" *Media Culture & Society*, 32(2), 149-158.

Curran, J. and Park, M.-J., eds. (2000) *De-Westernizing Media Studies*. London: Routledge.

Dean, J. (2009) *Democracy and Other Neoliberal Fantasies: Communicative Capitalism and Left Politics*. Durham, NC: Duke University Press.

Debray, R. (1996) *Media Manifestos: On the Technological Transmission of Cultural Forms*, trans. E. Rauth. London: Verso.

Debray, R. (2000) *Transmitting Culture*, trans. E. Rauth. New York: Columbia University Press.

Debray, R. (2004) *God: An Itinerary*, trans. J. Mehlmann. London: Verso.

Deleuze, G. and Guattari, F. (1980) *Mille plateaux (Capitalisme et Schizophr´enie II) [A Thousand Plateaus]*. Paris: Editions de Minuit.

deNardis, L. (2009) *Protocol Politics: The Globalization of Internet Governance*. Cambridge, MA: MIT Press.

Elmer, G. (2004) *Profiling Machines: Mapping the Personal Information Economy*. Cambridge, MA: MIT Press.

Feilhauer, M. and Zehle, S., eds. (2009) "Ethics of Waste in the Information Society", special issue of *International Review of Information Ethics*, 11.

Froomkin, A.M. (2003) "Habermas@Discourse.net: Toward a Critical Theory of Cyberspace." *Harvard Law Review*, 116, 751-873.

Fuchs, C. (2008) *Internet and Society: Social Theory and the Information Age*. London: Routledge.

Gandy, O.H. Jnr. (1993) *The Panoptic Sort: The Political Economy of Personal Information*. Boulder, CO: Westview Press.

Gauntlett, D. (2011) *Making Is Connecting: The Social Meaning of Creativity, from DIY and Knitting to YouTube and Web 2.0*. Cambridge: Polity.

Gitelman, L. (1999) *Scripts, Grooves, and Writing Machines: Representing Technology in the Edison Era*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Gitelman, L. (2006) *Always Already New: Media, History, and the Data of Culture*. Cambridge, MA: MIT Press.

Goldsmith, J. and Wu, T. (2008) *Who Controls the Internet: Illusions of a Borderless World*. Oxford: Oxford University Press.

Gomery, D. (2005) *The Coming of Sound: A History*. London: Routledge.

Gorz, A. (2010) *Ecologica*, trans. C. Turner. London: Seagull.

Grau, O. (2003) *Virtual Art: From Illusion to Immersion*. Cambridge, MA: MIT Press.

Grossman, E. (2007) *High Tech Trash: Digital Devices, Hidden Toxics, and Human Health*. Washington, DC: Shearwater.

Harvey, D. (1989) *The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change*. Oxford: Blackwell.

Hassan, R. (2003) *The Chronoscopic Society: Globalization, Time and Knowledge in the Networked Economy*. New York: Lang.

Hayes, K. and Burge, R. (2003) *Coltan Mining in the Democratic Republic of Congo: How Tantalum-Using Industries Can Commit to the Reconstruction of the DRC*. Cambridge: Fauna & Flora International.

Himanen, P. (2001) *The Hacker Ethic and the Spirit of the Information Age*. New York: Random House.

Holden, J. and Kelty, C. (2005) "The Environmental Impact of the Manufacturing of Seminconductors". *Connections*. http://cnx.org/content/m14503/latest.

Huhtamo, E. (2005) "Slots of Fun, Slots of Trouble. Toward an Archaeology of Electronic Gaming" in J. Raessens and J. Goldstein, eds., *Handbook of Computer Games Studies*. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 1-21.

Huhtamo, E. (2006) "Twin-Touch-Test-Redux: Media Archaeological Approach to Art, Interactivity, and Tactility" in O. Grau, ed., *MediaArtHistories*. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 71-101.

Huhtamo, E. (2007) "The Urban Spirograph, or an Archaeology of a Loser". Paper presented at the FIAF Congress 2007, Tokyo, Japan (April 7-12).

Jenkins, H. (2008) *Convergence Culture: Where Old and New Media Collide*, rev. edn. New York: New York University Press.

Jones, S.G., ed. (1999) *Doing Internet Research: Critical Issues and Methods for Examining the Net*. London: Sage.

Kelty, C.M. (2008) *Two Bits: The Cultural Significance of Free Software*. Durham, NC: Duke University Press.

Kidder, T. (1981) *The Soul of a New Machine*. Harmondsworth: Penguin.

Kittler, F.A. (1997) *Literature, Media, Information Systems: Essays*, ed. J. Johnston. Amsterdam: G+B Arts International.

Kittler, F.A. (1999) *Gramophone, Film, Typewriter*, trans. G. Winthrop-Young and M. Wutz. Stanford, CA: Stanford University Press.

Kittler, F.A. (2010) *Optical Media: Berlin Lectures 1999*, trans. A. Enns. Cambridge: Polity.

Knorr-Cetina, K. and Br¨ugger, U. (2002) "Traders' Engagement with Markets: A Postsocial Relationship." *Theory Culture & Society* 19(5/6), 161-185.

Lazzarato, M. (1996) "Immaterial Labour", trans. P. Colilli and E. Emery, in M. Hardt and P. Virno, eds., *Radical Thought in Italy: A Potential Politics*. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, pp. 133-147.

Lessig, L. (2004) *Free Culture: How Big Media Uses Technology and the Law to Lock Down Culture and Control Creativity*. New York: Penguin.

Lessig, L. (2006) *Code v.2: Code and Other Laws of Cyberspace*, rev. edn. New York: Basic Books.

Levy, S. (1984) *Hackers: Heroes of the Computer Revolution*. New York: Anchor Press/ Doubleday.

Lyon, D. (1994) *The Electronic Eye: The Rise of Surveillance Society*. Cambridge: Polity.

Lyon, D. (2007) *Surveillance Studies: An Overview*. Cambridge: Polity.

Mackenzie, A. (2008) "Codecs" in M. Fuller, ed., *Software Studies: A Lexicon*. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 48-55.

MacLean, D. (2003) "The Quest for Inclusive Governance of Global ICTs: Lessons from the ITU in the Limits of National Sovereignty." *Information Technologies and International Development*, 1(1), 1-18.

Manovich, L. (2001) *The Language of New Media*. Cambridge, MA: MIT Press.

Massumi, B. (2002) *Parables for the Virtual: Movement, Affect, Sensation*. Durham, NC: Duke University Press.

Mattelart, A. (1994) Mapping World Communication: War, Progress, Culture, trans. S. Emmanuel and J.A. Cohen. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Mattelart, A. (1996) *The Invention of Communication*, trans. S. Emanuel. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Mattelart, A. (2000) *Networking the World 1794-2000*, trans. L. Carey-Liebrecht and J. Cohen.

Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Maxwell R. and Miller, T. (2008) "Creative Industries or Wasteful Ones?" *Urban China* 33, 122.

McChesney, R.W. (2008) *The Political Economy of Media: Enduring Issues, Emerging Dilemmas*. New York: Monthly Review Press.

McLuhan, M. (1964) *Understanding Media: The Extensions of Man*. London: Sphere.

Mitchell, W.J. (1992) *The Reconfigured Eye: Visual Truth in the Post-Photographic Era*. Cambridge, MA: MIT Press.

Morley, D. (1980) *The "Nationwide" Audience*. London: BFI.

Morley, D. (2000) *Home Territories: Media, Mobility and Identity*. London: Routledge.

Morley, D. (2007) *Media, Modernity and Technology: The Geography of the New*. London: Routledge.

Morley, D. and Robins, K. (1995) *Spaces of Identity: Global Media, Electronic Landscapes and Cultural Boundaries*. London: Routledge.

Mueller, M.L. (2004) *Ruling the Root: Internet Governance and the Taming of Cyberspace*. Cambridge, MA: MIT Press.

O'Siochr ́ u, S. and Girard, B. with Mahan, A. (2002) *Global Media Governance: A Beginner's Guide*. New York: Rowan and Littlefield.

Papadopoulos, D., Stephenson N., and Tsianos, V. (2008) *Escape Routes: Control and Subversion in the Twenty-first Century*. London: Pluto.

Parikka, J. (2007) *Digital Contagions: A Media Archaeology of Computer Viruses*. New York: Peter Lang.

Parikka, J. (2012) *What is Media Archaeology?* Cambridge: Polity.

Perron, B. and Wolf, M.J.P., eds. (2009) *The Video Games Theory Reader 2*, 2nd edn. New York: Routledge.

Raunig, G. (2010) *A Thousand Machines*, trans. A. Derieg. New York: Semiotext(e).

Ritchin, F. (1990) *In Our Own Image: The Coming Revolution in Photography*. New York: Aperture Foundation.

Robins, K. (2007) "Transnational Cultural Policy and European Cosmopolitanism." *Cultural Politics* 3(2), 147-174.

Rodowick, D.N. (2007) *The Virtual Life of Film*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Sassen, S. (1991) *The Global City: New York, London, Tokyo*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Sassen, S. (1994) *Cities in a Global Economy*. Thousand Oaks, CA: Pine Forge.

Scholz, T. and Liu, L.Y. (2011) *From Mobile Playgrounds to Sweatshop City*, Situated Technologies Pamphlets 7. New York: Architectural League of New York.

Silverstone, R. and Hirsch, E., eds. (1992) *Consuming Technologies: Media and Information in Domestic Spaces*. London: Routledge.

Smythe, D. (1994) [1977] "Communications: Blindspot of Western Marxism" in T. Guback, ed., *Counterclockwise: Perspectives on Communication*. Boulder, CO: Westview Press, 266-291.

Sproull, L. and Kiesler, S. (1991) *Connections: New Ways of Working in the Networked Organisation*. Cambridge, MA: MIT Press.

Stallman, R.M. (2002) *Free Software, Free Society: Selected Essays*, ed. J. Gay. Boston, MA: GNU Press/Free Software Foundation.

Sterne, J. (2003) *The Audible Past: Cultural Origins of Sound Reproduction*. Durham, NC: Duke University Press.

Sterne, J. (2006) "The MP3 as Cultural Artifact." *New Media & Society* 8(5), 825-842.

Sterne, J. (2012) *MP3: The Meaning of a Format*. Durham, NC: Duke University Press.

Sunstein, C. (2007) *Republic.com 2.0*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Terranova, T. (2006) "Of Sense and Sensibility: Immaterial Labour in Open Systems." *Data Browser 03*. www.kurator.org/media/uploads/publications/DB03/Terranova.pdf.

Thompson, E.P. (1963) *The Making of the English Working Class*. Harmondsworth: Pelican.

Thussu, D.K., ed. (1998) *Electronic Empires: Global Media and Local Resistance*. London: Arnold.

Thussu, D.K. (2000) *International Communication: Continuity and Change*. London: Arnold.

Tufte, E.R. (2006) *The Cognitive Style of PowerPoint*, 2nd edn. Cheshire, CT: Graphics Press.

Turkle, S. (1984) *The Second Self: Computers and the Human Spirit*. London: Granada.

Turner, F. (2006) *From Counterculture to Cyberculture: Stewart Brand, the Whole Earth Network, and the Rise of Digital Utopianism*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Vermorel, J. and Vermorel, F. (1989) *Fandemonium*. London: Omnibus.

Virilio, P. (1986) *Speed and Politics: An Essay in Dromology*, trans. M. Polizotti. New York: Semotext(e).

Vismann, C. (2008) *Files: Law and Media Technology*, trans. G. Winthrop-Young. Stanford, CA: Stanford University Press.

von Hippel, E. (2005) *Democratising Innovation*. Cambridge, MA: MIT Press.

Williams, R. (1958) *Culture and Society 1780-1950*. Harmondsworth: Penguin.

Williams, R. (1961) *The Long Revolution*. Harmondsworth: Penguin.

Wolf, M.J.P and Perron, B., eds. (2003) *The Video Games Theory Reader*. New York: Routledge.

Wombell, P., ed. (1991) *Photovideo: Photography in the Age of the Computer*. London: Rivers Oram Press.

Zielinski, S. (1999) *Audiovisions: Cinema and Television as Entr'actes in History*. Amsterdam: Amsterdam University Press.

Zielinski, S. (2006) *Deep Time of the Media: Toward an Archaeology of Hearing and Seeing by Technical Means*, trans. G. Custance. Cambridge, MA: MIT Press.

الفصل الثاني

مستقبل العلوم الإنسانية الرقمية في كلمات

ويلارد مكارتي Willard McCarty

"وأصبحت أنسج شباك الشبكة العظيمة نهارًا، وأفكها ليلاً تحت ضوء المصباح"

هومر، أوديسي 19:149-150

مقدمة

انحصرت المهمة التي أُلقيت على عاتقي في القضية الكاملة للعلوم الإنسانية الرقمية والوساطة الرقمية للمعرفة بين الفروع المتنوعة للعلوم الإنسانية مع التطرق لما قد يقود هذا التغير، وإلام يتجه، وكيف ستبدو العلوم الإنسانية نتيجةً لهذا التغير – وما الذي يعنيه مصطلح "الإعلام الجديد" في هذا السياق. واضطُررت بعدئذ لطرح سؤالٍ بشيء من

الدليل إلى ديناميكية الإعلام الجديد "A companion to New Media Dynamics"، الطبعة الأولى المنقحة من جانب جون هارتلي John Hartly وجين برجس Jean Burgess وأكسيل برونز Axel Bruns. شركة بلاكويل المحدودة للنشر. تم نشر هذا الكتاب عام 2013 من جانب شركة بلاكويل المحدودة للنشر "Blackwell Publishing Ltd"

السخرية "هل هذا كل ما في الأمر؟" يبدو هذا السؤال جذابًا ويجب أن يُطرح، ولكن من أين يبدأ المرء بهذا المشروع الغامض الضخم؟

في البداية، بالرغم من ذلك، دعوني أستبق ما أفكر به فقد يكون ردًا مناسبًا على هذا السؤال. ولأسباب ما سأتناول تفسيرها فيما بعد، قد لا يكون ذلك ما نحصل عليه غالبًا بمعنى أن هناك احتمالاً للمهارة الفنية الحالية في المستقبل المأمول. أو بالأحرى، لابد من وجود تاريخٍ مكتوب لمخاطبة المشكلات الراهنة لتناول التعقيدات الموجودة بالوقت الحاضر كونها أساسًا للمستقبل. علاوةً على ذلك، فإن تدوين التاريخ قد يبدو كنسج وفك الكثير من الخيوط أو كنظرة عامة شاملة إلى نظام تصريف مياه معقدة، وهي اتجاهات للتطور المنفصل تمامًا أو قنوات التأثير المتنوع التي تتحد وتمتزج لمرة واحدة قبل تفرقها ثم تمتزج ثانيةً بمكان آخر (cf. Mahoney 2011: 13،57). وبالحديث عن المستقبل، زعم كل من تيري وينزجراد Terry Winograd و فيرناندو فلورز Fernando Flores أن:

> "كافة وسائل التكنولوجيا الجديدة تتطور في ظل التفهم الضمني للطبيعة الإنسانية والعمل الإنساني. ويؤدي استخدام التكنولوجيا بدوره إلى تغيرات جذرية في كل ما نقوم به، وأخيرًا في كل ما هو إنساني، بالإضافة إلى ذلك فإننا نواجه تساؤلات معقدة بشأن التصميم عندما ندرك أننا نقوم "بتصميم الأساليب البشرية" من خلال "أدوات التصميم". وعند مواجهة هذه التساؤلات بشكل مباشر، يمكننا حينئذ تطوير خلفية جديدة لاستيعاب تكنولوجيا الحاسب الآلي، حيث تُشير إلى ذلك النوع من التكنولوجيا الذي يقودنا إلى تقدم هائل في مجال تصميم واستخدام أنظمة الكمبيوتر. (1986، xi، مع إضافة التأكيد)

ويفترض المؤلفون أن مواجهة هذا النوع من الأسئلة يعني أيضًا الوصول إلى حالات كثيرة قدر المستطاع من الفهم غير المنطوق في هذا الإطار، ومن ثم يمكن تنفيذها واستخدامها في تصميم الأشياء. وهذا الأمر ليس بسيطًا حيث يعد هذا النوع من الفهم "ضمنيًا" وشديد التنوع فلا يمكننا التقارب في الحديث عن "الطبيعة البشرية والعمل

الإنساني" إلا من خلال المناقشة الجادة بشكل ذي مغزى. وعلى المستوى المحلى للعلوم الإنسانية الرقمية، فقد عملنا أكثر من نصف قرن للاستفادة منها. بالإضافة إلى هذا المصدر، لو تمكنا حقًا من معرفة تاريخ هذا العلم ومعرفة ما يكفي عنه، فقد نتمكن آنذاك من صياغة مساره الفكري، وبالتالي فإننا لن نحقق مبيعًا هائلاً في المستقبل الواعد فحسب، بل سنتعلم أيضًا كيفية البحث عن متطلبات هذا العلم الجديد، كما سنتعلم أيضًا كيفية الربط بين النظريات والممارسات الواعدة من ناحية وبين متطلباته من ناحية أخرى.

ويصل بنا هذا الأمر إلى تكوين سجلٍ تاريخي، حيث النظرة المتطلعة دون مضيعة للوقت، وبالرغم من ذلك فإن تشكيل هذا السجل في نطاق التاريخ الحقيقي يعد بمثابة تحديًا أيضًا فلم يسبق لأحد ما القيام بهذا الأمر من قبل أو التحقيق في مجال الحوسبة بشكل عام (انظر ماهوني Mahoney 2011). والجدير بالذكر أنني لم أقم بهذا الأمر هنا من قبل لأنني لم أكن أعرف الطريقة، ولكني أقترح بعض النقاط التي توضح عيوبه ومزاياه.

التخطيط للمستقبل

سوف أستهل كلامي هنا بأن التخطيط للمستقبل من منطلق إمكانيات تكنولوجية معروفة ما هو إلا مجازفة كبيرة. وبالرغم من صعوبة التحديات التكنولوجية والرغبة في حلها، وذلك من منطلق التفكير من حيث النتائج الحتمية غير المرغوبة، فإن عملية الاختيار تحجب وتغرس عنصر الحتمية في المناقشة عوضًا عنها.

في الواقع، دعنا نقول "تحضر واستعد لما سوف يحدث!" - أو بشكل أكثر حذرًا "استعد لما قد يحدث!" إلا أن وضع احتمال أو اثنين أو ثلاثة أو أي عدد من الاحتمالات نصب أعيننا لا يزال أمرًا حتميًا (وسوف نعود لمناقشة هذا الموضوع فيما بعد). فكل ما نحتاجه كبناة لهذا المستقبل هو الاستعداد في الوقت المناسب لتصور عواقب جهودنا السابقة حيث يمكننا إدراكها بشكل غير متوقع في عالمٍ يمكننا اكتشافه فحسب ولا يمكننا التحكم به.

بالإضافة إلى ذلك، فهناك مشكلة تواجهنا عند التنبؤ بأمر ما ألا وهي أن العالم الاجتماعي

الذي تندمج به وسائل التكنولوجيا لا يظل على حاله، بل يظل بعيدًا أو تابعًا. ويعتبر كتاب جان فوستر Jan Foster، عالِم الكمبيوتر، بعنوان " How Computation Changes Research أو كيف تغير الحوسبة البحث" (2011) مثالاً على الخطأ، حيث أخذنا الكاتب إلى عام 2030 وتصور حدوث تطورات من خلال ملاحظة التكنولوجيا الحالية. والجدير بالذكر أن توقعه عن المستقبل قد انهار بسبب وجود "معيار وعدد محض من المشكلات التي لم يتم تناولها بعد" كما علقت آلان ليو Alan Liu ردًا على مقال فوستر Foster (2011:94). "وأخيرًا قد لا يمكننا العمل على أساس المعرفة فقط" وأضاف ليو Liu مجازًا "نحن سنعرف بالطبع (أي أنه يدرك المراد منها جميعًا)" (89). ويتساءل ليو Liu، ولكن ما المقصود بـ "نحن"؟ فالجميع يعرف من الخيال العلمي ماذا يحدث عندما يخطط المرء مباشرةً للحياة العادية في ضوء المستقبل ذي التكنولوجيا المتقدمة. ويعتبر فيلم " Just Imagine" الذي ظهر عام 1930 خير مثالٍ على ذلك، حيث يصور نيويورك كما لو كانت عام 1980 ولكنها بالفعل في حقبة الثلاثينيات حيث يتصرف الشعب ويفكر بأسلوب الثلاثينيات وسط وجود التكنولوجيا التي لم يعتاد وجودها بعد ولكن يطغى عليها طابع الثلاثينيات.

ويلاحظ ليو Liu أن مثل هذه التوقعات قد تجاهلت تمامًا الأبعاد "الاجتماعية والاقتصادية والسيكولوجية والثقافية والأخلاقية" للوجود البشري. والجدير بالذكر أنني تمامًا مثلما كان ليو Liu، أشعر بالحذر ولكنني تراجعت عن التكهن لسبب أبسط ألا وهو ضعفه بل وإغفاله لبعض الأمور، وربما لم يكن الأمر مصادفةً حيث تكرر عبارة ليو Liu " نحن سنعرف بالطبع" الإعلان المؤكد المنقوش على مقبرة عالم الرياضيات ديفيد هيلبرت " WIR MU¨ SSEN WISSEN / WIR WERDEN WISSEN" David Hilbert (يجب أن نعرف/ وسوف نعرف) الذي صرح به هيلبرت Hilbert عام 1930 (شكل 2-1) .(1999 cf. Vinnikov)



شكل (2-1) إعلان مكتوب على مقبرة عالم الرياضيات ديفيد هيلبرت
WIR M¨ USSEN WISSEN / WIR WERDEN WISSEN
"يجب أن نعرف، وسوف نعرف!"

وخلال ستة أعوام، وقبل وفاة هيلبرت Hilbert عام 1943، انتهى الأمل خلالها في معرفة المعنى الرياضي الذي يقصده. بدايةً من خلال نظرية كيرت جودل Kurt Godel المنقوصة (1931)، ثم بسبب الدليل السلبي لألان تيرنج Alan Turning بشأن "مشكلة القرار" (1936) – في الجريدة التي شاهدنا فيها مخططًا للآلة المجردة لتيرنج Turning باعتبارها منتجًا ما، والتي تشمل جزئيًا التغيرات التي طُلب منى التحقيق فيها، وقد دفعنا كل ذلك للوصول إلى هذه النقطة (مكارتي McCarty 2005: 167–170). وكما يحدث في كثير من الأحيان، وبعيدًا عن العاطفة مطلقًا – بالنسبة لحالة هيلبرت Hilbert ، التي تعد قاعدة بديهية بعلم الرياضيات – فقد طُرحت أسئلة كثيرة ومجموعة من النتائج العارضة، بل غير المتوقعة من وجهة نظري.

ولو افترضنا أن عالم الرياضيات الصارم قد يحمل لنا مفاجآت من شأنها تغيير العالم، فماذا عن الاختراعات التكنولوجية وآثارها المعقدة؟

كتابة التاريخ

وكما ذكرت من قبل، يرى علماء التاريخ أنه كي يستعد المرء لما هو آت، يجب عليه أولاً أن يفهم ما يحدث بالوقت الحاضر. وبالنسبة للعلوم الإنسانية الرقمية، فإننا نهتم في المقام الأول بالنظر إلى السنوات الستين الأخيرة في مجال الأدب المهني بالموضوع. والجدير بالذكر أن المؤلفات خلال الفترة الأولى، بداية من عام 1949 (بوسا Busa 1980) حتى إطلاق الشبكة عام 1991، قد أسفرت عن نتائج مثمرة حيث كان مجال الحوسبة جديدًا آنذاك حيث كان المرء يشعر بضرورة تبرير وتفسير ارتباطها بالعلوم الإنسانية. علاوةً على ذلك، كما سأوضح فيما بعد، فإن لدينا سببًا للتفكير بأن العقود الأولى من هذه الفترة قد تركت بصمة عظيمة في هذا المجال كان لها أثر بالغ فيما بعد.

زعم ميخائيل ماهوني Michael Mahoney، وهو عالم بتاريخ الحوسبة، أن شرعية المجال الإبداعي تتشكل من خلال التعرف على ما خلَفه الأسلاف (2011:56). واسترجاعًا لاستعارتي التي استخدمتها مؤخرًا، فإن هذا المجال ينسج علاقاته المتبادلة مع الماضي من خيوطٍ متاحة ومن ثم ينشأ تاريخ يتناسب مع التقاليد المتعارف عليها ويسهُل فهمه. وبالرغم من ذلك، فقد يكون هذا التناسب نادرًا أو منقوصًا. ويرجع ذلك إلى أنه خلال الفترة بين الحوسبة من ناحية والعلوم الإنسانية من ناحية أخرى- باعتبارهما ثقافتين مختلفتين كما نتصور - كان هذا التناسب صارمًا. وبالتالي، نجد أن القلق خلال السنوات الأولى قد يغلب أحيانًا على الذوق العام عندما ارتبطت آلة العلوم التكنولوجية الناجحة، والتي تم تعميمها والترويج لها على نطاق واسع حيث اعتُبرت من الثقافات رفيعة المستوى بالنصوص الأدبية والصور الفنية والنحت والموسيقى. بالإضافة إلى ذلك، كانت المشكلات الفنية هائلة إلى الحد الذي يصعُب علينا تصوره الآن، إلا أن السعي للتعرف على مجالات التطبيق قد أصبح ذا قيمة تاريخية أكبر. وقد وصلت الأمور إلى ذروتها في منتصف فترة الستينات حيث انقضت الفترة الممتعة بالنسبة لحوسبة العلوم

الإنسانية (انظر ميليك Milic 1996) والترجمة الآلية (انظر اللجنة الاستشارية لمعالجة اللغات الأوتوماتيكية Automatic Language Processing Advisory Committee, ALPAC، 1966؛ ويلكس Wilks، 1972: 3-4) والذكاء الاصطناعي (انظر دريفوس Dreyfus 1965). وقد ظهر نوع من الشكوى واللوم استمر تقريبًا إلى يومنا هذا، والجدير بالذكر أنه قد ظهر نتيجة للمقال الأول المنشور بالعدد الأول من أول صحيفة مهنية في هذا المجال "Computers and Humanitites" (الحاسب الآلي والعلوم الإنسانية).

وفي مقالة بعنوان "The Next Step" (أو الخطوة التالية)، أعرب الناقد الأدبي لويز ميليك Louis Milic (1966) عن استيائه من هذا العمل ضعيف الخيال وإن كان مفيدًا. والجدير بالذكر أنه تمت مشاركة رأيه هذا في مجالات أخرى ذات صلة، ولكن ربما لأسباب مختلفة، إلا أن هذا الأمر قد أصبح بمثابة دليل على أن النقاد لم ينزعجوا قط من التعليق على عمل أثار حفيظتهم. وفي عام 1989، أصبح من الواضح كما كتبت روزانا بوتر Rosanne Potter، أن الحوسبة الأدبية لم "تكن مرفوضة ولكنها أُهملت" (1989: xvi). وعندما استعرضت الموضوع بعد عامين من نشر هذا المقال " Computer and Humanities"، تعرفت بوتر Potter على تسعة مقالات تعكس حالة الفن. ولاحظت أن هذه المقالات برمتها تشير إلى الفقر النظري، في حين يشير أكثر هذه المقالات حدة إلى "فكرة النص" المأخوذة من النقد الجديد (ويتج Wittig 1978). باعتبارها المشكلة الجوهرية. وبالرغم من ذلك قد يبدو هذا التشخيص ضعيف التأثير على المسار المتجمد لهذا المجال. وقد لاحظ جيروم مكجان Jerome McGann أن هذه الحالة لا تزال أساسًا لتفسير العلوم الإنسانية في بداية القرن الحادي والعشرين (مكجان McGann 2004) بالرغم من انتشار العلوم الإنسانية الرقمية بميادين الترجمة.

في الواقع تُصبح هذه المشكلة بالغة الأهمية من الناحية التاريخية عندما نطرح سؤال أنثوني كيني Anthony Kenny : لماذا "ظهر الحاسب الآلي في وقت خاطئ...عندما تحول اهتمام العلماء من الدراسات النصية إلى النظرية النقدية" (1992: 9-10). هل كان الانتقال إلى الأساس النظري خلال فترتي الخمسينات والستينات بمثابة رد فعل إلى حد ما للقوة

الهائلة للقياس التي ساندها النجاح الهائل للحوسبة، كما يتوقع كيني Kenny؟ وقد نشأت هذه القوة في العالم الناطق بالإنجليزية خلال غطرسة النصر الذي حققها بالحرب العالمية الثانية حيث لعبت التكنولوجيا المتقدمة دورًا هائلاً كما أصبح الاهتمام الأسطوري بالحوسبة بلا حدود. ولكن بعد نشوب الحرب الباردة فيما بعد، بدأ الحاسب الآلي في اتخاذ مسار مشؤوم بسبب الاستخدامات التي انحصر فيها كإدارة أماكن العمل آليًا، على سبيل المثال (انظر زوبوف Zuboff 1984) وأنظمة الدفاع العسكري و"المعركة الإلكترونية" بدولة فيتنام.[2] وظلت هذه العوامل سائدة من الناحية الثقافية حتى عام 1991 أي نهاية الحرب الباردة وبداية انطلاق الشبكة العنكبوتية التي أحدثت تغييرًا هائلاً.[3]

إنني أقوم هنا بتبسيط الوضع التاريخي بشكل جذري (متجاهلاً الدور الذي لعبته أجهزة الكمبيوتر الشخصية) حتى أطرح مجموعة من الأسئلة الصعبة:

لماذا وقعت هذه الأحداث معًا؟ وكيف ارتبطت هذه الأحداث؟ وبشكل عام ما مجال البحث التاريخي بالعلوم الإنسانية الرقمية؟ وإلى أي مدى يمكن صياغته بصورة صحيحة؟ لماذا ظهرت كل اتجاهات التطور معًا؟ وفي ظل أية ظروف نشأت أو ارتبطت هذه الاتجاهات؟ إن هدفي الأساسي من وراء طرح هذه الأسئلة هو إيجاد أسلوب لفهم التاريخ التكنولوجي الذي من شأنه أن يُستخدم للسؤال عن ماذا بعد تشكيل ظاهرة رقمية معينة للأشكال الثقافية في المستقبل، وكيف يمكن استيعاب هذا التشكيل ومن ثم يمكننا التشكيل والتشكل. هل هناك عملية فعالة يمكن استخدامها؟

إن هذه الأفكار العارضة داخل الأدب المهني خلال هذه العقود الأولى – كالملاحظات غير المألوفة والتأكيدات الغريبة – قد تبدو طفيفة تمامًا ومؤرخة بالكامل ولكنها جديرة بالاهتمام للتعرف على رغبات ومخاوف هذه الفترة. (وقد تعلمنا أن نطرح أسئلة الوقت الحالي أيضًا بالنسبة للمستقبل: ما هي رغباتنا ومخاوفنا بالنسبة للتشكيل؟) وتبدو هذه الأسئلة بالغة الأهمية بصرف النظر عن عددها والوقت الذي طُرحت خلاله. وهناك مثالين:

الأول، يتمثل في العلاقة المتكررة بين الحاسب الآلي و "العمل الشاق"، ولا سيما

خلال الفترة الأولى. وفي الواقع، كان عبء إجراء العمليات الحسابية قبل ظهور الآلات يمثل مشكلة حقيقية؛ حيث كانت تتطلب قدرات رياضية معينة (جولدتسن Goldstine 1993؛ 8ff، برات Pratt 1987: 20-44). بالإضافة إلى ذلك، فإن العمل الشاق نادرًا ما يوجد بالعلوم الإنسانية ولكنه موجود ببعض الأعمال عن غيرها.

انطلق ميليك Milic من الصفر تمامًا هنا. وقد لاحظ ميليك Milic أن الأشياء الجيدة تنشأ نتيجة تفريغ الأعمال الشاقة على أجهزة الحاسب الآلي، ومن ثم فإن اكتشاف العلماء للتخفيف من "العمل الشاق بالمنح الدراسية" قد أدى بالفعل إلى تحول اهتمامهم من الاستكشاف إلى نمط آخر من العمل والذي "يولي اهتمامًا لتوفير العمالة" ومن ثم الاحتفاظ بهم "للعمل بالمشروعات التي لا تأخذ في الاعتبار التعقيد الحقيقي والجمال الكامن للآلات". ويعتقد ميليك Milik أنهم "في خطر حقيقي لأنهم إما يصبحون ضحايا (الآلة)" أو مجرد حضور (1966: 3-4). بالإضافة إلى ذلك، فقد لاحظ أيضًا "عدم الترحيب" (وهو أمر حقيقي في الواقع) ببعض الأفكار الخيالية المعروضة - مثل: تأليف الشعر الذاتي الذي طورته عالمة اللغويات مارجريت ماسترمان Margaret Masterman كالبحث في قواعد النظم الشعرية.[4]

وفي بعض الأحيان، فإن تكليف الحاسب بالأعمال الشاقة قد يتعارض مع التسلية الإبداعية والاستكشاف المشترك أو التجربة. بالإضافة إلى ذلك، فإنه يستند إلى اللغة المستخدمة بين من يكرسون حياتهم للعمل الشاق كالخدم أو العبيد - بناءً على ملاحظات ميليك Milic وآخرون، وهذا هو المثال الثاني. وبمجرد أن تُصبح لغة الرق والعبودية هي ذاتها لغة الحاسب، فإن الآلة تُصبح بذلك تابعة بمعنى أن الفنيين الذين يوجهونها لتتناسب مع كافة الأغراض بسهولة يقومون بتوجيهها أيضًا لتناسب كافة الأوضاع المألوفة للآلات البدائية.[5] وبالنظر إلى المنطق القائم بين السيد والخادم، وبين المستخدمين رفيعي المستوى مثل: الأكاديميين البارزين، نجد أنه قد يتأثر بصورة متناظرة، فقد يتأثر الأسياد بخدمهم - كما هو الحال في العلاقة بين الأب والطفل. وبالرغم من ذلك، يرى روث جلادس Ruth Gladys أن هذه العلاقة قد تبدو غامضة تمامًا وتميل للاستقطاب

حيث يتم التعامل مع السيد كطفل (2009:11). ولكن حيثما يوجد استقطاب، يوجد انفصال وتعزيز للظُلم، كما تتواني إمكانيات السيد والخادم (من منطلق منظورنا بكل تأكيد). علاوةً على ذلك، فإن إبراز النموذج الاجتماعي القديم على حساب الآلة وخلال ثقافة استخدامها يتعارض بشدة مع تصميم التفاعلات التحاورية – وهو ما يتعارض مع الحاسب الآلي كونه محاورًا ومستقبِلًا سلبيًّا أيضًا – ومن ثم يتشكل مستقبل هذا العلم وكل ما يتعلق به.

في الواقع، إن المشكلة التي واجهتنا ومازالت تواجهنا – والتي سنستمر في مواجهتها طالما لم نجد لها حلاً – تتضح من خلال مفهومين متقاربين للغاية عن الحوسبة، ظهر أحدهما عام 1965 بينما ظهر الآخر عام 2001.

أما المفهوم الأول، الذي نشأ منذ 50 عام تقريبًا على يد مراسل صحفي يعمل لدى جريدة (تورنتو جلوب آند ميل) "Toronto Globe and Mail"، فهو يتصور مشكلة محلية نمطية لحلها في القريب العاجل من خلال جهاز حاسوب رئيسي، كما يعتقد هذا الصحفي.

مستقبل لعلوم الإنسانية الرقمية في كلمات

"كان هناك ستة أفراد منا.

" أصغرنا يُدعى بوبي، يبلغ الثامنة من عمره.

"اشترينا غداءنا.

"أنفقنا 20$.

"لم يتمكن جراني من السير أكثر من ذلك.

"واضطررنا للخروج في السابعة.

" ما هو أفضل خط سير لديكم؟

بعد مرور دقيقة واحدة، حصل البراونز The Browns على إجابتهم وواصلوا سيرهم عبر شوارع مونتريال واستمتعوا بقضاء يومهم في معرض Expo 67 "67".

(ويبستر 1965)

أما المفهوم الثاني، الذي ظهر منذ عشر سنوات إلا أنه لا يزال مستخدمًا، فهو يحمل اسم مخترع الشبكة العنكبوتية العالمية "تيم برنرز لي" Tim Berners-Lee" بأحد الخصائص البارزة بالعلوم الأمريكية لما يُعرف باسم "Semantic Web " (أو الويب الدلالي)

> وكان نظام التسلية يتمثل في أغنية "We Can Work It Out" لفرقة زا بيتالز the Beatles التي تعلو كلما رن الهاتف. وعندما أجاب بيتي Pete، انخفض صوت الهاتف عندما قام بإرسال رسالة إلى كافة الأجهزة المحلية الأخرى ذات نمط التحكم في الصوت. وكانت أخته لوسي في طريق عودتها من عيادة الطبيب، حين قالت: "تحتاج أمي إلى زيارة أحد المتخصصين ثم القيام بمجموعة من جلسات العلاج الطبيعي" ...وقد أخبرت لوسي بذلك وكيل الويب الدلالي عبر متصفحها على شبكة الإنترنت. وفجأة قام الوكيل ... (بيرنرز لي وآخرون 2001:36).

وقد حدث تطور هائل منذ عام 1965 بكافة أشكال أجهزة الكمبيوتر، وبعد حوالي 40 عامًا، لا تزال أجهزة الكمبيوتر في تصورنا بمثابة خادمٍ مطيع مكلفًا للقيام بالأعمال الشاقة.

وبالتالي، فإن التعرف على الحاسب الآلي ومن ثم إعادة تشكيل المستخدم، كونه متحررًا من غرضٍ آخر، يثير أيضًا النموذج العقيم للفراغ بجانب السؤال الممل عما يتعين على الشخص المتحرر فعله وبالتالي ما يقوم أو ما تقوم به. علاوةً على ذلك، فإنه يشير أيضًا إلى الآثار الاجتماعية المزعجة للآلية التي تخللت المجتمع قبل ظهور مبادئ تايلور Taylorian principles وممارسات الفورديزم Fordist practices التي من شأنها تقنين العلاقات الصناعية (زوبوف Zuboff 1984)، وبالطبع، فإنها تُحدد الآلية الصناعية كالمستقبل. والجدير بالذكر أن صدور فيلم Modern Times (الأزمنة الحديثة) للممثل تشارلي تشابلن Charlie Chaplin وجريدة آلان تيرنج Alan Turing في نفس العام 1936 هي مجرد مصادفة (بالرغم من أن كلاهما قد استجاب بطريقته لنفس الشيء) إلا أن ظروف العمل بكلاهما قد سادت عليها تطبيقات الحاسب الآلي بصفة متكررة. ولم يكن أيضًا "عامل المعرفة" مُهمَلاً.

علاوةً على ذلك، فإن التأثير على الأعمال الفكرية لم يكن ببساطة موضوعًا لجعلها أكثر ملاءمةً بالرغم من أن الذكاء الاصطناعي قد تطور بشكل أكثر بطئًا عن المتوقع كما تلاشى الفرق بين المعرفة المتعارف عليها والمعلومات المعالَجة بشكل منتظم. وقد بدأت عملية التلاشي في وقت مبكر بالعمل العلمي ذي الطابع الخاص الذي أجرته تيرنج Turing،[6] حيث اقتحمت النطاق العام من خلال نشره بالصحف والمجلات والكتب مثلما فعل ادموند كالز بيركلي Edmund Callis Berkeley في كتابه "Giant Brains" (عقول ضخمة) أو "Machines that Think" (الآلات التي تفكر) الذي صدر عام 1949 والذي نال إعجاب الخبراء البارزين، ولذلك فإن إمكانية اجتياح الحاسب الآلي لأحد المجالات القلائل المتبقية والتي يتميز بها الإنسان كالقدرة على التفكير قد أصبحت وشيكة بالنسبة للعلماء منذ بداية ظهور العلوم الإنسانية الرقمية. وعندما تتبعنا الأدب المهني، أدركنا أن الخطر يبدو حقيقيًا ومن ثم طُرحت بعض الأسئلة التي تتمثل فيما يمكن للعلماء القيام به وبالتالي، حل هذه القضية.[7]

وبالرغم من الإحباطات الكثيرة التي يواجهها خبراء التكنولوجيا بسبب المشكلات العصيبة التي لم يدركوا مدى صعوبتها في البداية، فإن هذا الخطر ما زال قائمًا بالرغم من تراجع مستوى الدعاية. وقد أثار هذا الأمر مرارةً حقيقية، بالرغم من ذلك، بسبب الأعراف التي تجاوزت الظروف التاريخية الراهنة لاقتحام الحاسب الآلي مجال الثقافة الأشمل. وأشير هنا إلى الاعتداء العام للعلوم على الهوية البشرية.

إن القائمة المتكررة التي وضعها سيجموند فرويد عن "الغضب الجامح ضد أنانية (الجنس البشري)" تعد أشهر ما ذُكر في هذا الشأن حيث أدرج ما ذكره كوبرنيكوس (عالم الفلك البولنديّ) خلال القرن السادس عشر وما ذكره دارون في الشهر التاسع عشر وما توصل إليه هو بعد ذلك قائلاً "إنها ثالث أكثر الإهانات المثيرة للغضب ...والتي ترمي إلى جنون العظمة لدى الإنسان"، وهو يؤيد اكتشاف التحليل النفسي الذي مفاده أننا لا نمتلك منازلنا" (1920: 246 -247). وبالرغم من ذلك، فقد فسر جاك مونو Jacques Monod، عالم الكيمياء الحيوية (1972: 47-48) الضرورة الأخلاقية لقهر خداع الذات

لدى الجنس البشري التي أيدها جاليلو Galileo والتي تناهض بطبيعتها الوهم المتمركز لدى الجنس البشري. وبالتالي ومع تقدم العلوم يمكن النظر لقائمة فرويد على أنها مجرد بداية لقائمة مرنة طويلة والتي تطورت خلال السنوات الأخيرة يومًا بعد يوم. ومن البداية، لم تساهم الحوسبة وتساعد في هذا الاعتداء فحسب، بل شاركت به أيضًا.

وبالتالي – في حين تستمر مناظرتي – فإننا نجد الأفكار المتعمقة بشأن الآلية الرقمية للصحافة الجيدة وغيرها، والإعلانات، وكافة الأشكال الأخرى للأدب الشعبي الذي يشمل أيضًا أفلام الرسوم المتحركة والمجلات الهزلية ولا سيما، على سبيل المثال لا الحصر، خلال الفترة الأولى. والجدير بالذكر أن مثل هذه المطبوعات تعتبر المَرسَى الأول ليس بسبب سرعة التفاعل معها بل لأن العلماء، وإن كانوا ببيوتهم، لا يمكنهم تجنب التفاعل ببعضها على الأقل.

علاوةً على ذلك، فإن مصادر المعلومات العلمية، والشائعات، والتوقعات، والدعاية تُثبت بين أشياء أخرى لا تقبل الجدل أن العلماء لا يتعرضون للادعاءات والتخيلات فحسب بشأن الحوسبة ولكنهم يتعرضون أيضًا لإثارةٍ حقيقية حول الآلة الجديدة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، لماذا لا يشعرون بمزيدٍ من الفضول أكثر من ذلك؟ لماذا، كما يذكر ميليك Mililc، يكتفون "بمثل هذه الأهداف المحدودة" كما سنلاحظ بالأدب المهني. وخلُص ميليك Milic إلى " أننا لا نزال نرفض النظر للحاسب الآلي كونه شيئًا ما بل ننظر إليه على أنه عدد لا نهائي من الموظفين والمساعدين بوحدة تشغيل مناسبة" (1966:4). وهنا يطرح هذا السؤال نفسه مرةً أخرى، ماذا عن اليوم؟ وإلى أي مدى نفكر اليوم بشكل مختلف؟

ومما لا يثير الدهشة، أن الاستجابات المبتكرة والحماسية تجاه الحوسبة بخلاف مطوريها الحاليين تنشأ من المهندسين المعماريين والفنانين والممثلين ومخرجي الأفلام ومؤلفي الروايات والشعراء وكذلك صُناع الأدوات الثقافية الأخرى. إن كتالوجات المعارض، مثل "Cybernetic Serendipity" (ريتشاردت Riichart 1968) ومقالات كثيرة بمجلة "Leonardo" (–1968)، والمقالات التاريخية القديمة بكتاب " White Heat Cold Logic" (براون وآخرون، 2010) والسجلات الثقافية مثل: " How we Became

"Posthuman" للناقدة الأدبية كاثرين هيلز Katherine Hayles (1999) و " The Counterfeiters: "An Historical Comedy للكاتب هج كينر Hugh Kenner (2005) جميعًا من شأنها توثيق هذه الثروة. وإذا اخترنا مثالاً واحدًا: المستقبل المهني لجوردون باسك Gordon Pask منتج فيلم "maverick machines" (آلات متمردة) (بيرد Bird و دي باولو Di Paolo 2008) يُوحي بشجاعة أصحاب التجربة الأوائل على نحو مثير للدهشة. وهنا أطرح سؤالي مرةً أخرى، لماذا يحدث ذلك؟ ما الذي استوقفنا؟ ما الأمر؟

بالنظر إلى تلك الحقبة الأولى بالدراسات الإنسانية الرقمية، لابد أن نتساءل عن سبب هذه الاختيارات الحمقاء. فلم تدفع التكنولوجيا المهنيين لعمل هذه الاختيارات، بالرغم من كونها بدائية بالنسبة لنا. فبمجرد النظر إلى هذه الإنتاجات الفنية الضخمة، فإننا ندرك تمامًا مدي حريتهم في الاختيار. وبالرغم من ذلك، إذا نظرنا من الوقت الحاضر إلى المستقبل، ونظرنا بعين الاعتبار إلى الباثولوجيا (علم الأمراض) الخيالية، لسألنا عن إمكانية علاج المرض كي يتطور للأفضل.

تطور الاتجاهات

إنني أؤيد حتى الآن أن التنبؤ بالمستقبل من خلال التخطيط له بالنظر إلى المهارة التقنية الحالية هو أمر مضلل، حيث يغفل عن عدة أحداثٍ طارئة بالتاريخ والطبيعة البشرية ومن ثم فإننا نصبح غير مؤهلين لمعرفة الممثلين المشاركين في صناعة المستقبل في وقتنا الحالي. وأُضيف أن تاريخ العلوم الإنسانية الرقمية، الذي لا نملك ولا نعرف كيف نكتبه ولكننا بدأنا نلمحه، هو أمر جوهري بالنسبة لعملية التأهيل المذكورة. وأُشير هنا أيضًا، بمجرد أن نسمح لأنفسنا بالنظر خارجيًا إلى السياقات العلمية والشعبية، إلى أن الحقائق التي نعرفها قد تُوحي ببعض الأسئلة التي من شأنها مساعدتنا في كتابة التاريخ، وقد أشرت إلى بعضها من قبل. وأود أن أتطرق الآن، خلال الجزء المتبقي من هذا الفصل، إلى التساؤل عن مدى حريتنا في عمل أي شيء بخصوص المستقبل ثم (بعد ذلك) النظر بعين الاعتبار إلى ما يمكننا فعله.

إن صناعة فنٍ أفضل قد يعني التمتع بحرية أعظم لتغيير الظروف المادية للحياة إلى

الأفضل أو الأسوأ إلا أن المناقشات التي تضمنت هذا الأمر غالبًا ما تُلمح إلى عواقبه الحتمية، وبالتالي تضييق نطاق الاحتمالات بدلاً من الاستفاضة فيها. بالإضافة إلى ذلك، فإن اللغة الحتمية التي وجدنا أنفسنا نستخدمها - وهو "التأثير" الذي يُعد الأسوأ حاليًا إلا أنه ليس بالجُرم الوحيد - قد وضعتنا ضمنيًا بمكان مليء بالأشياء مثل: كرات البلياردو حيث تعمل بالقوة خارج سيطرتنا كما تؤثر إحداها على الأخرى.[8] والجدير بالذكر، أنني كنت على شفا استخدام هذه اللغة عندما فكرت في "مسار" العلوم الإنسانية الرقمية بالرغم من استخدامي لمركبةٍ موجهة من الاستكشاف بدلاً من استخدام القذائف الآلية. أما الآن، فأود أن أكون أكثر حذرًا من ذي قبل، ليس فقط لتلافي الافتراض الذي مفاده أن الدراسة ما هي إلا مخلوق مصيري ضعيف ولكن للتحقيق أيضًا في طريقة حديثنا بالكامل عن مثل هذه الأمور. وبالتالي، إذا لم نتمكن من تجنب هذه الطريقة الحتمية في الحديث، فلن نستطيع أن نتخيل المستقبل المحتمل للعلوم الإنسانية الرقمية أو أي شيء آخر يتعلق بالتكنولوجيا. فعندما كان التلفاز جديد نسبيًا، استهل ريموند ويليامز Raymond Williams دراسته عن سرد الآثار الناجمة عنه حيث تطرق إلى الحتمية التكنولوجية في حديثه العادي:

> "في كثير من الأحيان، يتكلم الناس عن بدء عالمٍ جديد، أو مجتمعٍ جديد، أو حقبة تاريخية جديدة - "نتيجة" - هذه التكنولوجيا الجديدة. ويعرف الكثير منا ما نقصده ضمنيًا عند الحديث عن مثل هذه الأشياء. وقد تكون هذه هي المشكلة الأساسية حيث أننا نستخدم تصريحات عامة بمعظم نقاشاتنا العادية ونُخطئ في إدراك معناها الخاص .... في حين تختبئ كثير من الأسئلة الفلسفية والتاريخية المُعلقة وراء مثل هذه التصريحات. ومع ذلك، فإن هذه الأسئلة لا تُطرح نتيجة هذه التصريحات بل تتخفى بها." (2004:1)

وبالرغم من إمكانية إغفال هذه الحتمية بسهولة بالغة باعتبارها "أسطورة خاطئة أو ... شكل من أشكال الوعي المُزيف" (ويات Wyatt 2008:172، انظر أيضًا المقالات المجمعة عن الحتمية لسميث Smith وماركس Marx 1994)، إلا أن استبعادها ليس حلاً

على الإطلاق حيث أن الغالبية العظمى من داخل وخارج الأكاديمية يستمرون في حديثهم كما لو كانت الآلات تصنع تاريخًا. والأسوأ من ذلك أنه عندما نفترض أن لا شيء سوى الفساد والغباء قد يتسبب في توجيهنا بصورة خاطئة، لأن الاستبعاد وحده هو من يعيد إخفاء الأسئلة الهامة التي أشار إليها ويليامز Williams.

ويجدر بنا الإشارة إلى ما كتبه كل من جون لو John Law وجون وايتيكر John Whightaker بصفة خاصة عن استعارة "التأثير" منذ بضع سنوات:

> "إن مشكلتنا ...لا تكمن في الحقيقة التي مفادها أن هذه النتائج، التي تكون أحيانًا جيدة وأحيانًا أخرى سيئة، قد أعقبت ظهور التكنولوجيا الجديدة .... ولكنها تكمن في المفردات المستخدمة لوصف تلك النتائج. والجدير بالذكر أن هذه المفردات تنتمي إلى نيوتن شخصيًا. علاوةً على ذلك، يتعامل المرء مع (أجهزة الحاسب الآلي) كما لو كانت قذائف موجهة من (مكان ما) وبالتالي، فإنها ذات "تأثيرٍ" على الاستعدادات الاجتماعية. وهذا يجعل العالم الاجتماعي كمجموعة من الفوهات البركانية، وهو الهدف السلبي للفُتات والقطع التي تُقذف بداخلها. وهذا الأمر خاطئ بالطبع." (1986:21)

والأمر كذلك بالفعل. ولكن، كما يقولون، فإن الأهم هنا هي المفردات - أي الكلمات التي تحمل المنظورات الضمنية - وليست حقيقة أو خطأ أي افتراض تُعبر عنه هذه الكلمات.[9] وفي المقال الذي كتبه ويليامز Williams عن التلفاز، يبدو ويليامز Williams بالنسبة لي محقًا تمامًا عندما يقول "أن حقيقة الحتمية تكمن في ضبط الضغوط التي من شأنها التأثير على الممارسات الاجتماعية المتنوعة إلى حد كبير والتي لا يمكن بالضرورة السيطرة عليها" (2004:133). والجدير بالذكر، أن تحت مستوى النقاشات ووراء المجالات المتخصصة أينما تحدث - أي بكافة فروع المعرفة الأكاديمية وبالإعلام الشعبي - هناك كرة البلياردو والقذيفة التي تناظرها من حيث التأثير والتي نشأ من خلال استخدام المفردات ومن ثم الترويج لهذا الاعتقاد الضعيف. إذًا، ما الذي يُمكن فعله؟

في البداية، أقترح دراسة هذه المقارنة الناجحة لمفهوم التأثير ومن ثم يمكننا تصنيف

الجانب الضعيف منه ثم البحث عن آخر أقوى بالإضافة إلى توفير أسلوب أفضل للحديث والتفكير. وفي الواقع، تظل المقارنة أمرًا مطلوبًا لأننا اعتدنا التفكير بهذه الطريقة، أي طريقة الاستنتاج من المعروف إلى المجهول، أو من الأنظمة الأبسط التي نفهمها إلى الأنظمة الأكثر تعقيدًا التي لا نُدركها. وبعكس الافتراض، فإن صحة أو خطأ هذه المقارنة لا صلة لها بالموضوع - فكافة المناظرات خاطئة من حيث التعريف. أو بالأحرى، فهي مفيدة افتراضًا من حيث القوة. وبالتالي، فإن مثال القذيفة لا يعد خطأً كبيرًا بحد ذاته لأنه ضعيف. والسؤال الذي يتعين علينا طرحه هنا هو، كيف يفشل؟ وكيف يختلف الحاسب الآلي عن القذيفة؟ ففروع المعرفة لا تشبه بالضرورة الهدف الأعزل أو السلبي.

إن اختلاف القذيفة فيما يتعلق بهدفها هو أمر حقيقي بالفعل، فالحاسب الآلي الرقمي يوجد بالفعل في كل مكان كالعلوم التقنية للرفاهية والتجارة ويظل أيضًا آلة علمية تكنولوجية، بجانب أنه آلة مستقلة حيث أنه من حيث التعريف والتصميم مشغل آلي. علاوةً على ذلك، فإن التغير الجذري في ممارساتنا بالعمل تُثبت أيضًا التأثير القوي للقذيفة، ولكن تنهار هذه المناظرة على نحو مُهلك عندما ننظر بعين الاعتبار إلى البُعد الفوري والنهائي لهذا التأثير. والجدير بالذكر أن الحوسبة في أي فرع من فروع المعرفة أو أية ثقافة بشرية أخرى تتطلب تغذية راجعة معرفية بين التكنولوجيا الصادرة والممارسات المستقبَلة في علاقةٍ تفاعلية تستمر لفترة طويلة بأساليب لا يمكن التنبؤ بها حيث تُعدل التكنولوجيا بصفة مستمرة على يد مستقبليها. ولدراسة الموضوع من جهة أخرى، فإننا نلاحظ إخفاق هذا التناظر بسبب عدم وجود هدفٍ للقذيفة يتمتع بهوية شخصية قوية كالتي تتمتع بها المؤسسات الاجتماعية البشرية والتي تغيرت كثيرًا باختيارنا فضلاً عن كونها دعاية ترويجية. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان هذا التغيير موضوعًا للتفاوض وتم رفضه كثيرًا. كيف تحملت المكتبة، على سبيل المثال، بشكلٍ يسهُل تمييزه خلال الخمسة آلاف عام الماضية؟

إنني أقترح كبديلٍ ضرورة النظر إلى العلوم بوقتنا الحاضر وذلك لإجراء مقارنةٍ من

شأنها الحفاظ على الاختلاف والتغيير القوي إلا أنها في الوقت ذاته، تكون بديلاً للتفاعل القائم لتحقيق تأثيرٍ وهوية مؤكدة للضحية السلبية. أو بالأحرى، ينبغي علينا التفكير من حيث السببية الخطية - التي مرةً أخرى لا يمكن اعتبارها مغلوطة إلا أنها غير مناسبة لمشكلتنا الأكثر تعقيدًا - كما أقترح إجراء مقارنةٍ في ظل التطور البيولوجي. والجدير بالذكر أن تشكيل جاك مونو Jacques Monod، عالم الكيمياء الحيوية، للصراع التطوري يعد مرشحًا شديد القوة، ليس فقط بالنسبة لمقولة اسبنسر "البقاء للأصلح" عند النزاع بين عدة أفراد ولكن بين عملية "اللاتبدل التناسلي" المنظمة للكائن الحي وعشوائية البيئة التي يعيش فيها. وفي مقالٍ بعنوان "Chance and Necessity" (الصدفة والضرورة): وهو مقال عن الفلسفة الطبيعية لعلم الأحياء الحديث (1972)، تناول مونو Monod الحديث عن حالة مقنعة لجراثيم تعيش بمحيطٍ حيوي بكافة تعقيداته في هذا الصراع التطوري.

واستنادًا إلى ما توصل إليه مونو Monod، فإنني أقترح أن نفكر في العلاقة بين تكنولوجيا الحوسبة وفروع المعرفة الخاصة بالعلوم الإنسانية باعتبار أنها قد أصبحت إلى حدٍ ما جزءًا من مستقبلهما لحظة بعد لحظة من خلال الخلاف المستمر بين المعنى القوي لفروع المعرفة بحد ذاتها من ناحية، وكافة العوامل المؤثرة عليها، ومنها التطور الصارم للتكنولوجيا الرقمية، من ناحية أخرى. وفي حالة استمرار هذه المقارنة، فإننا لا نوفر طريقةً لتجنب كل من جوهرية المعرفة وحتمية التكنولوجيا فحسب (وهما أساسا مناظرة ريموند ويليامز) بل نوفر أيضًا طريقةً من شأنها تأسيس علاقة مترابطة بين الأكاديمية والمجتمع أكثر أهمية مما تقدمه اليوم لنا أنماط الرهبنة القديمة والأنماط التجارية الجديدة.

وأشار سيمون ويل ذات مرة أن "التناظر هو التعرف على العلاقات" (1978:85). ولكن لإجراء مقارنةٍ ما، فعليك الافتراض بأن طرفي المقارنة يخضعون للقانون ذاته أو موجودون بالعالم ذاته وإلا لن تكون العلاقة قابلة للقياس. وبالتالي، فإن الأنظمة الاجتماعية التي تتألف من كيانات بيولوجية كونها امتدادًا للعملية التطورية قد تقوم بالمقارنة بين المنظورين. وربما كان هذا التشابه بين الأهمية الثقافية الناشئة لعلم الأحياء

والتطابق الكلي بنموذج مونو Mono، كافيًا لإجراء المزيد من الاستكشافات. وقد حال المجال المحدود بيني وبين القيام بهذا الأمر هنا.

إقامة علاقات متبادلة كونها هدفا

ما الذي نتطلع إليه؟

كتب ميخائيل ثومبثون Michael Thompson، وهو أحد الباحثين ببحوث العمليات، بدورية ليوناردو Leonardo خلال منتصف السبعينيات، أن "الباحث عندما "يتحاور" مباشرةً مع الآلة ... حينئذ تُوحي الردود الفورية في الحال بإمكانية الارتجال كما لو كان بآلةٍ موسيقية" (1974:227). وتُشير المقارنة التي أجراها - والتي تُفيد بأن أهمية الحاسب الآلي للباحث كأهمية الآلة الموسيقية بالنسبة للعازف - إلى التحكم الآلي بالأنظمة الآلية- البشرية [11]. وبين الكثير من الأشياء الأخرى، يُوحي التحكم الآلي بازدهارٍ هائل بالفنون التجريبية (التي أشرت إليها من قبل) في الماضي على الأقل حيث يمثل، كما يقول روي اسكوت Roy Ascott، "تطورًا في العلوم التي أخذت الفنون على محمل الجد" (1968:257) ومن ثم منحها مجالاً جديدًا للعمل. وكان هذا العمل تفاعليًا ومشتركًا على نحوٍ خاص كما جاء على لسان المصور السينمائي والفنان الرقمي جيفري شاو Jeffrey Shaw "ثمة علاقة جديدة بين المنتِج والمستهلِك حيث يشترك مؤسس النظام التفاعلي مع مستخدميه في الصياغة المشتركة والاكتشاف والتجربة" (شاو وآخرون، 2011:223).

ويبدو لي أن السؤال الأهم عند إجراء بحثٍ بالعلوم الإنسانية يبدأ من هنا، مع الفنانين. ويطرح السؤال نفسه، كيف يمكننا - بمساعدة عدة مجالات أخرى - تصميم وإعداد الوسائل الرقمية التي من شأنها إقامة علاقةٍ متجانسة بين المترجم والأداة - أو بأسلوب أبسط، كيف يمكننا وضع أداة قوية ومبتكرة كالمنحت أو فرشاة الرسم بيد المترجم. وبالنسبة للعلوم الإنسانية، فإنني أرى أنه لا شيء يفوق ظاهرة القراءة حيث يساعد القارئ والنص كلاهما الآخر. (أو لنفترض حدوث شيء آخر أثناء القراءة أو الرسم أو الاستماع للموسيقى، فالتحدي الحقيقي هنا هو معالجة هذا الأمر الكترونيًا.) ولكن، إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى المنتجات الحالية للعولمة الإنسانية الرقمية، التي توصف

بأنها منتجات راقية ومفيدة، فإننا لا نرى الكثير بالفعل إذا لم يخرج شيئًا من حيز الترجمة إلى هذا الحيز الداخلي للتجربة العلمية التي تكتمل بها الدراسة بكل تأكيد. والجدير بالذكر أن ما نراه كثيرًا هي "الجيوكبوكس المعرفية" (وهي مكتبات للديسكات البصرية) كما أطلق عليها، كالمصادر المكتظة بالبيانات الهامة والتي يساعد بيعها في إسداء خدمةٍ للإنسانية إلا أنها ما زالت موضوعًا للبحث الذي يتم بمكان آخر وبأسلوب ما. لماذا توقفنا عن القيام بالمزيد؟

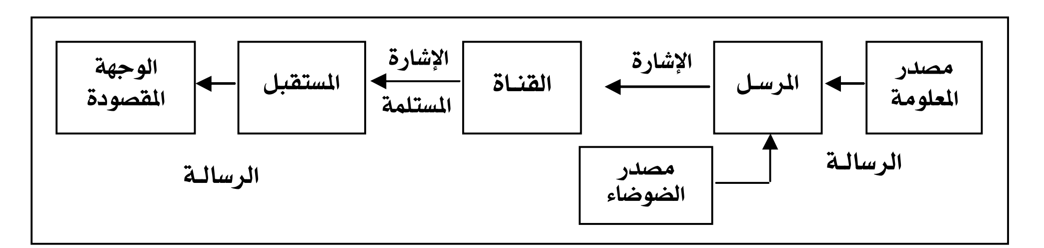
هناك تحديات تقنية صعبة "للغاية" ولكنها أكثر صعوبة إذا لم يتطرق العلماء لدراستها مثل: الحتمية التكنولوجية. وبالتالي، فقد ظلت تحدياتٍ قوية بالرغم من المناظرات القاطعة من جانب المتخصصين. وقد جاءت إلينا هذه التحديات في صورة هذا المصطلح الشعبي ألا وهو "الوساطة" - الذي طالما تجنبت الحديث عنه في هذا المقال. والآن حان الوقت لأكشف عن السبب.

فـ"الوساطة" كلمة شديدة التعقيد، ويزيد في تعقيدها عدة أنظمة مختلفة من الفكر. وتنشأ المعضلة التي سببها لنا هذا المصطلح بالسياق الحالي من إخفاقه في التمييز بين معنيين لواحدٍ من مصطلحاته الجذرية، وهو "الوسيط" حيث يحمل معنيين، أحدهما: أنه أداة أو مسار محايد، والثاني: أنه شيء يشبه الوضع البيئي أو نظام التحكم الآلي.[12] وبالإشارة إلى التعريف الأول، فقد لاحظ ويليامز Williams أنه " قد تم التخلص من فكرة الوسيط بالفلسفة وبمعظم العلوم الحديثة " (2004:203). وبالرغم من ذلك، فإنها تُمثل لنا في صورة اتصال بشري-آلي ينشأ من نقطة (أ) إلى النقطة (ب) بعملية خطية بالجهاز المشترك.

وهناك مصدران تاريخيان على الأقل لفكرة الاتصال البشري-الآلي، يشير أحدهما إلى النموذج الرياضي الذي وضعه كلود شانون Claude Shannon ووارن ويفر Warren Weaver عام 1948-1949 والتجربة الفعلية لاستخدام الآلات الرقمية خلال ثلاثين عامًا بدايةً من التجهيزات الأولى بالتجارة والجامعات حتى اعتماد "المايكرو كمبيوتر" (أو الكمبيوتر الصغير) خلال فترة الثمانينيات. دعني أشرح لك الأمر بإيجاز، فخلال فترة تعميم هذا النموذج بمجلة سينتفك أمريكان (Scientific American) عام (1949)،

تساءل ويفر Weaver " كيف يتواصل البشر أحدهما بالآخر؟" ثم أدرج عدة طرق مألوفة لدى قُرائه وقلل الوضع البشري بالفعل في المخطط بشكل (2-2) الذي يتخذ شكل نموذجٍ رياضي، كما استشهد بإمكانية تغيير العالم بالنسبة للتطبيق المنتشر وسُلطة العلوم التي يعتمد عليها ثم عاد مرةً أخرى إلى المسار الطبيعي كردٍ على سؤاله الأول: كيف يتواصل البشر أحدهما بالآخر. علاوةً على ذلك، فإن وضوح المناظرة والنجاح الهائل الذي حققه هذا التطبيق قد جعل "نموذج تحول الاتصالات" أكثر تأثيرًا من الهندسة. وبالرغم من تعارض بعض العلوم الاجتماعية ذات الصلة ومصممي الأنظمة مع هذا النموذج إلا أنه واصل "صموده في المناظرات العامة بثقة حقيقية" وذلك وفقًا لما كتبه ديفيد اتشاندلر David Chandler (2008، OTA (مكتب تقييم التكنولوجيا)، والكونجرس الأمريكي، 1995:77، انظر أيضًا ماكلوهان Mcluhan وآخرين 1978: 93-94، حيث يشير إلى العمل الذي نُشر مؤخرًا بمكلوهان ومكلوهان 1980).

ويُعرف هذا القدر من هذه القصة، بالإضافة إلى ذلك، فإن الفكرة الفيروسية للمسار المحايد قد اشتدت وقويت بسبب المواجهات التشكيلية مع آلية الحوسبة خلال عصر الكمبيوتر الرئيسي، "مع ظهور تجربة نموذج البث الممنهج".



شكل (2-2): النموذج الرياضي المقترح لكلود شانون ووارن ويفر عام 1949-1984

المصدر: وارن ويفر (1949) "رياضيات الاتصال". مجلة سينتفك أمريكان "Scientific American"، 181 (1)، 11-15. تم إعادة إنتاجها بعد الحصول على الموافقة. جميع الحقوق محفوظة.

Copyright@1949 Scientific American,Inc

كالإشارة بنموذج ويفر، يتعين على المستخدم النموذجي أن يتجاوز المسافة الطبيعية من المكتب حتى مركز الحاسب الآلي لبث برنامجه (أو برنامجها) ذهابًا وإيابًا عدة مرات إلى أن يعمل بشكل مناسب. ويساعد "الوقت الدوري"، الذي يُقاس بالساعات أو الأيام، على التخطيط الحريص وتدقيق الطباعة والفحص، أما التجربة المعتادة التي نمارسها الآن فكانت غير معروفة حينئذٍ. بالإضافة إلى ذلك، فإن الطبيعة المثيرة للاشمئزاز التي تتمتع بها هذه العملية برمتها ("الضوضاء التي تسببها") قد منحت الاستعارة الخطية القدرة على البقاء في السوق. ولذلك، فإن تجربة الآلة الموكلة من قِبل العامة قد تخيلتها الصحافة الشعبية بوفرة حيث حولتها إلى أسطورة بمثال واحد شديد الأثر مثل "شركة أوراكل بشارع 57" – المقر العالمي لشركة IBM الذي أصبح أضخم حاسب ذاتي بالعرض العام (بمجلة سترداي ايفنينج بوست Saturday Evening Post، 16 ديسمبر 1950، انظر أرشيفات شركة آي ام بي IMB) ما بين عامي 1948 حتى 1954.

وبمجرد أن أصبح الكمبيوتر "شخصيًا"، فقد يعتقد المرء أن هذا الحضور والاعتياد والتفاعل الحالي سوف يعمل على تراجع نموذج البث أو بالأحرى، أن الآلات قد أصبحت أسرع وأكثر ودًا. ولكننا نعرف من عدة مصادر أن هذه الظاهرة الاجتماعية قد تميزت من خلال سياقات تاريخية معينة عن منشأها (استنكومبي Stinchcombe 1965، وتيليارد Tillyard 1958 .cn، 11-12؛ لونسبري Lounsbury وفينتريسكا Ventresca 2002). وقد أصبحت هذه السياقات مؤثرة، كما نقول. وافترضت أن هذا ما حدث أثناء التمييز الثقافي للحوسبة خلال السنوات الأولى وأننا بحاجة إلى شكل جديد من الفكر، مثل فكر ثومبيثون، لتعويض هذا الأثر.

اليقظة

إن حجتي بالنسبة للمستقبل الذي نريده قد ينحصر في استكشاف مضاهاة العلاقات المتبادلة والمحادثة أو ما شابه ذلك. وإذا أصبح الحاسب أكثر فائدة من مجرد التخلص من بعض العمالة واسترجاعها مرةً أخرى، فإننا سوف نضطر حينئذٍ إلى مواجهة المأزق (باستعارة بعض الكلمات من ويتجنستن Wittgenstein) الذي يقودنا إليه "النقاء البلوري للمنطق

(الحسابي)) بمعنى أن "الجليد الزلق في حالة عدم وجود كسور" يجعلنا "غير قادرين على السير" (1958:46 (الجزء 107)). بالإضافة إلى ذلك، فإن تخطيط المعرفة الحالية بالمستقبل لا يجذبنا، بل يمنحنا فقط "عدد هائل من الموظفين أو المساعدين بوحدة تشغيل مناسبة"، فضلاً عن صورة "التعقيد الحقيقي والجمال الكامن للآلة" الذي طالما تاق إليه ميليك Milik. وأخيرًا، بناءً على ما ذكره وينوجراد Winograd وفلورز Flores، ثمة سؤال يطرح نفسه، ما "أساليب التعايش" التي نتمنى وجودها.

ولكن العالم لا يقف ساكنًا كما قلت من قبل. حيث دفع جوزيف ويزنبوم Joseph Weizenbaum عام 1972 قائلاً أن هناك "الكثير من الآثار الجانبية الهامة والرائعة" للحاسب والتي من شأنها النجاح أكثر من مشاريع البحث الحالية (1972:609). وبالنسبة للعلوم الإنسانية، يبدو لي أن اللص الخفي هو تراكم المصادر الأولية والثانوية – وكافة مكتبات الديسكات البصرية المعرفية المكتظة بالنصوص والصور وملفات الصوت. ماذا يعني توافر هذه الأدوات كونها أساسًا ثابتًا للبحث؟

أعتقد أن هناك أربعة آثار محدودة على الأقل، وهي:

1- انتشار اهتمام الباحث حول مجالٍ واسع من الإمكانيات في ظل قيود الوقت بجانب زيادة التوكيد على البحث الذي يُجرى بين حقول المعرفة، باعتباره مهمة إضافية لنا كي نفهم كيفية القيام به على النحو الأكمل، والانتقال من نظرية المعرفة الأساسية، التي تسعى للحصول على المعرفة من خلال التعمق بها، إلى نظرية أخرى من شأنها جمع ووصل مجموعة من الأصوات المتعددة ومن ثم التوسع بها (رورتي cf. 2004 Rorty).

2- زيادة أهمية الكثير من مجالات المناظرات في مواجهة جماهيرٍ أعظم ذات أدلة متاحة على أي اقتراحٍ محتمل.

3- الإدراك المتزايد أنه بجانب أي شيء آخر بعالم الأحياء أو الجماد، فإن أدواتنا الثقافية تكون محتملة من الناحية الأساسية كما أن وضع النظريات عنها قد أصبح يستهدف التظاهر والنمذجة الحسابية (مكارتي McCarty 2010: 5-6)، وبالتالي

4- إنشاء جسرٍ من العلوم والعلوم الإنسانية عن طريق توضيح الحيز الحدسي حيث تسمح النماذج الرقمية لهذه الأدوات من خلاله بمعاملة هذه العلوم كما لو كانت أشياء طبيعية ومن ثم تُصبح الموضوعات ملائمة للمنطق العلمي (مكارتي 2007 McCarty).

وهنا، أعتقد أن الوسيط الرقمي بهذا المعنى أفضل، بمعنى أنه ليس كقفاز واقٍ كما قال شانون وويفر بل كالماء بالنسبة للسبَّاح، والجاذبية بالنسبة للراقصة، أو الخشب بالنسبة للنحات. وقد أشار ويليام وولف ذات مرة أن الممارسات الهندسية "كالتصميم ضد القيود" (2000). وهنا، ربما تكمن قيودنا.

"ما الذي يقود التغير وإلى أين يتجه وكيف تبدو العلوم الإنسانية نتيجةً لهذا التغير؟" وبالتالي، فإن هذا الأمر متروك لنا.

ملاحظات

1- انظر على سبيل المثال، إعلان شركة آي بي إم IBM (أثناء وقت الكتابة) عن مجموعة دوائر "الكمبيوتر المعرفي" بأحد النماذج المطبقة التي قد تُغير ما نقصده بمصطلح "حاسوب" (IBM 2011).

2- عن الحوسبة خلال الحرب الباردة، انظر ادواردز (1996)؛ وعن الحرب الباردة بشكل عام، انظر ويت فيلد (1996).

3- الأحداث محل الدراسة، وهو: الاقتراح المبدئي لتيم بيرنرز لي Tim Berners-Lee بشأن نظام إدارة المعلومات في مارس 1989؛ وسقوط جدار برلين في نوفمبر عام 1989؛ الاقتراح الرسمي لبيرنرز لي Berners-Lee عن "الشبكة العنكبوتية العالمية" في نوفمبر 1990؛ الإطلاق العام للشبكة في أغسطس عام 1991؛ وحل الاتحاد السوفيتي في ديسمبر عام 1991.

4- بشأن الشِعر الالكتروني، انظر ماسترمان ومكينون وود (1970) وماسترمان (1971)، وليفز (1970) للتفاعل الشديد، انظر ميليك (1966).

5- هو مصطلح خاص بشكسبير يُشير إلى بوتوم ورفاقه بمسرحية " A Midsummer Night's Dream" (أو حُلم ليلة صيف)، III.ii.9.

6- التأثير المتبادل بين الآلة والمخ والذي يُشكل حلقة معرفية بدايةً من عالم الرياضيات تورينج حتى آلته المجردة (1936)، ومن هذه الآلة حتى ظهور نموذج مكلوتش وبيتس عن المخ (1943)؛ وبدايةً من هذا النموذج وصولاً إلى تصميم فون نيومن von Neumann للآلة الرقمية (1945، كما نعرف من مفردات الفسيولوجية العصبية ومكلوتش 1961: 9)؛ ومن هذا التصميم حتى نماذج الإدراك المعرفي، وهكذا. انظر أوتيس (2001) للعلاقة المتبادلة بين أفكار الجسد والتصميمات بالنسبة للآلات.

7- انظر على سبيل المثال تأكيد بيجيوز Pegue مرةً أخرى أن "هدف الآلة يكمن في ...تحرير البشرية من الأعمال الهامة بالنقد الأدبي من خلال توفير مجموعة دقيقة وضخمة من البيانات التي قد يستخدمها في العمل الذي يمكنه إنجازه فحسب" (بيجيوز 1965: 107، مع إضافة التشديد). انظر أيضًا نولد Nold (1975).

8- بشأن "هذا التأثير" انظر لوLaw وويتيكار Whittaker (1986، النص المقتبس أدناه)، بانابيكر Pannabecker (1991)، بيترينا Petrina (1993)، وإدواردز Edwards (1994).

9- استخدمت هنا بعض المصطلحات مثل "استعارة" و"تناظر" بشكل متبادل، فكلاهما مصطلحات متعددة المعاني. وبالنسبة للأعمال الأدبية عن التناظر، انظر ملخص مكارتي (2005: 28-29). وقد أظهرت الأعمال التي أُجريت عن الاستعارة خلال فترة الثمانينات أن سمات الكلام هي ذاتها سمات الفكر مع وجود نتائج مفصلة لكل ما نقوم به، انظر أورتوني Ortony (1993) وجيبس (2008). ولاحظ أيضًا ما كتبه مورجان وموريسون (1999) اللذان أظهرت مقالاتهما المجمعة أن النماذج العلمية لا تحفز البحث فحسب بل تشكله وتوجهه أيضًا، انظر أيضًا مكارتي (2005: 20-72).

10- تأسست دورية ليوناردو "Leonardo" عام 1968 بمدينة باريس للتشديد على "مؤلفات الفنانين الذين يستخدمون العلوم والتكنولوجيا المتطورة بأعمالهم"، انظر www.leonardo.info.

11- بخصوص حركة التحكم الأوتوماتيكي وكل ما يتعلق بها، انظر هيمس (1993) ودوبي (2000) وهسباندز وهولاند (2008).

12- بشأن المصطلحات الأكثر فلسفية لريموند ويليامز، (أ) "العملية الحيايدة لتفاعل الأشكال المنفصلة" و (ب) "عملية فعالة يُغير خلالها شكل الوساطة الأشياء الوسيطة أو تشير بطبيعتها إلى طبيعة هذه الأشياء" (1983: 204-207).

المراجع

Ascott, R. (1968) "The Cybernetic Stance: My Process and Purpose." *Leonardo*, 1(2), 105-112.

Automatic Language Processing Advisory Committee (ALPAC) (1966) *Language and Machines: Computers in Translation and Linguistics*. Publication 1416. Washington, DC: National Academy of Sciences, National Research Council.

Berkeley, E.C. (1949) *Giant Brains or Machines that Think*. New York: John Wiley & Sons.

Berners-Lee, T., Hendler, J., and Lassila, O. (2001) “The Semantic Web: A New Form of Web Content that is Meaningful to Computers Will Unleash a Revolution of New Possibilities.” *Scientific American* (May), 35-43.

Bird, J. and Di Paolo, E. (2008) "Gordon Pask and His Maverick Machines" in P. Husbands, O. Holland, andM. Wheeler, eds., *The Mechanical Mind in History*. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 185-211.

Brown, P., Gere, C., Lambert, N., and Mason, C. (2010) *White Heat Cold Logic: British Computer Art 1960-1980*. Cambridge, MA: MIT Press.

Busa, R. (1980) "The Annals of Humanities Computing: The *Index Thomisticus*." *Computers and the Humanities*, 14, 83-90.

Chandler, D. (2008) "The Transmission Model of Communication." www.aber.ac.uk/media/Documents/short/trans.html.

Dreyfus, H.L. (1965) "Alchemy and Artificial Intelligence." *Rand Papers*, P-3244. Santa Monica, CA: RAND Corporation.

Dupuy, J.-P. (2000 [1994]) *The Mechanization of the Mind: On the Origins of Cognitive Science*, trans. M.B. DeBevoise. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Edwards, P.N. (1994) “From ‘Impact’ to Social Process: Computers in Society and Culture” in S. Jasanoff, G.E. Markle, J.C. Petersen, and T. Pinch, eds., *Handbook of Science and Technology Studies*. Berkeley, CA: Sage, pp. 257-285.

Edwards, P.N. (1996) *The Closed World: Computers and the Politics of Discourse in Cold War America*. Cambridge, MA: MIT Press.

Foster, I. (2011) "How Computation Changes Research" in T. Bartscherer and R. Coover, eds., *Switching Codes: Thinking Through Digital Technology in the Humanities and the Arts*. Chicago, IL: University of Chicago Press, pp. 15-37.

Freud, S. (1920) *A General Introduction to Psychoanalysis*, trans. G. Stanley Hall. New York: Boni & Liveright.

Garcia, R.G. (2009) *"I Will Not Call Her Servant": Ambiguity and Power in Master-Servant Relationships in the Eighteenth-Century Novel*. Doctoral dissertation. City University of New York.

Gibbs, R.W., ed. (2008) *The Cambridge Handbook of Metaphor and Thought*. Cambridge: Cambridge University Press.

G¨odel, K. (2004 [1931]) "On Formally Undecidable Propositions of *Principia Mathematica* and Related Systems" in M. David, ed., *The Undecidable: Basic Papers on Undecidable Propositions, Unsolvable Problems and Computable Functions*. Mineola, NY: Dover Publications, pp. 4-38.

Goldstine, H.H. (1993 [1972]) *The Computer from Pascal to von Neumann*, 2nd edn. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Hayles, N.K. (1999) *How We Became Posthuman: Virtual Bodies in Cybernetics, Literature, and Informatics*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Heims, S.J. (1993 [1991]) *Constructing a Social Science for Postwar America: The Cybernetics Group, 1946-1953*. Cambridge, MA: MIT Press.

Husbands, P. and Holland, O. (2008) "The Ratio Club: A Hub of British Cybernetics," in P. Husbands, O. Holland, and M. Wheeler, eds., *The Mechanical Mind in History*. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 91-148.

IBM (2011) "IBM Unveils Cognitive Computing Chips" (August 18). www-03.ibm.com /press/us/en/pressrelease/35251.wss.

IBM Archives (n.d.) "John Backus." www-03.ibm.com/ibm/history/exhibits/builders/builders_backus.html.

Kenner, H. (2005 [1968]) *The Counterfeiters: An Historical Comedy*. Norman, OK: Dalkey Archive Press.

Kenny, A. (1992) *Computers and the Humanities.* Ninth British Library Research Lecture. London: The British Library.

Law, J. and Whittaker, J. (1986) "On the Malleability of People and Computers: Why the PC is not a Projectile" in *Proceedings of the Third ACM-SOGOIS Conference on Office Automation Systems*. New York: Association of Computing Machinery, pp. 21-32.

Leavis, F.R. (1970) " 'Literarism' versus 'Scientism': The Misconception and the Menace." *Times Literary Supplement* (April 23), 441-444.

Liu, A. (2011) " 'We Will Really Know' " in T. Bartscherer and R. Coover, eds., *Switching Codes: Thinking Through Digital Technology in the Humanities and the Arts*. Chicago, IL: University of Chicago Press, pp. 89-94.

Lounsbury, M. and Ventresca, M.J. (2002) "Social Structure and Organizations Revisited." *Research in the Sociology of Organizations*, 19, 3-36

Mahoney, M.S. (2011) *Histories of Computing*, ed. T. Haigh. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Masterman, M. (1971) "Computerized Haiku" in J. Reichardt, ed., *Cybernetics, Art and Ideas*. London: Studio Vista, pp. 175-183.

Masterman, M. and McKinnon Wood, R. (1970) "The Poet and the Computer." *Times Literary Supplement* (June 18), 667-668.

McCarty, W. (2005) *Humanities Computing*. Basingstoke: Palgrave.

McCarty, W. (2007) "Being Reborn: The Humanities, Computing and Styles of Scientific Reasoning." *New Technology in Medieval and Renaissance Studies* 1, 1-23.

McCarty, W., ed. (2010) *Text and Genre in Reconstruction: Effects of Digitization on Ideas, Behaviours, Products and Institutions*. Cambridge: Open Book.

McCulloch, W. (1965 [1961]) "What Is a Number, that a Man May Know It, and a Man, that He May Know a Number?" in W. McCulloch, ed., *Embodiments of Mind*. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 1-18.

McCulloch, W. and Pitts, W. (1965 [1943]) "A Logical Calculus of Ideas Immanent in Nervous Activity" in W. McCulloch, ed., *Embodiments of Mind*. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 19-39.

McGann, J. (2004) "Marking Texts of Many Dimensions" in S. Schreibman, R. Siemens, and J. Unsworth, eds., *A Companion to Digital Humanities*. Oxford: Blackwell, pp. 198-217.

McLuhan, M. and McLuhan, E. (1980) *The Laws of Media: The New Science*. Toronto, ON: University of Toronto Press.

McLuhan, M., Hutchon, K., and McLuhan, E. (1978) "Multi-Media: The Laws of Media." *English Journal*, 67(8), 92-94.

Milic, L. (1966) "The Next Step." *Computers and the Humanities*, 1(1), 3-6.

Monod, J. (1972 [1970]) *Chance and Necessity: An Essay on the Natural Philosophy of Modern Biology*, trans. A. Wainhouse. London: Collins.

Morgan, M.S. and Morrison, M., eds. (1999) *Models as Mediators: Perspectives on Natural and Social Science*. Cambridge: Cambridge University Press.

Nold, E.W. (1975) "Fear and Trembling: The Humanist Approaches the Computer." *College Composition and Communication*, 26(3), 269-273.

Ortony, A., ed. (1993 [1979]) *Metaphor and Thought*, 2nd edn. Cambridge: Cambridge University Press.

OTA [Office of Technology Assessment, Congress of the United States] (1995) *Global Communications: Opportunities for Trade and Aid*. OTA-ITC-642. Washington, DC: US Government Printing Office.

Otis, L. (2001) *Networking: Communicating with Bodies and Machines in the Nineteenth Century*. Ann Arbor, MI: University of Michigan Press.

Pannabecker, J.R. (1991) "Technological Impacts and Determinism in Technology Education: Alternate Metaphors from Social Constructivism." *Journal of Technology Education*, 3(1). http://scholar.lib.vt.edu/ejournals/JTE/v3n1/pannabecker.pdf.

Pegues, Fr. J. (1965) "Editorial: Computer Research in the Humanities." *Journal of Higher Education*, 36(2), 105-108.

Petrina, S. (1993) "Questioning the Language that We Use: A Reaction to Pannabecker's Critique of the Technological Impact Metaphor." *Journal of Technology Education*, 4(1), 51-57.

Potter, R., ed. (1989) *Literary Computing and Literary Criticism: Theoretical and Practical Essays on Theme and Rhetoric*. Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press.

Potter, R. (1991) "Statistical Analysis of Literature: A Retrospective on *Computers and the Humanities*, 1966-1990." *Computers and the Humanities*, 25, 401-429.

Pratt, V. (1987) *Thinking Machines: The Evolution of Artificial Intelligence*. Oxford: Blackwell.

Reichardt, J., ed. (1968) "Cybernetic Serendipity," *special issue of Studio International* (August).

Rorty, R. (2004 [2000]) "Being that can be Understood is Language." *London Review of Books*, 22(6), 23-25.

Shaw, J., Kenderdine, S., and Coover, R. (2011) "Re-place: The Embodiment of Virtual Space" in T. Bartscherer and R. Coover, eds., *Switching Codes: Thinking Through Digital Technology in the Humanities and the Arts*. Chicago, IL: University of Chicago Press, pp. 218-237.

Smith, M.R. and Marx, L., eds. (1994) *Does Technology Drive History? The Dilemma of Technological Determinism*. Cambridge MA: MIT Press.

Stinchcombe, A.L. (1965) "Social Structure and Organizations" in J.G. March, ed., *Handbook of Organizations*. Chicago, IL: Rand McNally, pp. 142-193.

Thompson, M. (1974) "Intelligent Computers and Visual Artists." *Leonardo*, 7(3), 227-234.

Tillyard, E.M.W. (1958) *The Muse Unchained: An Intimate Account of the Revolution in English Studies at Cambridge*. London: Bowes & Bowes.

Turing, A. (2004 [1936]) “On Computable Numbers, with an Application to the Entscheidungsproblem” in *The Undecidable: Basic Papers on Undecidable Propositions, Unsolvable Problems and Computable Functions*. Mineola, NY: Dover Publications, pp. 115-154.

Vinnikov, V. (1999) "We Shall Know: Hilbert’s Apology." *Mathematical Intelligencer*, 21(1), 42-46.

von Neumann, J. (1993 [1945]) "First Draft of a Report on the EDVAC." *IEEE Annals of the History of Computing*, 15(4), 27-75.

Weaver, W. (1949) "The Mathematics of Communication." *Scientific American*, 181(1), 11-15.

Webster, A. (1965) “Computers: TheNewAge of Miracles. Hundreds of Brains in a Thimble.” *Globe and Mail* (Toronto, Canada) (November 16).

Weil, S. (1978 [1959]) *Lectures on Philosophy*, trans. H. Price. Cambridge: Cambridge University Press.

Weizenbaum, J. (1972) "On the Impact of the Computer on Society." *Science*, NS 176(4035), 609-614.

Whitfield, S.J. (1996 [1991]) *The Culture of the Cold War*, 2nd edn. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.

Wilks, Y.A. (1972) *Grammar, Meaning and the Machine Analysis of Language*. London: Routledge & Kegan Paul.

Williams, R. (1983 [1976]) *Keywords: A Vocabulary of Culture and Society*, rev edn. New York: Oxford University Press.

Williams, R. (2004 [1974]) *Television: Technology and Cultural Form*, 2nd edn, ed. E. Williams. London: Routledge.

Winograd, T. and Flores, F. (1986) *Understanding Computers and Cognition: A New Foundation for Design*. New York: Addison-Wesley.

Wittgenstein, L. (1958 [1953]) *Philosophical Investigations*, trans. G.E.M. Anscombe, 2nd edn. Oxford: Blackwell.

Wittig, S. (1978) “The Computer and the Concept of Text.” *Computers and the Humanities*, 11, 211-215

Wulf, W.A. (2000) “The Nature of Engineering, the Science of the Humanities, and G¨odel’s Theorem (Interview).” *Ubiquity*, 1(28). http://ubiquity.acm.org/article.cfm?id=351308.

Wyatt, S. (2008) “Technological Determinism is Dead; Long Live Technological Determinism” in E.J. Hackett, O. Amsterdamska, M. Lynch, and J. Wajcman, eds., *The Handbook of Science and Technology Studies*, 3rd edn. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 165-180.

Zuboff, S. (1984) In the Age of the Smart Machine: The Future of Work and Power. New York: Basic Books.

الفصل الثالث

ديناميكية الإعلام والدروس التاريخية

"الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج كونها نموذجًا للإحياء"

توماس بيتيت Tomas Pettitt

في الوقت الذي طرأت خلاله بعض التغييرات السريعة بتكنولوجيا الإعلام إلى الحد الذي جعل مراجع الدراسات الإعلامية تفضل التطرق للحديث عن ديناميكية الإعلام بدلاً من الإعلام ذاته، فإن دراسة البُعد التاريخي أصبحت ضرورة ملحة. والجدير بالذكر أننا لسنا أول من تطرق لثورة الإعلام من خلال الاستفاضة في آثارها المرجوة (انظر الدراسة المثيرة لبارون 2009) ولكن ربما بسبب هذه التغيرات السريعة، فقد اضطر المعلقون خلال الخمسين عامًا الماضية للمقارنة بين التطورات الراهنة أو الحالية والتغيرات السابقة التي تحمل ذات الأهمية.

إن التعليق على عصر النهضة في ظل تأثير الطباعة قد أثار تاريخًا مثيرًا للجدل بشأن زمان ومكان وماهية المكتشف كما أثار الجدل حول منشأه (هبة من الله لنشر العقيدة الصحيحة أو أحد الفنون الشيطانية التي ضحى د. فوستس بروحه لأجلها) والتشخيص المثير للجدل لعواقبها (أي النعمة التي من شأنها نشر النصوص أو النقمة التي تفسدها).

علاوةً على ذلك، فإنه بفضل الوسيلة التي أثار ظهورها جدلاً واسعًا، انتشرت المساهمات بهذه النزاعات بوفرة بين علماء التاريخ الإعلامي للعمل عليها (أينشتاين 2011).

والجدير بالذكر أن الاستجابة إلى ظهور الإنترنت قد ساعدت على التوفيق بين هذه الخلافات (بخلاف ما هو مسجل بالوسيط الجديد ذاته). وهناك أساطير تزعم بأن الجيش الأمريكي هو مخترع الإنترنت وهناك أساطير أخرى تفيد بأن آل جور هو مخترع الإنترنت، حيث زعم آل جور ذلك. بالإضافة إلى ذلك، فقد انتشرت الوسائط الاجتماعية الرقمية عن طريق حركات الحرية الشعبية حول العالم ولكن موقع جوجل هو ما جعلنا أغبياء (كار 2008). علاوةً على ذلك، فهناك آلاف المواقع الالكترونية التي تزعم ظهور الإنترنت من جانب الإله بينما يرى المئات بأن الشيطان هو مخترع الإنترنت (وذلك إذا استثنينا المليونين اللذان زعما بأن الإنترنت هو الشيطان ذاته). ولكن، بينما أخفق مراقبي عصر النهضة في تحقيق توازن بين ثورة الطباعة وظهور الكتابة، فإن الموازنة بين ثورة الإنترنت الرقمي وثورتي الكتابة والطباعة قد أصبحت شيئًا روتينيًا بالتعليقات والدراسات الأكاديمية الحالية.

وقد اكتشف منظور تاريخي بأن تكنولوجيا الإعلام الجديد قد تحقق السيطرة لبعض الوقت ثم تتراجع إلى حالتها الأولى كما لو أن شيئًا آخر قد أحل محلها: "خلال التاريخ الطويل لهذا الكتاب، شكلت المجلدات التي أُنتجت على نطاقٍ واسع خلال عصرنا الحالي فصلاً واحدًا فحسب" (رايت 2009:59). ولكنها أثارت اقتراحاتٍ متناقضة مفادها أن واحد أو أكثر من تكنولوجيا الإعلام قد ينشأ خلال عصرنا الحالي، بالرغم من التطورات التي وصفتها بأنها ثورية، والتي يمكن النظر إليها من جانبٍ آخر باعتبارها بمثابة إصلاحٍ للظروف الإعلامية قبل الثورة. أما عن الفترة التي تخللت هاتين الفترتين، فليست مجرد فترة (يوم أو فصل) بسلسلة متعاقبة، ولكنها فترة فاصلة بمعنى توقف شيء آخر واستئنافه من جديد.

ويختلف هذا النوع من "الإحياء أو الاسترجاع" عن التراجع التكنولوجي الفعلي الذي يتمثل في الرجوع إلى وقت انتشار الأمية التي سادت أوروبا الغربية عقب سقوط

الإمبراطورية الرومانية أو عودتنا الوشيكة إلى الورقة والقلم عندما خضع الإنترنت لفيروس مزمن. ويُنظر لفترة الإصلاح المذكورة على أنها استئنافٍ للظروف السابقة التي قيدتها الأحداث الراهنة - ويُقصد بها هنا العودة إلى نشأة السمات الأولية للوساطة الثقافية، ولكن عند مستوى تكنولوجي متقدم. وبالطبع، يُنظر إليها باعتبارها أكثر من مجرد سمات "رجعية" من شأنها إضافة أثرٍ ثقافي لتكنولوجيا الإعلام أمس الأول لتُصبح بذلك بين التيارات الحالية من أسطوانات الغراموفون والآلات الكاتبة وأقلام الحبر وتفضيل المخطوطات بالرغم من وجود النصوص المطبوعة.

وبالرغم من تميز هذه الفترة بما شملته من ثورات متنوعة والتي عُرفت بأنها فترة فاصلة فضلاً عن الاستعارات والصور المتنوعة التي انتشرت لصياغتها، فكرة الإصلاح قد حظيت دعمًا هائلاً خلال العقود الماضية بمجال التاريخ الإعلامي.[1] وذلك لأنها لا تنتمي إلى المفاهيم العادية فحسب بل إلى المفاهيم القوية أيضًا ، كالصور المجازية المتناظرة (مثل: "إنه كتاب ميت"؛ "وكيل التغيير"؛ "الوسيط هو الرسالة"؛ "الحديقة المحاطة بالأسوار") والتي تبدو مفيدة وقابلة للتطبيق بالمناقشات في نطاق مجال معين للدراسة، وفي هذه الحالة، نجد أن التاريخ الطويل لتكنولوجيا الإعلام لا يشمل الإعلام "الجديد" (الرقمي) و"القديم" (المتناظر" فحسب بل يشمل أيضًا الطباعة والكتابة والخطاب. أما من حيث طبيعة الأشياء، فإن كافة تطبيقات الصيغ الأدبية صحيحة فبمجرد تأسيسها، تتشكل المفاهيم لتعكس الواقع. وبالرغم من ذلك لا يمكن افتراضها، ولكن قد يكون التطبيق خاطئًا كونه صيغة أدبية.

ويأتي ذلك في عدة صور متنوعة ولكنها تحمل أحيانًا تضمينات سلبية، فمثلاً نرى أن تعجب الكاتب الروائي جون أبدايك من منظور كسب القوت بالعصر الرقمي أو عصر ما قبل الطباعة لم يكن بسبب حقوق النشر بل من اللقاءات والمظاهر الشخصية التي يستمد منها الحافز بأعماله، حيث قال:

> "ألم يدفعنا هذا الأمر إلى الوراء حيث مجتمعات ما قبل الثقافة حيث كان الشخص الموجود فقط يملك حق التأثير على الآخرين؟ ألم يتخيل المؤلفون منذ بداية

ثورة جوتنبيرج أنهم يصنعون "طريقًا إلى الخالق"، من خلال كتاباتهم ونصوصهم؟
(أبدايك 2006)

وردًا على التطورات الإعلامية الراهنة التي تؤكد على منظور الفاصل المتكامل، يخشى نيكولاس كار من إهمال "القراءة المتعمقة" التي تحث عليها الكتب المطبوعة ومن ثم "الرجوع إلى النمط التاريخي" – حيث "القراءة الموجزة "الخارجة عن القياس" بتاريخنا الفكري" (كار 2010: 108).

ويكمن أحد المغايرات الأخيرة لفترة الإصلاح في إنهاء "نموذج الإحياء لجوتنبيرج" بتاريخ تكنولوجيا الإعلام، وهي فترة تكونت من أربعة إلى خمسة قرون حيث سيطرت خلالها وساطة الثقافة اللفظية من خلال تكنولوجيا الطباعة بشكل عام والكتب المطبوعة بشكل خاص. وبعد تطورها في منتصف فترة التسعينات على يد العالم لارز أولي سوربيرج Lars Ole Sauerberg (وهو مؤسس المصطلح ذاته) وماريان بورش Marianne Borch بجامعة جنوب الدنمارك، تشكل المسار الإصلاحي بشكل مناسب ومن ثم تستأنف الجملة مجموعة من الأفكار بينما يُقحم نموذج الإصلاح، ومع ذلك لا تتأثر الجملة بوجود هذا النموذج. ويمكن النظر إلى قوة وفعالية الاستجابات تجاه انتشارها الدولي (بيتيت Pettitt 2007؛ سوربيرج Sauerberg 2009) بمثابة إقرار بفعالية الجملة الاعتراضية في نقل المعنى المراد مع التأكيد على نموذج التوقف والإصلاح بتاريخ الإعلام (لمزيد من المعلومات، انظر سوربيرج وآخرون 2011).

مضاهاة الحاضر بالماضي

إن المقارنات التي تُجرى بين ظروف الإعلام الحديث وظروف الإعلام بعصورٍ أخرى من حيث المناقشات الصحفية والعلمية، تتخذ أشكالاً متنوعة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الدراسات المباشرة تعد بمثابة معادلة أحادية الاتجاه بين وسيلة أو آلة حالية بنظر العامة وبين شيء آخر قديم ومهجور ومن ثم تُجرى بينهما مقارنة من حيث الطبيعة والتكافؤ الوظيفي لكل منهما – وأحيانًا من حيث التأثير باعتبارها وسيلة أساسية لفهم أحدهما أو كلاهما.

وبالتالي، فإن الدوريات المطبوعة قد فسرت كل منهما من خلال استعارتين "أي فون أمريكا القديمة" (مكارتي McCarthy 2010) و "طريق المعلومات السريع (أو طريق المرور على أية حال) بأواخر القرن السادس عشر" (روديس Rhodes، 2000:185). علاوة على ذلك، فقد انتشرت أجهزة الآي بود بالسوق الثقافي ذاته شأنها في ذلك شأن طبعات الجيب الكلاسيكية بمطابع ألداين Aldine Press في بداية القرن السادس عشر (بيرولت Perrault وكروميت Crummett 2009) بينما سبقها التدوين على شكل قصاصات من الأخبار والمعلومات طويلة الفقرات بالصحف الأولى (دارنتون Darnton 2010) وقد نُظر للقلم الرصاص باعتباره "أول كمبيوتر شخصي محمول" (بارون Baron 2009:40). وإذا كان التلغراف بمثابة "الإنترنت في العصر الفيكتوري" (استانداج Standage 1998) أو طريق المعلومات السريع بيوم ثورو Thoreau’s Day (بارون Baron 2009:33)، فإن "المناضد" الشمعية التي قدم عليها بطل رواية شكسبير التراجيدي رسالة الشبح التي عُرفت بأنها "Hamlet’s Balckberry" (باورز Powers 2010) والوظيفة الاجتماعية لشعراء القرون الوسطى كان لهما نظيرًا حديثًا بالتليفزيون الشعبي ورواية القصص الرقمية (هارتلي Hrtley 2009).

بالإضافة إلى ذلك، فإن المقارنات التاريخية الأخرى، باستثناء المقارنة بين أدوار الثورات العظمى في تطوير تكنولوجيا الإعلام وتحفيز ثورة الطباعة، قد أصبحت شيئًا يحمل صيغة معينة في تقديم دراسات الإعلام الرقمي والتي تسببت في اندلاع "ثورة نصية مقارنةً بالثورة التي بدأت باختراع الطباعة من نمطٍ متحرك خلال القرن الخامس عشر "شيلينجزبيرج Shillingsburg 2006: [4]؛ دارنتون cf. Darnton 2009: xiv). والجدير بالذكر أن هذه المقارنات من شأنها إثارة التفكير وإمعان النظر على الصعيدين وذلك لأن كلا الثورتين قد أثارتا عددًا من التحديات والاضطرابات المتشابهة من حيث الأهمية والتعقيد.

وبشأن تقديم مجموعة من الدراسات عن بداية الإعلام الحديث والتي من شأنها "استكشاف التفاعلات المعقدة بين ثقافة الكتب المطبوعة المتقدمة من الناحية التكنولوجيا والثقافة التقليدية الفعالة التي تعتمد على الكلمات المنطوقة والمشاهد والمخطوطات

اليدوية "، يؤكد ميخائيل بريستول Michael Bristol وآرثر ماروتي Arthur Marotti أن المساهمين بهذا الأمر يقومون بذلك من منطلق نقطة مميزة من "اللحظة الانتقالية التي حاولنا خلالها التفاوض للانتقال من مرحلة الطباعة إلى مرحلة الإعلام المرئي والالكتروني" (بريستول Bristol وماروتي Marotti 2000: 6-7). علاوة على ذلك، فإنها بمثابة الدَّفعة الأساسية لمجموعة مقالات مثيرة ببداية عصر الثقافة والأدب الحديث والتي اعتمدت على المفهوم الذي مفاده أن جوانب فترة تكنولوجيا الطباعة قد تلخصت في "الحاسب الآلي بعصر النهضة": "إن تجربتنا الخاصة للتكنولوجيا الجديدة قد مكنتنا من إعادة تخيل أثر وسائل التكنولوجيا الجديدة في الماضي" (رودز Rhodes وسوداي Sawday 2000: 1-2).

وبالعكس، فإنه من الأفضل لنا أن نتفهم ونتكيف مع التطورات السريعة في ميدان تكنولوجيا الإعلام في عصرنا الحاضر وذلك من خلال البحث عن مواطن الحكمة بثورة الطباعة العظيمة التي اندلعت بأواخر القرون الوسطى وبداية عصر الإعلام الحديث (فينجان Finnegan 1988: 5؛ لاندو Landow 2006: 49-52). وقد اتضحت هذه النقطة بعنوان مقالة للكاتب جيمس ديوار James Dewar "عصر المعلومات والصحافة المطبوعة: النظر للخلف لرؤية المستقبل" (1998). ومما لا يخفى عليك أن هذا المنظور يقدم حجة مقنعة عن العلاقة الحديثة للبحث الأكاديمي بتاريخ الإعلام: "وبالتالي، فإن فهم الطباعة وتاريخها تعد أكثر من مجرد مطلب لفهم الثورة واتصالاتها الماضية كما أنها أيضًا وسيلة لفهم عالمنا عند التطرق لتبعات ثورة الاتصالات الراهنة وترقب مستقبلها" (بارون وآخرون Baron، 2007: 313).

علاوة على ذلك، فإن المقارنة بين هذه الثورات تضاهي نموذج الإصلاح حيث نجد أن نموذج الإصلاح يشمل توقف تكنولوجيا الإعلام التي نشأت في ظل ظهور الطباعة والكتب. وفي بداية عام 1894، كان هذا الأمر بمثابة رسالة مروعة للمعلق الأوروبيّ عقب زيارة ورشة توماس إديسون، حيث أشار قائلاً: "إن الطباعة التي هيمنت على عقل الإنسان بشكل ديكتاتوري منذ عام 1436، قد أصبحت مُهددة بفناء آلات تسجيل الصوت المتنوعة والتي اختُرعت مؤخرًا" (أينشتاين 2011: 224)، كما أوحت الثورة

الرقمية بدورها فجأة بـ"انتهاء مرحلة الكتاب" (يونج Young 2007) و"موت الطباعة" (جوميز Gomez 2009) و"تلاشي الطباعة" مود Mod 2010) والتبشير "بنهاية عصر الكتاب" (كارتر Chartier 1997)- وتتضمن هذه المجازات بداية ما أوشك على الانتهاء حاليًا، وهو ما يوحي بعودتنا إلى الظروف "التي سبقت عصر الطباعة" (بيركيرتس Birkerts 2006 :160).

والجدير بالذكر أن هذا المعنى للبداية والنهاية ينطبق أيضًا على الحالات والممارسات التي ارتبطت بالكتاب: "بينما تدعم الكتب ضرورة حماية حقوق الملكية الفكرية، فإن الإنترنت يضر هذه الحماية" (دوار Dewar وآنج Ang 2007، 370). وقد ظهر المجاز الاعتراضي بشكل فعال مع ظهور تكنولوجيا جوتنبيرج والتكنولوجيا الرقمية باعتبارها "مساند تاريخية" من شأنها "دعم" وسائل الإعلام المقروءة (كلوث Kluth 2006).

عمليات الإحياء: تكنولوجيا الإعلام

هناك مجموعة من الصياغات الغنية عن نموذج الإحياء، من بينها الجملة الاعتراضية لجوتينبيرج، والتي لا تُشير إلى نشأة وتدهور التكنولوجيا الوسيطة فحسب بل تعتبر أيضًا وسيلة موضوعية وتم استرجاعها، كما يمكن تصنيف المتغيرات من حيث تطابقها، بين الخيارات المتاحة الأخرى، لثورات الإصلاح والتوقف، أي ظهور الكتابة والطباعة في البداية يليها الإعلام التماثلي والرقمي.

الإعلام التماثلي الجماهيري

لم يكن الخيار الأخير متاحًا بالنسبة لمؤيدي فكرة الإحياء الأساسية مارشال مكلوهان Marshall McLuhan وولتر أونج Walter Ong، وذلك حسبما ذكرا (على التوالي) قبل اندلاع الثورة الرقمية وقبل أن تظهر مدى أهميتها والمسار الذي سوف تتخذه. ولكن، بينما نتفق على أن نموذج الإحياء الأساسية قد تحقق بسبب الإعلام التماثلي إلا أننا نختلف بشأن طبيعة ووقت هذا التوقف.

إن مقال مارشال مكلوهان Marshall McLuhan بعنوان " The Gutenberg

Galaxy" يشير إلى ظهور آلة الطباعة باعتبارها إحدى العلامات المميزة للثورة الفوضوية الأولى. وما يعرقل الأمر بالرغم من ذلك لا يتمثل في الوساطة "قبل عصر الكتابة" أو الوساطة "غير التعليمية" إلا أن مكلوهان McLuhan يفسر التناقض الواضح من خلال إصراره على أن التحول الطباعي يعد ذو أهمية محدودة في صورة الإعلام ككل، وبالتالي فإن التأثير الثقافي لعملية التعليم قد تأخر حتى وصول الطباعة (مكلوهان McLuhan 1962: 54). وخلال هذا العصر نجد أن سلطة الطباعة قد أصبحت مهددة بسبب ظهور تكنولوجيا الإعلام التماثلي وخاصةً الراديو والتليفزيون والمسجلات والأفلام مما أدى إلى استعادة الأوضاع الأولى، وهو ذلك "التناقض الذي جعل عصرنا يبدو "خِلقيًّا" ...بدون ثقافات غير تعليمية". ولم نعد نواجه أية صعوبة في فهم "الخبرات الأصلية أو غير التعليمية ...لأننا قد أعدنا تشكيها مرةً أخرى الكترونيًا في حدود ثقافتنا الخاصة" (مكلوهان McLuhan 1962: 45-46).

والجدير بالذكر أن ما "أعدنا تشكيله ...الكترونيًا" يكمن بالتحديد في هيمنة الصوت بوساطة المادة اللفظية، كما هو الحال بعصر ما قبل الكتابة"، حيث كان الاتصال اللفظي يتم شفهيًا عن طريق الصوت ويُستقبل سمعيًا عن طريق الأذن. وأثناء الفجوة التي شكلها عصر الطباعة، كانت الكلمات تمثل حروفًا بورقة ثم تُعالَج بصريًا.[2] وعلى ما يبدو، فإن هذه التحولات البسيطة بالأهمية النسبية للمعاني المستخدمة بالتواصل اللفظي كان لها مضاعفات بعيدة المنال بالنسبة للمجتمعات التي حدثت بها.

بالإضافة إلى ذلك، فإن والتر أونج Walter Ong، وهو أحد طلاب مكلوهان McLuhan، قد قام بدراسة أفكار متشابهة بسلسلة من الدراسات في اتجاهات مختلفة إلى حد ما، والتي وصلت إلى ذروة نجاحها عام 1982 مع صدور أعماله " Orality and Literacy" (أو الثقافة الشفهية والتثقيف) التي أثنى عليها الجميع و " The Technologizing of the Word " (أو إدراج الكلمة بعصر التكنولوجيا). وقد انصب اهتمامه الرئيسي على دراسة "أوجه الاختلاف بين طرق إدارة المعرفة والتعبيرات اللفظية بالثقافات الشفهية الأولى (أي الثقافات التي لا تعرف شيئًا عن الكتابة مطلقًا) والثقافات التي تأثرت

بالكتابة إلى حد كبير" (أونج Ong 1982: 1). وبالتالي، فقد اعتبر هذه الفترة الحاسمة بأنها فترة ظهور الأبجدية، "وهي أهم مرحلة من كافة الاختراعات التكنولوجيا البشرية" (أونج Ong 1982: 85) وكانت بداية نقطة انطلاقه عندما نظر إلى الثقافة بعصر ما قبل الكتابة باعتبارها كما وصفتها اليونان القديمة على سبيل المثال. وبالرغم من ذلك، وكما سنرى فيما بعد، فقد أولى هذا العالِم أهمية بالغة للطباعة عند مناقشة الأثر الثقافي الهائل للتطورات التي طرأت على تكنولوجيا الإعلام.

والجدير بالذكر أن أونج Ong قد كرس وقتًا أقل لدراسة مرحلة الاسترجاع، فهو يؤكد على كونها نتيجة استئناف التواصل الكلامي بوسائل الإعلام التماثلي الجماهيري إلا أنها لم تكن ذات أهمية بالغة بمجال المصطلحات الفنية. وبينما ميز كتاب " Gutenberg Galaxy" (أو مجرة جوتنبيرج) لمكلوهان الفترة الوسطى، شكّل أونج Ong عدد من المصطلحات اللازمة لفترتي التوقف والاسترجاع. أما فترة التوقف فقد تميزت كونها مرحلة "الشفهية الأولى" التي تم استرجاعها بمرحلة "الشفهية الثانوية" بمستوى أعلى من التكنولوجيا (أونج Ong 1982: 136-138).

والجدير بالذكر أن كلا المصطلحين يميزان فترتي الإصلاح والتغيير ولكن بالنسبة لأونج Ong، فإن شفهية التكنولوجيا التماثلية تبدو "ثانوية" بالمعنى الغامض الذي يعتمد على التعلم من خلال الثقافة المحيطة والتي من شأنها تطوير ومعالجة التكنولوجيا بصورة ناجحة. وقد يكون هذا المنظور أكثر فائدة، فبينما يحدث الاتصال الشفهي "الأولي" مباشرةً من فم المتكلم إلى أُذن المستمع، فإن مرحلة الشفهية "الثانوية"، على جانب آخر، تتمثل في الصوت المسموع بطريقة غير مباشرة من إحدى وسائل تكنولوجيا البث الإذاعي أو أجهزة التسجيل.

الإنترنت والتكنولوجيا الرقمية

إن نظريتي مكلوهان McLuhan وأونج Ong لم تعدا مستخدمتان من الناحية التكنولوجيا حيث أصبحت التكنولوجيا التماثلية التي أثارت ظهور هاتين النظريتين لاغية وغير فاعلة بسبب وسائل التكنولوجيا الرقمية. وبحلول عام 1982، لفتت هاتان النظريتان

الانتباه من جديد إلى ما أطلق عليه أونج Ong "إدخال البيانات بطرفية الكمبيوتر" ، حيث رأي أونج Ong أنهما يدعمان هذا المفهوم، خصائص الطباعة، بمعنى أن الاتصال اللفظي يمكن رؤيته (أونج Ong 1982: 136)- وهو ما يمثل خطوة للخلف فيما يتعلق بمرحلة الشفهية الثانوية للإعلام الصحيح. ولكن أثبت هذا الأمر عدم فعاليته فيما بعد، وسوف نلمس ذلك من خلال تعليقات أونج Ong على التطورات التالية بالمناقشات اللاحقة.

بالنسبة لمكلوهان McLuhan، يتضمن هذا التحديث بالضرورة إعادة تقييم الآخرين لآرائه في ضوء الإعلام الجديد، الأمر الذي نال ترحيبًا هائلاً كونه "نهضة مكلوهان" (كوبر Cooper 2006) التي تناهض نزعة شكوكية طويلة المدى والتي استبعدت آرائه بجانب آراء أونج Ong كونها "افتراضات العلم الاجتماعي" (برايس Price 2006: 9). وبالرغم من ذلك، فإن جزءًا هائلاً من عملية إعادة التأهيل هذه يتعلق بمساهمات مكلوهان McLuhan باستثناء خطة الإحياء (ليفنسون Levinson 1999، ميرويتز Meyrowitz 2001) وعندما يشمل بالفعل "The Gutenberg Galaxy" (أو مجرة جوتنبيرج)، فإنه يصبح ذا صلة أكبر بالأمور الخاصة بتكنولوجيا الإعلام على وجه التحديد؛ وسوف نتطرق للحديث عن هذه المسألة أيضًا فيما بعد.

وقد شهدت السنوات التي تخللت هاتين الفترتين تطور مجموعة من الصيغ الجديدة للخطط حيث يُنظر فيها لمرحلة الإحياء على أنها نتيجة لظهور الإنترنت ووسائل التكنولوجيا الرقمية فضلاً عن الإعلام الجماهيري التماثلي. ويركز معظمها على تطبيقات أو منصات معينة كما أنها مقسمة بين من ينظرون إلى الثورة الأولى، مثل مكلوهان، باعتبارها محطة لوصول آلة الطباعة ومن يعتبرون الكتابة، مثل أونج Ong، نقطة تحول بالتاريخ الإعلامي. بالنسبة للفريق الأول، تستمد وسائل التكنولوجيا الإعلامية الحديثة بعض الجوانب من الوساطة الطباعية التي سبقت ظهور الطباعة "فهناك عدد من القواسم المشتركة بين الإنتاج الإلكتروني ونسخ السجلات والمخطوطات خلال القرن الرابع عشر أكثر من رأسمالية الطباعة التي حلت محلها فيما بعد" (نانبيرج Nunberg 1993: 22، سف

بارون وآخرون 2007 cf Baron: 306). وبملاحظة اتجاهات النشر الحديث، تنبأ مارك Mark وكاثرين ويست Catherine West "بمستقبلٍ للكتاب يضاهي نموذج الكتاب بالقرون الوسطى حيث يجمع الأفراد بعض أجزاء النصوص المنتقاة من شبكة الإنترنت بكتابٍ عادي يحمل طابع القرون الوسطى" (2009: 71). وتفترض مارجريت إيزل Margaret Ezell (2003) أن الإعلام الرقمي الاجتماعي قد يسهل عودة "التأليف الاجتماعي"، وهو نظام يسبق هيمنة الطباعة، حيث استخدمه المؤلف الإقليمي في الترويج لأعماله في شكل صور مخطوطية في نطاق ما نُطلق عليه الآن اسم الشبكة الاجتماعية - فالوسيط يعتمد الآن على الإنترنت حيث تضم شبكة الإنترنت "الأصدقاء" الذين يمكنهم الدخول على الشبكة في الحال. وبالمثل، فقد لاحظ هارلود لاف Harlod Love أن الطباعة في لندن القديمة كانت تتنافس مع نظام ترويج المخطوطات الذي "يُعيد تشكيل نفسه في العالم المحيط حتى الضغط على لوحة المفاتيح وانطلاق همهمة معجبي الحاسب الآلي" (لاف 2002 Love: 112، مع التوكيد).

علاوةً على ذلك، فإن البحث الذي أجراه لي س. ماركوس Leah S. Marcus بعنوان "Cyberspace Renaissance" (أو نهضة الإنترنت) (1995) يرحب بظهور جيلٍ جديد من متخصصي النهضة الذين لم يتعرفوا على الخصائص المشتركة بوسائل التكنولوجيا الرقمية والطباعة فحسب بل إنهم يؤهَلون أيضًا لاستغلال هذا التوافق عن طريق نشر أحدها بدراسة الآخر. وبالنسبة لموارد الإنترنت والتكنولوجيا الرقمية، كونها أدوات علمية، فإنها أكثر ملاءمةً من الطباعة كالسياق المستخدم لتحليل النصوص المتوسطة من ناحية الطباعة لأنها تعيد إنتاج بعض سماتها البارزة على وجه التحديد - بمستوى عالٍ من التكنولوجيا - وخاصة المرونة النصية.

إن تبديل (أونج Ong) للثورات لا يتطرق للتكنولوجيا الرقمية والإنترنت باعتبارهما جوانب مستوحاة من الطباعة فحسب بل أيضًا مستوحاة من الوساطة الشفهية بعصر ما قبل الكتابة. ويفترض جون ديسمبر John December أن السمات "المثيرة والتعبيرية والتشاركية" بالمسار النصي للإنترنت (معظمه، والذي يُعرف بـ "الدردشة")

تمثل الرجوع إلى المرحلة الشفهية (ديسمبر 1993 December). وبالمثل، يُنظر إلى "الفائض المعرفي" لكلاي شيركي Clay Shirky بالإعلام الاجتماعي الحديث على أنه استعادة لأوضاع ما قبل الحداثة عندما كانت "الثقافة الهامة تشاركية - حيث تمثلت في الاجتماعات المحلية، والوقائع، والعروض" (شيركي Shirky 2010: 18-19). بالإضافة إلى ذلك، فقد اعتبرت جيل ووكر ريتبيرج Jill Walker Rettberg أحد وسائل الإعلام الاجتماعي والتدوين بمثابة استعادة للثقافة الشفهية وأنماط ما قبل جوتنبيرج من حيث الخصائص الاجتماعية والتحاورية والعامية بجانب تحديثها المستمر بعد الفترة التي تخللتها "طباعة الكتب" - حيث استندت إلى الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج (ريتبيرج Rettberg 2008: 33). وفي إحدى مشاركاته الأولى والفاعلة، أدرك استيفن هارناد Steven Harnad أن سرعة الاتصال اللفظي التي سهلتها التكنولوجيا الرقمية، بالرغم من أنها ما زالت نصية، قد عادت بنا خطوة للوراء وصولاً إلى سرعة الحديث، التي أعقبت فترة من الاتصال البطيء والمزعج من خلال النشر (هارناد Harnad 1991).

إن إحدى الإجابات المشهورة على الانتشار الواسع للكتابة تكمن في نقد الفيلسوف اليوناني سقراط لكثير من تأثيراتها غير المرغوبة، كما نقله أفلاطون. وعلى ما يبدو، فإن سقراط كان سيشعر بمزيد من الأريحية تجاه الإنترنت مقارنةً بالكتب، وذلك كما نقل ماثيو كينت Matthew Kent. ويدل هذا الحديث ضمنيًا على أن التكنولوجيا الرقمية قد أصبحت ذات قاسم مشترك مع الوسيط الذي يعتمد على الصوت والذاكرة، والتي يفضلها سقراط وأفلاطون، كما أن هذا التغير يعكس الآن خبراتهم المستقبلية. وذكر اريك مكلوهان Eric McLuhan: "أن أفلاطون يقف على خطٍ فاصل، وهو الخط ذاته، بالرغم من مواجهته للنمط الآخر وإحاطته بالمثقفين الأوائل" (مكلوهان McLuhan 2009، مع التوكيد). والجدير بالذكر أن كتاب "The Electronic Word" (أو الكلمة الالكترونية) لريتشارد لانهام Richard A. Lanham قد ساعد في إرجاء هذا التغير مؤكدًا على أن الوساطة الشفهية بالثقافة اليونانية لا تزال جزءًا من العُرف التعليمي الأوروبي الذي يعتمد على البلاغة التي لم تُنتهك إلا من قِبل الممارسات التعليمية التي اعتمدت على

اكتساب المعرفة والحكمة التي انطوت عليها "الكتب العظيمة" بعصر النهضة – ولكن تم استعادتها مرةً أخرى بعد ذلك، عام 1993، بمجرد الوصول إلى مستوى أعلى من التكنولوجيا حيث ظهرت في صورة معالجة النصوص الرقمية (1993: 101-111).

إن هذا النمط من التبادل بين مرحلتي التوقف والاسترجاع يكرر نفسه بالمناقشات التاريخية بشأن التكنولوجيا الرقمية التي كان لها أثر بالغ بمجال الإعلام اللفظي الجديد، مثل: نظام النص التشعبي الذي من شأنه تسهيل الانتقال الفوري بين مختلف الفقرات بوثيقة معينة، أو الانتقال بين الوثائق المختلفة، أو الانتقال بين مواقع الإنترنت المختلفة، إذا كان الجهاز متصلاً بالإنترنت. علاوةً على ذلك، قام ديفيد بيرنلي David Burnley (1995)، على سبيل المثال، بدراسة النص التشعبي عن كثب بالنسبة للمؤلف في سياق هائل يضم أوجه التشابه بين معالجة النصوص الطباعية والرقمية وأوجه الاختلاف بينهما مقارنة بالكتب المطبوعة التي تخللت الفترتين. علاوةً على ذلك، فقد أجرى الباحث تاتجانا كورني Tatjana Chorney (2005) مقارنةً بين النص التشعبي والجوانب الأكثر عملية من ثقافة المخطوطات بعصر النهضة والعصور الوسطى أي استخدام عَجلة القراءة للدخول على نصوص متعددة في وقتٍ واحد بجانب نسخ القصائد والفقرات والاقتباسات عند إعادة استخدامها بتصانيفٍ جديدة. وقد ذكر باحث آخر: "أن استخدام القارئ للنص التشعبي بعصر المخطوطات كان أكثر من استخدامه بعصر الطباعة" (ليتاو Littau 2006: 34).

وعلى النقيض، نجد أن جاي ديفيد بولتر Jay David Bolter، وهو باحث كلاسيكي أدرك وجود شيء يُذكره بالتطورات الحديثة في ظل الثقافة اليونانية القديمة، قد تطرق لدراسة النص التشعبي باعتباره شيء يتعلق بالعُرف الشفهي لأنه "يُشبه المحادثات الشفهية إلى حد بعيد عن طباعة المحادثات أو الكتابة اليدوية" (1991: 58-59). أما جورج لاندو George P. Landow، الذي سعى لدراسة العلاقات بين تكنولوجيا النص التشعبي والنظرية الأدبية بعصر ما بعد الحداثة، فيرى أن النص التشعبي يتميز بعلاقته بظروف ما قبل عصر الكتابة (2006: 116).

وعلى النقيض مما ذكره مكلوهان McLuhan وأونج Ong، فهناك العمل الرئيسي

الثالث عن فكرة الإحياء الأساسية لجون ميلز فولي John Miles Foley الذي نشأ مباشرةً من دراسته للإعلام الرقمي، حيث توصل إلى مجموعة من التطبيقات الخاصة والعامة.

والجدير بالذكر أن فولي Foley كان المرجع الأهم لملاحم هوميروس (Homeric epics) (حيث تعلقت مسألة التواصل اللفظي بها إلى سياق أعمال مكلوهان McLuhan وأونج Ong) بشأن الجوانب الشفهية للأعمال الأدبية العامية بالعصور الوسطى وكذلك الأعراف الشفهية لعصرنا الحالي وخاصةً مطربي ملاحم سلاف الجنوبية حيث تعلق أداءهم بدراسات هوميروس والدارسات بالعصور الوسطى خلال النصف الثاني من القرن العشرين (لورد 2003 Lord). بالإضافة إلى ذلك، فقد نجح فولي Foley في تحمل مسؤولية الجيل الجديد بالأعراف البحثية المتميزة - باعتباره مؤسس ومدير مركز دراسات الأعراف الشفهية بجامعة ميسوري ومؤسس ومحرر دورية الإنترنت "أورال تراديشن" (Oral Tradition) - كما ترأس أيضًا عدد من المشاريع الهامة التي ساعدت في نشر التكنولوجيا الرقمية بتحليل الأعراف الشفهية، وبوساطة نتائج هذا التحليل. وقد ساعد هذا الأمر ببراعة في تأهيل فولي Foley ليشمل هذه التكنولوجيا الرقمية باهتمام شأنها في ذلك شأن وسائل الإعلام ذاتها بمشروعه "Pathways Project" (أو مشروع المسارات) والذي يبدو أنه يسعى والفهم الشامل بين أعرافنا الشفهية (وقد أطلق عليها فولي Foley أيضًا السوق الشفهي أو المجال الشفهي) وبين تكنولوجيا الإنترنت والتكنولوجيا الالكترونية ("IT" و "e-agora") والتناقضات المشتركة بينها وبين عالم النصوص الاصطناعية (t-agora أو الميدان النصي) . ويضيف فولي Foley : "أن الهدف الرئيسي من مشروع المسارات يكمن في توضيح وتفسير أوجه التشابه الأساسية ومدى التطابق بين وسائل التكنولوجيا الفكرية الجديدة والقديمة للبشرية، أي الأعراف الشفهية والإنترنت" (فولي a2011 Foley).

أما الفترة التي تخللت العرف الشفهي "OT" واسترجاع الكثير من خصائصها البارزة بـ "تكنولوجيا الإنترنت" التي شبهها فولي Foley بالكتاب (حيث تجاهل تمامًا الإعلام الجماهيري التماثلي) ولكن بتعريفٍ أشمل لا يميز الطباعة عن غيرها، كالكتابة

على ألواح الطين وأوراق البردي وجلود الحيوانات. كما يشمل أيضًا الملفات الالكترونية الثابتة مما يعكس رؤية فولي Foley التي مفادها أن النص الموجود على شاشة الحاسب الآلي قد يبدو كالنص الموجود بالكتاب إلى أن تسمح المنصة بتدخل المستخدِم الذي يقوم بإعادة تشكيل المادة اللفظية وفقًا لرغباته ومتطلباته.

الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج

باعتبارها تصور لفكرة الإحياء، يستلزم مصطلح "الجملة الاعتراضية" الالتزام بتحديد وتفسير وضع هذه الأقواس الصارمة دون نقاش التي تبدأ وتنتهي بها – وهي أحد العيوب المدمجة التي تظهر عند تناول التاريخ الإعلامي المعقد الذي يشمل مجموعة متعددة من التطورات حيث يتم كل منها بمرحلة مختلفة وبلحظة معينة. وبصرف النظر عن الحديث عن الأقواس الغامضة أو الصارمة، إلا أنها قد تفيد في التعرف على لحظات الذروة الهامة نسبيًا للتغيرات التي تطرأ على مرحلتي الإصلاح والتوقف. وافتراضًا أن الجملة الاعتراضية لجوتبيرج تعلن أنه في كل حالة تعد تكنولوجيا الطباعة بمثابة القضية الأهم بهذه التطورات، وذلك حسبما ذكر مكلوهان McLuhan أنه بالرغم من أهمية الأبجدية واعتبارها ثورة عظيمة إلا أن أهميتها محدودة من الناحية العملية. ويرجع ذلك إلى أن ثقافة الطباعة قد احتفظت بما أطلق عليه والتر أونج Walter Ong "مرحلة الشفهية المتبقية" ولا سيما فيما يتعلق بطريقة قراءة المخطوطات بصوتٍ مرتفع حتى في حالة وجود قارئ واحد. بالإضافة إلى ذلك، فقد احتلت المخطوطات مرحلة التخزين فيما يُسمى بالعُرف "الشفهي" حيث تكمن الصلة بين العروض في ذاكرة الموسيقِي. ويمكن إضافة ذلك إلى السمات التي تجعل الوساطة الرقمية تضاهي عملية الطباعة وتختلف عن العملية المطبعية (نلاحظ بعضها في الدراسات التي تناولناها مسبقًا) التي تشمل طريقة نسخ النصوص كالاسترجاع من الذاكرة والتي قد تشمل قدرًا هائلاً من التغيرات المقصودة وغير المقصودة، "تساعد عملية الطباعة في نشر النصوص بطريقة مختلفة عن المخطوطات" (وولشام Walsham وكريك Crick 2004، 20؛ أونج cf. Ong 1982: 117).

وفي الوقت ذاته، ومن حيث المصطلحات الكمية، نجد أن الكتب المطبوعة قد

تفوقت على المخطوطات من حيث عدد الوحدات المنتَجة وعدد القراء وكذلك نطاق المجالات الثقافية التي شملتها. ويُعد هذا الأمر بمثابة ردٍ على المزاعم الظاهرية التي تفيد بأن تطور المخطوطة (وهي كتاب ذات أوراقٍ محدودة) منذ القدم كان أكثر ثورية من الطباعة (تشارتير Chartier 2007: 407) ولذلك فإن ثورة المخطوطات تتعارض مع التكنولوجيا الرقمية (ستالي براس Stallybrass 2002: 42). وفي وقت ما خلال القرن السادس عشر، نجد أن عدد الكتب المطبوعة الصادرة عن المطابع الأوروبية قد فاق عدد كافة المخطوطات المكتوبة بآلاف أو أكثر منذ ظهور المخطوطة. والجدير بالذكر أن هذه العملية تراكمية، حيث توارث الوسط الطباعي تأثير المخطوطة كما توارث تأثيرات الورق والحبر والأبجدية مع إضافة المزيد منها بجانب بعض السمات الخاصة.

علاوةً على ذلك، لم تصل هذه التغيرات التراكمية إلى أوج ذروتها خلال العام الذي صدر به أول كتابٍ مطبوع أو حتى أول صيغة محمولة، ففي تاريخ الإعلام "أصبحت وسائل التكنولوجيا بالفعل بالغة الأهمية بعد أن وصلت لنقطة "الانغلاق" وهي تلك النقطة التي يصل إليها الترويج لتقنية أو أداة معينة بين السكان إلى عدد حرج" (بريستول Bristol وماروتي Marotti 2000:3). والجدير بالذكر أن صدور الطبعة الأولى من المسرحيات الكاملة لشكسبير عام 1623 يعد مثالاً قويًا وواقعًا بالغ الأهمية حيث نُشرت نصف مسرحياته في حياته بينما نُشر اسمه بصفحة العنوان بنصف عدد الطبعات فقط. وقد يفضل البعض إرجاء نقطة اللاعودة إلى فترة الثورة الصناعية: "حيث بدأ عصر الكتاب الحديث عام 1810 عندما قام مخترع ألماني ... باختراع طابعة تعمل بقوة البخار والتي حصلت على براءة اختراع ومن ثم استطاع الإنسان للمرة الأولى الحصول على ورقة مطبوعة بطريقة ميكانيكية" (رايت Wright 2009؛ 60). وقد يساعد هذا الأمر في جعل الجملة الاعتراضية تبدو أقصر إلا أنه لا يستبعد كونها أحد مكونات خطة الإصلاح، لأننا لا نزال ننظر للتكنولوجيا الحديثة باعتبارها استعادة للمشهد الإعلامي قبل ظهور الكتاب العادي الذي نعرفه الآن (نايت Knight 2009: 340).

إن وضع نهاية للجملة الاعتراضية يعد أيضًا موضوعًا للتعرف على أوج الذروة

بالعملية التراكمية، وبالتأمل في أحداث الماضي نجد أنها ترحب بالتكنولوجيا التماثلية حيث حدثت مرحلة الاسترجاع قبل أوانها، حيث شكلت تهديدًا على وسائل الترفيه والهوايات المحلية، وبالتالي فقد لعب الراديو والتليفزيون دورًا حيويًا بجانب الكتب إلا أن "الإنترنت كان له القدرة الأعظم على أن يحل محلها بدلاً من كونه مكملاً لها، كأولوية الطباعة على الورق" (بيرسون Pearson 2008: 12). وبالتالي، ينبغي ألا ننظر للجملة الاعتراضية لجوتنبيرج على أنها فجوة بين مفهوم الشفهية الأولية والثانوية لأونج Ong.

بينما يتحدث الجميع عن الإنجازات التي حققها الراديو والتليفزيون والسينما والمسجلات عن طريق تأكيد الكلام المسموع على حساب النصوص المرئية، إلا أن وسائل الإعلام الرقمية ذات تأثير أقوى من حيث زيادة العامل النصي، فمثلاً: أصبحت "الهواتف" المحمولة تُستخدم في إرسال الرسائل النصية والقراءة أكثر من الحديث والاستماع. ولكن، كما أشارت بعض الدراسات وكما أكد وولتر أونج Walter Ong بملاحظاته الأخيرة، يعد هذا النمط نوعًا جديدًا تمامًا من النصية ولا سيما من حيث كونه فوريًا وغير رسمي؛ حتى بالخطابات المرئية، فإنه يبدو كما لو كان حديثًا عاديًا (وولتر Walter 2006؛ انظر أيضًا رايت Wright 2007: 231- 232). وقد أطلق أونج Ong على هذا النمط مصطلح "التثقيف الثانوي" ولكنه يشبه الحديث الشفهي المكتوب ظاهريًا من حيث نمطه النصي إلا أنه لا يعتبر نمطًا بسيطًا من الحديث، فمثلاً، نجد أن الكلام باستخدام الأصابع يعد نمطًا رقميًا بمعنى أو بآخر.

فترات الإصلاح: بخلاف التكنولوجيا

تكمن إحدى الخصائص المميزة للتعبيرات الأكثر شمولية لفكرة الإحياء الأساسية، بما فيها الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج، في توسع مجالها لما هو أبعد من تكنولوجيا الإعلام ليصل إلى التغيرات المتزامنة بثقافة المضيف ووثيقة الصلة كما يفترض في ثقافة المضيف.

الإنتاج الثقافي

ويتضمن ذلك أيضًا الإنتاج الثقافي بدايةً من القَصص الشفهي والشعر خلال عصر النهضة حتى الدراما التليفزيونية التي تعالج مشاكل الحياة المنزلية ومقاطع الفيديو بموقع يوتيوب التي تخللتها التكنولوجيا. ويرى ديفيد بولتر David Bolter أن كافة وسائل التكنولوجيا تتكون من "حيز كتابي" و "تعزز جميعها نمطًا خاصًا من طريقة الفهم التي تعبر عن ذاتها من خلال أساليب الكتابة والأنواع الفنية والنظريات الأدبية" (2001: 12). بالإضافة إلى ذلك، فإن التكنولوجيا الوسيطة قد تفرض تغيرات هامة بالمادة المعهود إليها قبل وصولها إلى مستلميها.

والجدير بالذكر أن مارشال مكلوهان Marshall McLuhan لم يبدي اهتمامًا شديدًا بالإنتاج الثقافي بحد ذاته، بل استقطبه أدب عصر النهضة ومسرحيات شكسبير حيث حاول التعمق في دراسة موضوع بحثه المتميز "الوسيط هو الرسالة" بمعنى أن التغيرات التي تطرأ بتكنولوجيا الإعلام تستلزم حدوث بعض التغيرات أيضًا بأسلوب التفكير (يمكن التطرق إليها فيما بعد). وعلى النقيض، حاول وولتر أونج Walter Ong وجون فولي John Foley إلى حد ما استكشاف طريقة ظهور نمط الإصلاح بالإنتاج الثقافي وتكنولوجيا الإعلام أيضًا، وتأكد الباحثان من ارتباطهما معًا. علاوةً على ذلك، فإن الجملة الاعتراضية لجوتبيرج تقدم سياقًا ترحيبيًا لمجموعة من الأفكار بشأن طبيعة التغيرات المتضمنَة بمسار الاسترجاع – مع إضافة بعض العناصر الجديدة.

وفي الوقت ذاته، تمت الإشارة إلى هذا التوافق من خلال اشتقاق "الجملة الاعتراضية" التي تضمنت مفهوم وضع ("موضوع البحث") داخل (" ") – لأن وضعها داخل حدود يعد أحد السمات المميزة لتكنولوجيا الإعلام والإنتاج الثقافي بعصر الطباعة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الامتياز الأعظم الذي أضافه أونج Ong على رأي مكلوهان McLuhan يكمن في كون الطباعة، وكذلك الكتابة، تمثل ثورة عظيمة حيث صورها الفصل الخامس من هذا الكتاب بعنوان موجز "الطباعة باعتبارها وسيلة للاحتواء" . وتتميز عملية الطباعة "بوضع الكلمات بحيز معين قد لا تستطيع الكتابة فعله" (أونج 1982 : 121، وقد أوضحنا المقصود بها هنا إلى حد ما).

وقد بدأت تكنولوجيا الطباعة باستخدام حروفٍ معدنية مشكّلة بقالب، وتم تخزينها بحروف صغيرة وكبيرة، وموضوعة بإطار من الأحرف المرصوصة بجانب استخدام مجموعة من الأوراق المصنوعة من الألياف والتي تم ضغطها وتجفيفها بإطار معين ثم تخزينها على شكل حزم (أو رزم) أو لفات. وقد نشأت هذه الحرفة مما يُسمى بـ"المطبعة" حيث تضم مجموعة من الحروف داخل قالب نصي، ويوضع هذا القالب ذاته بهامش صفحة ما، ثم طباعة جزء من الورقة وطويها وتجميعها وتخيطها ولصقها بباقي الأوراق لتشكل كتابًا (أو مخطوطة)، ويكون مغلفًا أو ربما يكون مطوقًا بغلافٍ ورقي أو موضوعًا داخل غلافٍ انزلاقي. ويتم تخزين هذا "المجلد" بكافة "محتوياته" بخزانة للكتب، ويجب أن يتناوله المرء من الخزانة ويفتحه حتى يتسنى له قراءته، وحينئذ قد "ينهمك" المرء في القراءة و"يضيع" بين طيات هذا الكتاب.

يرى أونج Ong أن هناك علاقة عضوية بين هذا الاحتواء للوسط الطباعي والاحتواء الذي يميز المادة التي تتوسطه بعدد من الطرق المتنوعة:

> "الطباعة هي عملية لا تتحمل النقص أو عدم الاكتمال الملموس. فهي تنقل الأثر إلا أن المادة التي يتعامل معها النص بالفعل تبدو كما لو كانت مكتملة ومتسقة. وقد خُصصت الطباعة لأكثر أشكال الفن اللفظي انغلاقًا .... ألا وهي ثقافة الطباعة ... فتشعر كما لو كان هذا العمل "منغلقًا" أو متحررًا من أعمال أخرى حيث يبدو كوحدة في حد ذاته". (أونج Ong 1982:133)

وبالتالي، فإن الثقافة اللفظية التي تخللت الكتب والصفحات تتمثل في هيئة أعمال يظهر محتواها في عدة طرق، منها: عدم اكتمالها (حدود واضحة بالبداية والنهاية)، واستقلالها (حدود بين العمل والمصدر)، وتحررها (حدود بين هذا العمل وأعمال أخرى)، وتكاملها (أي مقاومتها للإضافة أو الحذف أو انتهاك النص بطريقة أو بأخرى عبر هذه الحدود) (أونج Ong 1982: 132-135).

علاوةً على ذلك، تُغطي هذه التفاصيل الكثير من النقاط التي أدرجها فولي Foley بقائمة السمات الجوهرية للمادة بالميدان النصي- مثل: "الثبات، والتكرار الدقيق، ومجابهة تغير الشكل البلوري، والحالة الطليقة" (فولي Foley 2011b) – والتي يمكن تطبيقها أيضًا على بعض النقاط الأخرى مثل: "التأليف الفردي" و"طبيعة الملكية الخاصة"، أي تضمين عمل معين تحت طائلة مؤلف معين والحق في نسخ ملكية مالك معين.

وبعيدًا عن الجملة الاعتراضية لجوتبيرج، فإن التكنولوجيا والإنتاج يتميزان بحدودٍ صارمة. ومن الناحية المادية، نجد أن التكنولوجيا الرقمية من شأنها تأسيس "مكتباتٍ دون جدران" (تشارتير Chartier 1993) كما أن النصوص لم تعد تقتصر على ما بداخل الأغلفة. أما الأداء الشفهي، كجلسة الإنترنت مثلا، فإنه لا يُقيد بوقت معين كما أن دوام القصص الشفهي غير المقيد بحدود صفحة أو كتاب يرجع إلى "إطلاق حيز" ألعاب الكمبيوتر (بابيك Babic 2007). وقد وصف بيير ليفي Pierre Levy وروكساني لابيدوس Roxanne Lapidus "عمليات النص التشعبي والشبكات الرقمية" التي "تسببت في ظهور نصٍ خالٍ من أي حدود واضحة أو أي منطقة محددة. والآن أصبح لدينا "نص"، حيث يمكن للمرء أن يتحدث عن الماء أو الرمل مثلاً. بالإضافة إلى ذلك، يعتبر النص في حالة حركة مستمرة حيث يوصف بأنه متدفق ومتحولاً" (ليفي Levy ولابيدوس Lapidus 1997: 14).

وقد تختلف المفردات اللغوية، إلا أن الأعراف الثقافية في عصر ما قبل الجملة الاعتراضية (كالملاحم والرومانسيات والأغاني الشعبية والقصص الشعبية) تبدو مألوفة شأنها في ذلك شأن الأعراف الثقافية بعصر ما بعد الجملة الاعتراضية بالنسبة إلى عمليات الخلط وإعادة الخلط، التي يتحقق بها أي عمل جديد تباعًا عن طريق تجميع الأعمال الموجودة أو مراجعة عمل معين، وذلك غالبًا بنشر مجموعة من "العينات" المقتبسة من الآخرين – وتقوم كافة هذه العمليات بانتهاك حدود جميع الأعمال المعنية، كما يمكن لمس إمكانية تعرضها للانتهاك بمصطلح فولي Foley "الدخول العام" المطبق على المعنى الضعيف للملكية الفردية.

علاوةً على ذلك، تكمن السمة الأخيرة بتصوير فولي Foley للإعلام والإنتاج بالميدان النصي في مصطلح "غياب المسارات"، وهي صياغة فعالة تعبر عن الجانب الإيجابي للغياب السلبي البحت للحدود الخارجة عن نطاق الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج. وبالتالي، فإن الشاعر أو المنشد أو المغني الشعبي الذي يعتمد على الأداء – كالقارئ في بداية قراءته لرواية متشعبة أو اللاعب في بداية لعبة بالحاسب الآلي أو متصفح الإنترنت في بداية قيامه بمهمة ما – أن يخوض تجربة تتضمن دائمًا الوصول إلى مفترق طرق والتي تستلزم حينئذ عند مستوى معين اتخاذ قرار بشأن اختيار الطريقة المستخدمة. ومن المثير أن المطورين البارزين لألعاب الحاسب الآلي والأدب الالكتروني التفاعلي يدركون تمامًا أن الإلهام والماضي الحقيقي لأسلافهم لا تنطوي عليهما الروايات فحسب، بل يظهرا أيضًا بالملاحم الشفهية اليونانية: " مهما كان التقدم التكنولوجي الذي يمكن تحقيقه، إلا أن هؤلاء المؤلفين يسعون دائمًا إلى استعادة (أو إحياء) التجربة الأصلية لراوي الحكايات بعصر الحضارة" (سوزان Sussan 2010، ترجمتي).

وفي نهاية الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج ، نجد أن الكلمات تسترد حريتها التي كانت تتمتع بها قبل أن تتقيد بالكتب أو تلتزم بمبادئ التأليف وحقوق ملكية المؤلف. وعند اقترانها بتاريخ الإعلام الطويل، فإنه يمكن مضاهاة هذه المفاهيم مجازيًا بالجملة الاعتراضية، وقد استبق بول ايجيرت Paul Eggert (دون إغفال) التأكيدات التي مفادها أنه، مع تقويض النص التشعبي سلامة المنتجات اللفظية، فقد كان المفهوم الكلي للعمل الفردي يعد بمثابة "إشارة تاريخية مرتبطة بعصر طباعة الكتب" (ايجيرت Eggert 2004: 172). بالإضافة إلى ذلك، فقد تساءل روجر تشارتر Roger Chartier، عشية إحدى الأمسيات عند إجراء مناظرة بشأن حقوق الملكية بالبرلمان الفرنسي، قائلاً: "هل يمكن لحقوق المؤلف التي نشأت بعصر الطباعة أن تموت بعصر الإنترنت؟" إنه حقًا "فاصلاً تاريخيًا" (تشارتر Chartier 2005، ترجمتي).

أنماط التفكير

ولقد تضمنت فكرة الإحياء أيضًا بعض التغيرات بالأنماط العامة للتفكير في نطاق المجتمع المضيف، فمثلاً، نجد أن هناك فصلاً كاملاً بكتاب " Orality and Literacy" (أو الثقافة الشفهية والتثقيف) بعنوان: "إعادة هيكلة الكتابة". وتعكس هذه الصياغة أيضًا مفهوم "الحتمية التكنولوجية"، التي تطرق إليها مكلوهان McLuhan، والتي تنظر للتغيرات الإعلامية باعتبارها تأثيرات معرفية. وبدراسة هذا البُعد المعرفي، فإن الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج تؤكد أن العكس منطقي تمامًا، بالإضافة إلى أن التغيرات ذات الصلة قد تعكس التبعية المشتركة للتأثيرات السياقية والاجتماعية الثقافية.

ومن بين الأسس الرئيسية، نجد أن اهتمام فولي Foley قد انحصر في العلاقة المباشرة للموضوع بالوسيط والإنتاج الثقافي، ولا سيما الأعمال التي تقبع بذاكرة الشعوب عن ثقافات ما قبل عصر الكتابة والتي تضمنت تشكيل ونقل المادة اللفظية. وقد أدى ذلك إلى تشكيل فكرة من هذا المنظور أيضًا، مفادها أن الإعلام الرقمي بعد الجملة الاعتراضية يعتبر بمثابة استرجاع أو إحياء إلى حد ما: "هل يمكننا العودة في ظل وجود الإنترنت إلى طريقه للتمثيل والاتصال تكون أكثر حيوية من الوسيط التقليدي الذي يتمثل في الكتاب والصفحة؟ ... هذا النوع من الوسيط الذي ...يحاكي نمطنا في التفكير؟" (فولي Foley 2011a: "Online with OT").

وبالنسبة لمكلوهان McLuhan بكتابه "The Gutenberg Galaxy" (أو مجرة جوتنبيرج)، نجد أن الموضوع الرئيسي ينحصر في كون تعديل الطباعة للاتصال اللفظي من الاتصال السمعي إلى المرئي ذا تأثيرٍ هائلٍ على عقول المستمعين الذين يُصبحون قراء فيما بعد: "فالحضارة تمنح الرجل البربري ورجل القبيلة عينًا لأُذنه" (مكلوهان McLuhan 1962: 26). إن استعادة الدور السائد لعملية الإصغاء في ظل الإعلام الجماهيري بالقرن العشرين قد اعتبره مكلوهان بمثابة "عودة أفريقيا بالداخل" (مكلوهان McLuhan 1962: 45). وقد أوضح مكلوهان McLuhan أن "المجرة" بعنوان الكتاب مجرد مرادفٍ لمصطلح "البيئة" (مكلوهان 1962: vi)، والذي يؤثر على (أنماط تفكير)

المخلوقات التي تعيش فيها، كما تم دعم هذه الصورة بمدرسة البيئة الإعلامية التي أشار إليها نيل بوستمان Neil Postman بأنها "تدرس مدى تأثير الاتصال الإعلامي على إدراك وفهم ومشاعر وقيمة الإنسان" (2000).

وفي هذا الجانب من فكرة الإحياء الأساسية، نجد أن "نهضة مكلوهان" قد تكون الأكثر قبولاً، كالنهضة الحديثة، ولذلك فإن الإعلام الرقمي الجديد قد ألقى الضوء مجددًا على التأثير المعرفي للتغيرات التي طرأت على تكنولوجيا الإعلام: "إن الآثار المعرفية للإعلام الجديد تعد أقوى عواقبه" (بارون وآخرون .Baron et al 2007: 312). بالإضافة إلى ذلك، فإن من يقومون بدراسة اكتساب قدرات القراءة، ومن يقومون بمسح عقولهم إلكترونيًا لدراسة طريقة عملها، يتقاسمون هذا الاهتمام. ويؤكد البعض أن عملية تعلم المرء للقراءة تشمل "إعادة توصيل الكهرباء" للمخ كما أن "اللحظة التاريخية التي تقارب الانتقال الحالي من الثقافة التعليمية إلى الثقافة الرقمية نجدها بعملية الانتقال بالعصر اليوناني القديم من الثقافة الشفهية إلى الثقافة التعليمية" (وولف Wolf 2010). ويؤكد مدير مركز تصوير الدماغ المعرفي بجامعة كارنجي ميلون Carnegie Mellon University أن:

> "أن معالجة الطباعة لا تناسب طبيعة العقل البشري. فالكلمة المطبوعة ما هي إلا صناعة بشرية .... حتى أن اللغة المنطوقة تعتبر أكثر بيولوجية من قراءة لغة مكتوبة"

كما رد بطريقة إيجابية على استفسارٍ بمقابلة صحفية (عن مقارنة الإعلام "الرقمي" و"المرئي") عما إذا كانت التطورات الراهنة بتكنولوجيا الإعلام ترجع إلى عملية الإحياء:

> "هل يعني ذلك أننا ننتقل من عصر الطباعة والورق إلى العصر الرقمي بجانب ظهور المزيد من وسائل الإعلام المرئي، هل تتشكل بيئة طبيعية أفضل حيث يتسنى للبشر الحصول على المعلومات بسهولة مقارنةً بعصر الطباعة؟ (لودك Ludke 2010).

وفي محاولةٍ لتضمين هذا الجانب المعرفي، قد تستلزم الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج وجود علاقة مدهشة بين طبيعة التغيرات المعرفية المتزامنة مع الثورات الإعلامية ومن ثم التخطيط للمسار الإحيائي والسمات "الطباقية" عن التكنولوجيا الوسيطة والإنتاج الثقافي بالجملة الاعتراضية المشار إليها. وللتأكيد على الحدود والاحتواء في ضوء كافة العناوين (انظر بيتيت Pettitt 2009b للاطلاع على مزيد من الدراسات المفصلة).

بالإضافة إلى ذلك، فقد تم التأكيد عليها على الأقل بأعراف بحثية مختلفة تمامًا، في الوقت الذي تجاوزت خلاله الطباعة نقطة الانغلاق بإنجلترا (بعصر شكسبير تقريبًا)، وبدأ التشديد إلى حد كبير على البيئة كونها تتألف من عدد من المرفقات ، وعلى الجسد كونه يُشبه الغلاف، من حيث إدراكها ومن حيث تمثيلها ومن حيث معالجتها فعليًا. إن الترتيب الصحيح للأشياء بكل مثالٍ يتطلب سلامة الحدود المخططة من الداخل إلى الخارج والتي تحول دون الدخول إلى البلد أو الخروج منها بطريقة غير مناسبة (استالي براس Stallybrass 1986؛ بيرت وآركر Burt and Archer 1994؛ هيلمان Hillman 2007). وبالتالي، قد يمكن اعتبارها فرعًا مشتقًا من الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج بمعنى أن الثورة الرقمية قد يصاحبها أو سوف يصاحبها قريبًا تراجع التأكيد على الحدود والاحتواء من حيث مفهوم وتمثيل ومعالجة الحيز والجسد. وفي الوقت ذاته، يتضمن هذا الأمر إحياء المفاهيم ما قبل الجملة الاعتراضية والتي من شأنها فرض ضغوطٍ أقل على الحدود ومزيد من الضغوط على نوع بنيات الإنترنت التي تضمنها مصطلح فولي Foley "مسارات": الحيز كالطرق والمفارق؛ والجسد كالأطراف والمفاصل (بولينز Bolens 2000؛ بيتيت Pettitt 2009a).

الجدير بالذكر أن روبرت ديبرت Robert Deibert قد دعم هذه الافتراض في ظل فكرة الإحياء الأساسية المشار إليها بالنسبة للحقائق والمفاهيم المتغيرة بـ"نظام العالم". وبالفعل، يفترض هذا الباحث أن مفهومه يرتبط بالعلاقات الاجتماعية والسياسية بشكل عام، الأمر الذي جعل هذه العلاقات ذات بُعد حيزي مرتبطًا بموضوع الحدود. علاوةً على ذلك، فقد هيمنت "الدول الأمم المسيطرة إقليميًا بشكل متبادل" على عصر الطباعة

بخلاف البنيات بالعصور الوسطى التي "اعتمدت على المنطق غير الإقليمي للتنظيم" (ديبيرت Deibert 1997: 13). ولكن، فيما يتعلق بثورة الإعلام الحالية، فإننا نواجه نقلة عكسية "بعيدًا عن الكيانات الجماهيرية المفردة والحدود الخطية السياسية والهيئات القضائية الحصرية التي تركزت على فكرة الحيز الإقليميَ" ورجوعًا " نحو الكيانات المتعددة والمجتمعات غير الإقليمية والحدود المتداخلة والهيئات القضائية غير الحصرية" (ديبيرت Deibert 1997: 15).

ويوحي الحادث المماثل بهذه المستويات المتعددة - تكنولوجيا الإعلام، والإنتاج الإعلامي، والمعرفة (المفاهيم مثل: الجسد والحيز والعلاقات الاجتماعية)- لاستعادة التحرر من الحدود بعد فترة من الاحتواء، بأنها جميعًا تعد جزءًا من المسار الشامل بتاريخ الإعلام الغربي. وفي جميع الأحوال، من المثير للقلق أن ننظر لمفهوم "الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج" على أنها فترة منفصلة بتاريخ الإعلام مع وجود حدودٍ واضحة (محصورة بين قوسين) والتي قد يُنظر إليها باعتبارها أحد أنماط الفكر الذي يراها العالم من منظور الاحتواء وبأن موطنه الطبيعي يكمن في الإنتاج الثقافي (مثل: المقالات الأكاديمية) بالأعمال المدمجة (مثل: الدليل) التي توسطت صفحات الكتب المطبوعة من جانب بعض الناشرين الذين أصروا على حماية حقوق محتواها والاعتراف بحقوق النشر الخاصة بالآخرين بمادة مقتبسة. في الواقع، توحي كل هذه الأمور بأن الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج لن تنتهي حتى يتوقف "جمهور الكتاب" عن إدراك الفواصل أو الجمل الأعتراضية بالتاريخ الإعلامي (ويعتبر التبئير أيضًا شكلًا من أشكال الاحتواء).

ملاحظات

1- لقد قمت بتطوير هذا المنظور بناءً على اقتراح أحد الزملاء، يدعى سيمون فروست Simon Frost، حيث يمكن اعتبار الجملة الاعتراضية لجوتنبيرج بمثابة "صورة مجازية".

2- قد يثير ذلك بعض الغموض بعلم المصطلحات. وفي مجال الدراسات الإعلامية عمومًا، نجد أن السينما والتليفزيون، بخلاف السجلات والراديو، يمثلا الإعلام

"المرئي"؛ ولا يرجع هذا الأمر إلى تركيز مكلوهان McLuhan على الاتصال اللفظي، فلن تستطيع أن "ترى" الكلمات في جميع الحالات.

المراجع

Babic, E. (2007) "On the Liberation of Space in Computer Games." *Eludamos. Journal for Computer Game Culture*, 1(1), 1-9.

Baron, D. (2009) *A Better Pencil: Readers, Writers, and the Digital Revolution*. Oxford: Oxford University Press.

Baron, S.A., Lindquist, E.N., and Shevlin, S. (2007) "Agency, Technology, and the New Global Media Revolution," in S.A. Baron, E.N. Lindquist, and S. Shevlin, eds., *Agent of Change: Print Culture Studies after Elizabeth L. Eisenstein*. Amherst, MA: University of Massachusetts Press, pp. 301-314.

Birkerts, S. (2006) *The Gutenberg Elegies: The Fate of Reading in an Electronic Age*, 2nd edn. New York: Faber & Faber.

Bolens, G. (2000) *La logique du corps articulaire: Les articulations du corps humain dans la litt´erature occidentale* [The Logic of the Articulated Body: The Articulations of the Human

Body in Western Literature]. Rennes: Presses Universitaires de Rennes.

Bolter, J.D. (1991) *Writing Space: The Computer, Hypertext, and the History of Writing*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

Bolter, J.D. (2001) *Writing Space: Computers, Hypertext, and the Remediation of Print*, 2nd edn. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

Bristol, M.D. and Marotti, A.F. (2000) "Introduction," in A.F. Marotti and M.D. Bristol, eds., *Print, Manuscript and Performance*. Columbia, OH: Ohio State University Press, pp. 1-29.

Burnley, D. (1995) "Scribes and Hypertext." *The Yearbook of English Studies*, 25, 41-62.

Burt, R. and Archer, J.M., eds. (1994) *Enclosure Acts: Sexuality, Property, and Culture in Early Modern England*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Carr, N. (2008) "Is Google Making Us Stupid?" *The Atlantic* (July). www.theatlantic.com/magazine/archive/2008/07/is-google-making-us-stupid/6868.

Carr, N. (2010) *The Shallows: How the Internet is Changing the Way We Think, Read and Remember*. London: Atlantic Books.

Chartier, R. (1993) “Libraries without Walls.” *Representations*, 42(1), 38-52.

Chartier, R. (1997) “The End of the Reign of the Book." *Sub-Stance*, 26(1), 9-11.

Chartier, R. (2005) “Le droit d’auteur est-il une parenth`ese dans l’histoire?

[Are Authors' Rights a Historical Parenthesis?]." *Le Monde* (December 17).

Chartier, R. (2007) "The Printing Revolution: A Reappraisal" in S.A. Baron, E.N. Lindquist, and S. Shevlin, eds., *Agent of Change: Print Culture Studies after Elizabeth L. Eisenstein*. Amherst, MA: University of Massachusetts Press, pp. 397-408.

Chorney, T. (2005) "Interactive Reading, Early Modern Texts and Hypertext: A Lesson from the Past'." *Academic Commons* (December 12). www.academiccommons.org/commons/essay/early-modern-texts-and-hypertext.

Cooper, T. (2006) Review of L. Strate and E. Wachtel, eds. (2005) *The Legacy of McLuhan*. Cresskill, NJ: Hampton Press. *Journal of Communication*, 56(2), 433-6.

Darnton, R. (2009) *The Case for Books: Past, Present and Future*. New York: Public Affairs.

Darnton, R. (2010) "Blogging, Now and Then." *New York Review of Books* (March 18). www.nybooks.com/blogs/nyrblog/2010/mar/18/blogging-now-and-then.

December, J. (1993) "Characteristics of Oral Culture in Discourse on the Net." Paper presented at the 12th annual Penn State Conference on Rhetoric and Composition, University Park, PA (July 8). www.december.com/john/papers/pscrc93.txt.

Deibert, R.J. (1997) *Parchment, Printing, and Hypermedia: Communication in World Order Transformation*. New York: Columbia University Press.

Dewar, J.A. (1998) "The Information Age and the Printing Press: Looking Backward to See Ahead." Rand Papers, P-8014. www.rand.org/pubs/papers/P8014.html.

Dewar, J.A. and Ang, P.H. (2007) "The Cultural Consequences of Printing and the Internet" in S.A. Baron, E.N. Lindquist, and S. Shevlin, eds., *Agent of Change: Print Culture Studies after Elizabeth L. Eisenstein*. Amherst, MA: University of Massachusetts Press, pp. 365-377.

Eggert, P. (2004) "The Way of All Text: The Materialist Shakespeare" in R. Modiano, L.F. Searle, and P.L. Shillingsburg, eds., *Voice, Text, Hypertext: Emerging Practices in Textual Studies*. Seattle, WA: University of Washington Press, pp. 162-176.

Eisenstein, E.L. (2011) *Divine Art, Infernal Machine: The Reception of Printing in the West from First Impressions to the Sense of an Ending*. Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press.

Ezell, M.J.M. (2003) *Social Authorship and the Advent of Print*, 2nd edn. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.

Finnegan, R. (1988) *Literacy and Orality: Studies in the Technology of Communication*.Oxford: Blackwell.

Foley, J. (2011a) *Pathways Project*. www.pathwaysproject.org/pathways/show/HomePage.

Foley, J. (2011b) "The tAgora: Exchanging Tangible Goods." *Pathways Project*. http://pathwaysproject.org/pathways/show/tAgora#.

Gomez, J. (2009) *Print Is Dead: Books in Our Digital Age*. New York: Palgrave Macmillan.

Harnad, S. (1991) "Post-Gutenberg Galaxy: The Fourth Revolution in the Means of Production of Knowledge." *Public-Access Computer Systems Review*, 2(1), 39-53.

Hartley, J. (2009) "TV Stories: From Representation to Productivity" in J. Hartley and K. McWilliam, eds., *Story Circle: Digital Storytelling Around the World*. Oxford: Wiley-Blackwell, pp. 16-36.

Hillman, D. (2007) *Shakespeare's Entrails: Belief, Scepticism and the Interior of the Body*. New York: Palgrave/St. Martin's Press.

Kent, M.A. (2007) "Is the Internet too Platonic? Books, Electronic Media, and the Purpose of Communication." *International Journal of the Book*, 4(4), 95-100.

Kluth, A. (2006) "Among the Audience: Survey of New Media." *The Economist* (April 20). www.economist.com/node/6794156.

Knight, J.T. (2009) "Making Shakespeare's Book: Assembly and Intertextuality in the Archives." *Shakespeare Quarterly*, 60(3), 304-340.

Landow, G.P. (2006) *Hypertext 3.0: Critical Theory and New Media in an Era of Globalization*, 3rd edn. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.

Lanham, R.A. (1993) *The Electronic Word: Democracy, Technology, and the Arts*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Levinson, P. (1999) *Digital McLuhan: A Guide to the Information Millenium*. London and New York: Routledge.

L´evy, P. and Lapidus, R. (1997) "Artificial Reading." *Sub-Stance*, 26(1), 12-15.

Littau, K. (2006) *Theories of Reading: Books, Bodies and Bibliomania*. Cambridge: Polity.

Lord, A.B. (2003) *The Singer of Tales*, 2nd edn, ed. S. Mitchell and G. Nagy. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Love, H. (2002) "Oral and Scribal Texts in Early Modern England" in J. Barnard and D.F. McKenzie, eds., *The Cambridge History of the Book in Britain*, vol. IV: *1557-1695*. Cambridge: Cambridge University Press, pp. 97-121.

Ludke, M. (2010) "Watching the Human Brain Process Information: Conversation with Marcel Just." *Nieman Reports*. www.nieman.harvard.edu/reportsitem.aspx?id=102399.

Marcus, L.S. (1995) "Cyberspace Renaissance." *English Literary Renaissance*, 25(3), 388-401.

McCarthy, M. (2010) "Redeeming the Almanac: Learning to Appreciate the iPhone of Early America." *Common-Place*, 11(1). www.common-place.org/vol-11/no-01/reading.

McLuhan, E. (2009) "Literacy in a New Key." *Proceedings of the Media Ecology Association*, 10, 9-18.

McLuhan, M. (1962) *The Gutenberg Galaxy. The Making of Typographic Man*. Toronto, ON: University of Toronto Press.

Meyrowitz, J. (2001) "Morphing McLuhan: Medium Theory for a New Millenium." *Proceedings of the Media Ecology Association*, 2, 8-22.

Mod, C. (2010) "Books in the Age of the iPad." *@Craigmod* (March 2010). http://craigmod.com/journal/ipad_and_books.

Nunberg, G. (1993) "The Places of Books in the Age of Electronic Reproduction." *Representations*, 42(1), 13-37.

Ong, W.J. (1982) *Orality and Literacy. The Technologizing of the Word*. London: Methuen.

Pearson, D. (2008) *Books as History: The Importance of Books Beyond their Texts*. London: British Library.

Perrault, A.H. and Crummett, C. (2009) "From Aldus to iPod: Books and Personal Media Devices as Extensions of the Self." *The International Journal of the Book*, 7(1), 1-8.

Pettitt, T. (2007) "Opening the Gutenberg Parenthesis: Media in Transition in Shakespeare's England." Paper presented at the Creativity, Ownership and Collaboration in the Digital Age Conference, Massachusetts Institute of Technology, Cambridge, MA (April 27-29). http://web.mit.edu/comm-forum/mit5/papers/Pettitt.Gutenberg%20Parenthesis.Paper.pdf.

Pettitt, T. (2009a) "Books and Bodies, Bound and Unbound." *Orbis Litterarum*, 64(2), 104-126.

Pettitt, T. (2009b) "Containment and Articulation: Media Technology, Cultural Production and the Perception of the Material World." Paper presented at the Stone and Papyrus: Storage and Transmission Conference, Massachusetts

Institute of Technology, Cambridge, MA (April 24-26). http://web.mit.edu/comm-forum/mit6/papers/Pettitt.pdf.

Postman, N. (2000) “What is Media Ecology.” *Media Ecology Association*. www.media-ecology.org/media_ecology/index.html.

Powers, W. (2010) *Hamlet’s Blackberry: A Practical Philosophy for Building a Good Life in the Digital Age*. New York: Harper.

Price, L. (2006) “Introduction: Reading Matter." *Publications of the Modern Language Association*, 121(1), 9-16.

Rettberg, J.W. (2008) *Blogging*. Cambridge: Polity.

Rhodes, N. (2000) "Articulate Networks: The Self, the Book and the World" in N. Rhodes and J. Sawday, eds., *The Renaissance Computer: Knowledge Technology in the First Age of Print*. London and New York: Routledge, pp. 184-196.

Rhodes, N. and Sawday, J., ed. (2000) *The Renaissance Computer: Knowledge Technology in the First Age of Print*. London and New York: Routledge.

Sauerberg, L.O. (2009) "The Encyclopedia and the Gutenberg Parenthesis." Paper presented at the Stone and Papyrus: Storage and Transmission Conference, Massachusetts Institute of Technology, Cambridge, MA (April 24-26). http://web.mit.edu/comm-forum/mit6/papers/sauerberg.pdf.

Sauerberg, L.O. et al. (2011) *The Gutenberg Parenthesis - Print, Book and Cognition*. www.sdu.dk/Om_SDU/Institutter_centre/Ilkm/Forskning/Forskningsprojekter/Gutenberg_projekt.

Shillingsburg, P.L. (2006) *From Gutenberg to Google*. Cambridge: Cambridge University Press.

Shirky, C. (2010) *Cognitive Surplus: Creativity and Generosity in a Connected Age*. New York: Penguin.

Stallybrass, P. (1986) "Patriarchal Territories: The Body Enclosed" in M.W. Ferguson, ed., *Rewriting the Renaissance: Discourses of Difference in Early Modern Europe*. Chicago, IL: Chicago University Press, pp. 123-142.

Stallybrass, P. (2002) "Books and Scrolls: Navigating the Bible," in J. Andersen and E. Sauer, eds., *Books and Readers in Early Modern England: Material Studies*. Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, pp. 42-47.

Standage, T. (1998) *The Victorian Internet: The Remarkable Story of the Telegraph and the Nineteenth Century’s On-line Pioneers*. New York: Walker.

Sussan, R. (2010) "*Ecrits num´eriques: Vers une fiction interactive et collaborative* [Digital Texts: Towards an Interactive and Collaborative Fiction]." *Le Monde* (July 23). www.lemonde.fr/technologies/article/2010/07/23/vers-une-fiction-interactive-etcollaborative_1391694_651865.html.

Updike, J. (2006) “The End of Authorship.” *New York Times* (June 25). www.nytimes.com/2006/06/25/books/review/25updike.html?pagewanted=all.

Walsham, A. and Crick, J., ed. (2004) *The Uses of Script and Print, 1300-1700*. Cambridge: Cambridge University Press.

Walter, J. (2006) "Ong on Secondary Orality and Secondary Literacy." *Notes from the Walter Ong Collection*. http://johnwalter.blogspot.dk/2006/07/ong-on-secondary-orality-and-secondary.html.

West, M.D. and West, C.J. (2009) "Reading in the Internet Era: Toward a Medieval Mode ofUnderstanding." *International Journal of the Book*, 6(4), 71-88.

Wolf, M. (2010) "Our ‘Deep Reading’ Brain: Its Digital Evolution Poses Questions." *Nieman Reports*. www.nieman.harvard.edu/reportsitem.aspx?id=102396.

Wright, A. (2007) *Glut: Mastering Information Through the Ages*. Washington, DC: Joseph Henry Press.

Wright, A. (2009) "The Battle of the Books." *Wilson Quarterly*, 33(4), 59-64.

Young, S. (2007) *The Book is Dead (Long Live the Book)*. Sydney, NSW: University of New South Wales Press.

قراءات إضافية

Eisenstein, E.L. (1979) *The Printing Press as Agent of Change: Communications and Cultural Transformations in Early Modern Europe*, 2 vols. Cambridge: Cambridge University Press.

Foley, J. (1988) *The Theory of Oral Composition*. Bloomington, IN: Indiana University Press.

Foley, J. (2012) *Pathways of the Mind: Oral Tradition and the Internet*. Champaign, IL: University of Illinois Press.

Logan, R.K. (2010) *Understanding New Media: Extending Marshall McLuhan*. New York: Peter Lang.

Ong, W.J. (1977) *Interfaces of the Word*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

الفصل الرابع

الأدب والثقافة في عصر الإعلام الجديد

ديناميكية التطور والتغيير

بيتر سويرسكي Peter Swirski

في عصر المدونات والتغريدات والويبينار (المؤتمرات أو الاجتماعات التي تُجرى عبر شبكة الإنترنت)، وفي عصر الواي فاي والبث المباشر بالإنترنت والنشرات الصوتية، وفي عصر البرقيات والقمر الصناعي ونظام الدفع مقابل المشاهدة بالتليفزيونات عالية الدقة، وفي عصر مصانع الخيال (Fiction Factoryiesy) ونشر البريد المباشر وتقنيات الوسائط المتعددة، هل انقضى أوان ثقافة العصر الماضي؟ هل بات مصير الكتاب ذاته والوسائط الورقية ووسائط الترفيه القديمة نفس مصير القرص المرن والبيتاماكس؟ أو هل هناك أسباب للاعتقاد بأن تلاشي الإعلام القديم في عصر الإعلام الجديد يعتبر إلى حد ما خدمة ذاتية مرتبطة بقسم العلاقات العامة لتكتلات الاتصالات متعددة الجنسيات؟

ثقافة الكتاب

في عام 2001، كتبت وسائل الإعلام (الصحافة) القديمة تقريرًا عن استفتاء جالوب الذي ساعد في تشخيص اتجاه جديد يُعرف بـ "عدم الرغبة في القراءة". وعلى سبيل المثال،

قالت إحدى الطالبات الجامعيات: "إنني لم أنته من قراءة كتاب واحد"، وبالرغم من ذلك فقد تجاوزت دورة اللغة الإنجليزية بتفوق، وأضافت: "لقد تصفحت سريعًا الصفحة الثانية" (بابياك Babiak 2001: A9؛ للاطلاع على خلفية وتحليل الموضوع، انظر سويرسكي Swirski 2005). إن الرغبة في تعليق قراءة الكتاب قد انتشرت أيضًا بين الخبراء المثقفين من بينهم المعلمين الأمريكيين الذين اعترفوا بعدم رغبتهم في القراءة بالاستفتاء ذاته، بنسبة 50٪، شأنهم في ذلك شأن طلابهم.

علاوةً على ذلك، فقد ترددت عبارة "لقد مات الكتاب" على مسامعنا عشرات السنين حيث تلاشى دور الكتاب بسبب التليفزيون ومسارح تنسلتاون Tinseltown. وبالرغم من ذلك، ووفقًا لما نشره موقع ببليشرز ويكلي Publishers Weekly عام 1971، فإن ثلث الأفلام السينمائية تقريبًا التي تُنتج سنويًا بالولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على الروايات التي نُشرت مسبقًا. والجدير بالذكر أن الارتباط الجوهري بين الكتب والأفلام لا يعتبر شيئًا جديدًا. حتى أثناء عصر السينما الصامتة، فقد حققت مكتبة بينجوين ريدر Penguin's Reader أرباحًا هائلة من وراء الروايات السينمائية التي ظهرت بأكشاك بيع الكتب حتى عندما امتلأت البلدة بالخيمات الترفيهية. والجدير بالذكر أن أفلام متروبوليس (Metropolis) للكاتب فون هاربو Von Harbou ووحش البحر (The Sea Beast) مع الممثل دوجلاس فيربانكس Douglas Fairbanks، وفيلم أفضل بنت (My Best Girl) مع ماري بيكفورد Mary Pickford وكوبرا Cobra للنجم الإيطالي رودلف فالنتينو Rudolf Valentino قد باتت متاحة جميعًا أمام من تستهويهم الكتب المطبوعة والصور المتحركة.

أما عن الموت المزعوم لثقافة الكتاب خلال العقود التي أعقبت الحرب - أي الفترة التي شهدت ظهور الإعلام الجديد مثل: التليفزيون المذاع والبرقيات ومقاطع الفيديو من طراز في اتش اس VHS وأقراص الذاكرة المدمجة وحاليًا الإنترنت - فإن الحقائق تكشف عن قصة مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، قد أثار عصر التليفزيون زيادة هائلة في نشر الكتب. وعلى ما يبدو فإن القليل قد يصبح كثيرًا أحيانًا، حتى بعالم سوق الأدب واسع النطاق.

ويشير بعض علماء المستقبل هذه الأيام إلى التكنولوجيا واسعة النطاق بمحتواها التفاعلي المرتبط بالشبكة من الناحية الاجتماعية باعتبارها السبب وراء وضع ثقافة الكتاب تحت حكم الإعدام. ويزعم هؤلاء العلماء أن الكتب تتخذ مسارًا أحمقًا حتى أثناء انتقالها إلى جانب أجهزة الأيفون والآيباد الحديثة الأنيقة. وكما هو الحال مع الكثير من الأجهزة المنافسة بالسوق، فإن هذا الجهاز اللوحي ذا شاشة اللمس يمكنه الدخول – أو الوصول– إلى محتويات كافة المكتبات الرقمية والصحف ومنصات الاتصال الأخرى كافة، كما يمكنه حتى قلب الصفحات. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض الأغلفة الوقائية قد تُصمم لتشبه الغلاف المقوى للكتاب.

قد يكمن الوسيط بالفعل في الرسالة ولكن، في حالة الترويج للرسالة، لا يهتم الكثيرون بذكر شركة مايتي وردز .Mighty Words Inc، وهي شركة مزودة للخدمة الرقمية بجانب كونها شركة نشر عبر الإنترنت لأفلام ستيفن كينج Steven King مثل: e-novella وRiding the Bullet. وفي عام 2002، انضمت هذه الشركة الناشئة إلى صفوف شركات نشر عبر الإنترنت لا حصر لها في حين غادرت المجال التجاري. وقد ذكر مؤسسها والمدير التنفيذي لها: "إنني أعتقد أن مجال النشر الالكتروني سوف يصبح أكبر"، وأضاف: "يا لها من صحوة وقحة!" (أسوشيتد برس Associated Press b2001: E1).

وبالنظر إلى الدعاية المستقبلية، نجد أن الكتب سوف تصبح كالجثث الملقاة على جانبي طريق المعلومات، حتى أنه خلال فترة التسعينات من القرن العشرين، بدأت المكتبات العامة والمكتبات الأكاديمية بخفض نسبة مبيعاتها من المجلدات الجديدة، متوقعة تتوقع أن يُصبح التعليم برمته رقميًا بعد خطأ الألفية الثانية. وبالرغم من الضغط الشديد من جانب وسائل الإعلام الإلكتروني وأجهزتها المحمولة، إلا أنها ترفض إلقاء الكتب جانبًا. وأخيرًا، يقول مدير مطبعة جامعة برينستون Princeton University Press مازحًا قبيل أيامٍ من إصدار الكتب الإلكترونية والتنزيلات الفورية: "من يريد الذهاب إلى الفراش بمصاحبة قرصٍ مرن – أو مشغل مايكروفيلم؟" (مقتبس من تيبل Tebbel 1995: 155).

وبالفعل لم يزدهر نشر الكتب خلال عصر البث الإذاعي فحسب، بل استمر أيضًا في الازدهار خلال عصر البث المكثف. والجدير بالذكر أن إنتاج الكتاب بجميع أنحاء العالم، بناء على أعداد الكتب التي تُنشر سنويًا، قد زاد إلى أكثر من ثلاثة أضعاف ما بين عامي 1950 و1980 عندما نشأ جيل جديد كامل مرتبطًا بأنبوب فارغ أحادي اللون ثم شاشة صلبة أحادية اللون. وتُقدر العناوين الجديدة عام 1950 بما يقل عن 4/ 1 مليون عنوان بينما زاد عددها إلى نحو 4/ 3 مليون عام 1980. ويعتبر معدل النمو أعلى من معدل سكان العالم، الذي ارتفع من 2.5 مليار نسمة حتى 4.5 مليار نسمة خلال الثلاثين عامًا ذاتها.

علاوةً على ذلك، فإن هناك بعض القضايا المنهجية المعروفة حول هذه المسألة والتي تبدأ بمشكلة التجميع الأساسية: إلى أي مدى تعد دراسة الجدوى بالدولة مفصلة و/ أو موثوقة؟ وقد يتساءل المرء أيضًا عن التأخير المتواصل لهذه الدراسات (فكيف يتسنى للدولة العمل دون إجراء دراسة جدوى؟ والبيانات المفقودة (لماذا يخفق البعض في إجراء هذه التقارير خلال سنوات معينة؟، ووجود بعض المتناقضات (لماذا تختلف التقديرات القومية أحيانًا عن أرشيفات اليونسكو أو تُظهر مرتفعات ومنخفضات غير منطقية من عام إلى آخر؟ وحتى اختفاء التقارير من بعض الدول بالكامل.

وبالرغم من هذه الصعوبات والمشكلات ذات الصلة إلا أن مراجعة الملفات تكشف عن درجة عالية من الاتساق بين الوكالات المقدمة للتقارير. بالإضافة إلى أن الصورة التي عرضوها تكشف عن صورة صارمة. أما عن إجمالي عدد نسخ الكتب المطبوعة حول العالم، فقد بلغت 2.5 مليار نسخة عام 1952 واقتربت من 9 مليار نسخة عام 1980 وتجاوزت 13 مليار نسخة عام 1996، في حين اقتربت من 15 مليار نسخة اليوم. وبعبارة أخرى، بينما تم طُبع مجلد واحد لكل شخص حول العالم عام 1950، وصل العدد إلى مجلدين لكل شخص بعد ثلاثين عامًا – أي زيادة بنسبة 100٪ في فترة لا تتعدى حياة جيل واحد (وأثناء الفترة ذاتها، ارتفع معدل الثقافة العالمية فقط من 1.2 مليار حتى 2.5 مليار، وهو معدل أقل بكثير من معدل إنتاج الكتب).

وقد نقل الجيل ذاته المسؤولية إلينا حيث استمر في إنتاج الكتب بهذا المعدل الضخم

– وبالرغم من الزيادة السكانية الهائلة، إلا أن نسبة الكتب إلى الأشخاص خلال الألفية الثالثة قد اقتربت من اثنين وربع. ولكن لم ترتفع هذه الأرقام الفلكية بدرجة كبيرة حتى تمت دراستها من الناحية التراكمية. بالإضافة إلى ذلك، فإنه من الصعب أن نصدق أن أكثر من نصف هذه الكتب المنشورة قد ظهرت بعد الموسم الأول من فيلم (Dragent). وبالتالي، فإن أكثر من نصف المؤلفين الذين لم يبدأوا الكتابة بعد، قد فعلوا ذلك بعد إذاعة مسلسل (I love Lucy).

وخلال العقد الثاني من الألفية الثالثة، فإن عدد عناوين الكتب الجديدة التي نُشرت في أنحاء العالم كافة في أي عام قد تجاوز مليوني نسخة، بالإضافة إلى صدور 400 كتاب ورقي جديد بأمريكا شهريًا. علاوةً على ذلك، فإن عدد النسخ المطبوعة من مجموعة (Heftromans)، وهي روايات خيالية قصيرة زهيدة الثمن أغرقت السوق الألمانية ولا تتجاوز 64 صفحة، قد تخطي 200 مليون نسخة سنويًا. وبالرغم من المثالية التي خلفها عصر النهضة في هذا الوقت والتي قد تساعد المرء على متابعة تدفق المعلومات، إلا أن هذه الأيام (إن كانت قد وجدت بالأساس) قد انقضت إلى الأبد، ولن تعود أبدًا.

لقد سجل إنتاج واستهلاك الكتب نسبًا مرتفعة للغاية عن أية حقبة سابقة من تاريخ حضارتنا. بالإضافة إلى ذلك، فقد صور سالفادور دالي Salvador Dali عالم الكتاب كما نعرفه على أنه هرم مقلوب رأس على عقب أو مخروط زمني ضخم حيث تقع قمته في الماضي وقاعدته الجوفاء في مواجهتنا. بالإضافة إلى هذه الكتب، إذا نظرنا إلى نتاج الدوريات الأدبية الضخم، والمجلات، والنشرات الإخبارية، والمطبوعات قصيرة الأجل، والمطابع السرية، والمنشورات على شبكة الإنترنت وما إلى ذلك، لأدركنا عدد الكلمات الموضوعة سنويًا سواء على رفوف المكتبات أو ببنوك الذاكرة المركزية.

ومن الصعب تقدير حجم الكلمات الرائجة المطبوعة، حيث بلغ عددها طبقًا لموقع جوجل 15 مليون أي ما يُقدر بـ 150 مليون "عنوانًا" منذ اختراع مطبعة جوتنبيرج عام 1450. وفي عام 2011، اتحدت المكتبة البريطانية مع موقع جوجل لتضيف ربع مليون نسخة أخرى من الكتب – تضم حوالي 40 مليون صفحة – بشبكة الإنترنت. والجدير بالذكر أن

هناك مكتبات أخرى تنتظر اللحظة المناسبة لمحاكاتها. وكل ذلك بالطبع لا يعد سوى جزءًا ضئيلًا من إجمالي عدد "الاكسابايت" التي تشغلها المعلومات الثقافية بتاريخنا حضارتنا (جيجابايت × 1000 = تيرابايت؛ تيرابايت × 1000 = بيتابايت؛ بيتابايت × 1000 = اكسابايت). ويمتلك موقع يوتيوب YouTube وحده 24 ساعة من مقاطع الفيديو التي يتم تحميلها بكل دقيقة وكل ساعة يوميًا طوال العام.

ويمكنك وضع هذه الأرقام معًا وسوف تجد أنها تشكل اتجاهًا دراميًا، ألا وهو نهاية التاريخ الثقافي. فكل مؤشر إحصائي بكافة مجالات الإنتاج الثقافي تبرهن حقيقة أن حجم المعلومات يتزايد بالنسبة لكل وحدة زمنية. ويعني ذلك أن الخط الفاصل الذي يقسم إجمالي قيمة الإنتاج الثقافي إلى نصفين يقترب كثيرًا من الوقت الحالي - وسوف يستمر في ذلك. وما زال هذا الخط الفاصل ثابتًا منذ بضعة عقود أو على الأقل منذ بضعة أعوام (وفي عام 2011، قدّرت صحيفة The Economist أن " مقدار المعلومات المخزنة حول العالم يتضاعف كل 18 شهرًا"). والواقع أن الأرقام التي تصف هذه العملية هي أرقام تقاربية، بمعنى أننا نقترب من اليوم الذي سوف يصبح فيه ماضينا الثقافي مجرد جزءٍ من حاضرنا الثقافي الذي كُتب علينا الوقوع بشركه إلى الأبد.

والجدير بالذكر أنه لا طاقة لنا بخدمة المواطنين والعملاء بجلب المزيد والمزيد من المعلومات رهن إشارتهم. فإننا نعيش بعصر تدفق المعلومات الذي حوّلنا إلى أشخاص نهمة سواء بإرادتنا أو رغم عنا. ربما تغيرت نسبة كل ما هو أصلي إلى إجمالي النتاج الثقافي، إلا أن مضاعفة كليهما ملايين المرات قد يؤدي إلى انهيار الإنتاج الثقافي كما لم يكن موجودًا على الإطلاق. وبالرغم من أن الإنتاج الثقافي قد يستغرق وقتًا طويلاً، إلا أنه بإمكانك الحصول على 10 كتب جيدة من ألف كتاب. ولكنك لن تجد أبدًا مليون كتاب جيد من مليار كتاب - أو اربط رأسك حول التوسونامي الثقافي الذي يدق بابنا يوميًا.

وفيما يتعلق بثقافة القراءة، فإن الأرقام واضحة في بيان أن الكتاب ما زال موجودًا. فالعكس صحيح تمامًا. إن عدد العناوين الجديدة التي صدرت بالولايات المتحدة الأمريكية وحدها قد زاد بمقدار أربعة أضعاف ما بين عامي 1950 و1991، وأكثر من

أربعة أضعاف مرةً أخرى خلال العشرين عامًا التالية (شتاينبرج Steinberg 1996: 243). حتى موقع أمازونAmazon.com - الذي يقدم مجموعة من التسهيلات لبيع الكتب بالتجزئة عبر شبكة الإنترنت - نجد له عدد كبير من المنافسين، كونه أحد المواقع العالمية لبيع الكتب بالتجزئة، وهو دليل آخر على سلطة الكتب المطبوعة.

ومن الطبيعي أن نتساءل عن مدى طبيعة العلاقة بين عملية النشر والقراءة، ولذلك دعنا نتتبع العلاقة بين نشر الكتب والمرحلة المتوسطة، وهي شراء الكتاب. وهنا تصبح الأعداد أكثر وفرة. والجدير بالذكر أن نسبة مبيعات الكتب عام 1991 قد تجاوزت نسبة المبيعات عام 1950 بحوالي 35 مرة. وقد زاد استثمار المال بمجال نشر الكتب في عصر الإعلام الجديد. وفي عام 2000، اقترب صافي المبيعات بالولايات المتحدة الأمريكية من 2 مليار دولار، كما زاد بنسبة 3٪ أخرى عام 2001 (وكالة أنباء أسوشيتد برس Associated Press a2011).

وبالرغم من أن الأسواق الأنجلو الأمريكية تعد من أضخم أسواق النشر، إلا أنها تمثل شريحة صغيرة فقط من النزعات العالمية التي تتحرك بالاتجاه ذاته. وتتحدث الأعداد عن نفسها بالطبع. فقد كانت الزيادة في إنتاج العناوين المختارة للكتب الدولية خلال السنوات الست بدايةً من عام 1990 حتى عام 1996 كما يلي: الصين من 74000 حتى 110000؛ وألمانيا من 61000 حتى 71000؛ وأسبانيا من 36000 حتى 46000؛ وإيطاليا من 25000 حتى 35000. وقد سجلت فرنسا تراجعًا طفيفًا في حين حافظت روسيا على معدلها الطبيعي. وفي بداية فترة التسعينات، سجلت اليابان زيادة ضخمة بداية من 35000 حتى 56000 بينما زادت هولندا من 14000 إلى 34000. علاوةً على ذلك، فقد لحقت دول التحالف الصغيرة مثل كندا بهذا الركب، حيث زادت من 8000 عام 1990 إلى حوالي 20000 عام 1996 (دورية بوكر Bowker's Annual 2000: 530-534).

وبالطبع، فالأكبر لا يعني بالضرورة الأفضل، ومن ثم يجب أن يكون المرء حريصًا بشأن مقابلة هذه الأعداد الهائلة بالهتافات العظيمة. فلا توجد علاقة مباشرة بين الكمية والجودة بعالم النشر - ولن تنشأ مثل هذه العلاقة — بل وأقل من ذلك بعالم الفن. بالإضافة

إلى ذلك، فإن معدل البيانات الإحصائية دائمًا ما تُغطي على التوزيع غير المتكافئ للقراءة. فالعودة إلى عام 1951، على سبيل المثال، نجد أن 10٪ فقط من السكان البالغين هم من يقومون بقراءة حوالي 70٪ من الكتب، بينما يمثل 10٪ فقط من المشترين نسبة 80٪ من المبيعات (بيرلسون Berelson 1951؛ انظر أيضًا دوتشر Dutscher 1954). وبالرغم من التغيرات التي تطرأ على التعداد السكاني والمكاسب التي يحققها التعليم العام، إلا أننا ندرك أن هذه النسب ربما تم تشويهها الآن إلى حد كبير.

وبالمثل، فإن الحقيقة التي تفيد اليوم وجود عدد كبير من منافذ بيع الروايات لا تخفي أن نصيب الأسد قد يكون حفنة من سلاسل المتاجر المتخصصة في عرض قوائم الكتب الأكثر مبيعًا والمشروبات الرائجة والتي تختلف أولوياتهم غالبًا مع محبي الكتب ومشتريها. وفي أسوء الأحوال، نجد أن معظم باعة الكتب يرفضون شراء الروايات الجديدة بالكامل مما يحول دون تخزين الكتب التي قد لا تحقق مبيعات هائلة. ويرثي هورد كامنيسكي Howard Kaminsky، مدير مكتبة ورنر بوكس Warner Books لبيع الكتب، جيلاً انقضى، قائلاً: "منذ ستة أعوام، كنا نقوم بنشر حوالي 20 كتابًا شهريًا. أما الآن، فإننا ننشر أربعة عشر كتابًا تتضمن إصدارات ثانية من كتب سابقة. بالإضافة إلى ذلك، فقد حققنا مبيعات تصل إلى حوالي ستة أضعاف ما حققناه منذ ستة أعوام؛ حيث نشرنا مزيدًا من الكتب عن طريق نشر بضع كتيبات" (وايتسايد Whiteside 1980: الجزء 3، 132؛ أو ديسور Dessauer 1974).

وهناك علامة أكيدة على ازدهار صناعة النشر ألا وهي الحماس الشديد الذي تجلى بعمليات شارع وول ستريت Wall Street على مدار الخمسين عامًا الماضية. وقد ازدهرت المشغلات الأساسية عندما أصبحت شركات مساهمة عامة تقوم بتمويل موجة من التوسعات (شركة راندوم هاوس للنشر Random House؛ شركة هوغتون ميفلين Houghton Mifflin) والتنوع بمجالات أخرى (ماكميلان Macmillan؛ هاركورت Harcourt) مبتلعة أشقائها الأصغر (فمثلاً، اشترى هاربر Harper ورو Row حصة ليبنكوت J.B. Lippincott؛ كما ضمت شركة هيرست سينديكيت Hearst Syndicate

شركة آربر هاوس Arbor House للكتب الورقية إلى شركة ايفون بوكس Avon Books للكتب الالكترونية)، أو الاستسلام إلى شعار"الدمج" العام (دبل داي Doubleday وديل Dell، فايكنج Viking وبينجوين Penguin).

انتهت بعض الشركات عن طريق دمجها بكبرى الشركات متعددة الوسائط. فمثلاً، لم تستحوذ شركة ماتسوشيتا اليكتريك Matsusshita Electric على شركة أمريكا للموسيقى Music Corporation of America فحسب، بل استحوذ أيضًا على مجموعة بوتنام بيركلي للنشر Putnam-Berkeley. وفي بداية فترة الثمانينات من القرن العشرين، أصبحت شركة دابلداي Doubleday للنشر الشركة الوحيدة المملوكة لعائلة العاملة بتجارة الكتب قبل أن تصبح هي الأخرى جزء من شركة بيرتلسمان Bertelsmann، وهي مؤسسة ألمانية للاتصالات تعمل كنموذج الامبراطورية دوت كوم dot-com والتي تم التصدي لها بفيلم Tomorrow Never Dies (أو الغد لا يموت). وبالرغم من ذلك، فإن أوضح مؤشر بشأن كيفية نشر كتاب مربح اليوم يكمن في سرعة صناعة الأفلام.

وثمة مجموعة من دور النشر التي حققت شهرة واسعة اليوم مثل: شركة MCA وفيلم واي بيكتشرز Filmway Pictures وجلف آند ويسترنGulf and Western وشركات أخرى. فمثلاً، نجد أن شركة جلف آند ويسترن Gulf and Western تتباهى باستوديو Paramount ودار نشر Simon & Schuster وفئة Pocket Books التابعة لها بالقسم الترفيهي، بينما تسعى شركة ورنر للاتصالات Warner Communications لتأسيس كتب ورنر Warner خاصتها. علاوةً على ذلك، فإن أوبرا وينفري Opera Winfrey، الملكة "المتقاعدة" مؤخرًا عن برنامجها اليومي بالتليفزيون وشهرتها الإعلامية الهائلة، تمتلك ناديها الخاص للكتاب ومجلة أدبية. وفي حفل رسمي أُقيم عام 2003، لم تُستقبل بحفاوةٍ فحسب بل استقبلتها جمعية الناشرين الأمريكيين Association of American Publishers بتصفيقٍ حاد نظرًا لمساهماتها بمجال النشر.

هوامش الثقافة الرفيعة

مما لا شك فيه أن ثقافة الكتاب الأزلية لم تتدهور يومًا ما، فماذا فعلت وثائق البيانات ذات الصلة خلاف ذلك؟ بدايةً وقبل كل شيء، فإن زيادة تهميش الأدب قد جذبت انتباه المؤسسات رفيعة الثقافة، بالأساس الأدب القديم والشعر والخيال "الأدبي" الجديد. وبجانب ذلك، فإن أعداد توزيع الكتب بمنافذ بيع التجزئة بأمريكا هي أعداد مؤكدة في هذا الشأن. وفيما يتعلق بفئات الخيال الأدبي، فقد بلغت حصتهم بالسوق الأمريكي 44٪ عام 1999 بالنسبة للأدب الشعبي حيث حققت أعلى نسبة للمبيعات في مقابل 1٪ بالنسبة للأدب القديم، والخيال الأدبي الجديد والشعر (ديسوار Dessauer).

علاوةً على ذلك، فقد بلغت نسبة مبيعات الأدب القديم والخيال الأدبي والشعر ما يقرب من 2.5٪ من حجم مبيعات كتب الخيال الشعبي بأمريكا. ومما لا شك فيه أن الصورة قد تغيرت تمامًا بأماكن أخرى على الكرة الأرضية. حيث حققت الرسوم المتحركة اليابانية (المانجا) نسبة هائلة من المبيعات تُقدر بـ 45٪ من إجمالي حجم مبيعات كافة الكتب والدوريات باليابان. وبالطبع، فإن بعضها لا يتعدى كونه مزيجًا من المحتوى الجنسي والعنف الفاضح، ومن ثم، فقد أدانها النقاد الاجتماعيون. وبالرغم من ذلك، فإن البعض الآخر منها يعرض مجموعة من الرسوم أو القصص أو شيئا من التعقيدات السيكولوجية والتي تستهدف جميع المراحل العمرية والثقافية بدايةً من الروايات التي تركز على التطور النفسي والأخلاقي للبطلات مرورًا التخيلات الانهزامية لأصحاب الشركات حتى قصص المعمرين ذات الطابع التاريخي.

وهناك إجابتان سريعتان على هذه التساؤلات، إحداهما أن أعداد توزيع الكتب قد تكون مضللة أحيانًا بسبب أعداد النسخ المتبقية، والتي قد بلغت نسبة 40٪ حيث تُضاف هي الأخرى إلى إجمالي عدد المبيعات. أما الثانية، فتمثل نقطة تعارض: فالنقطة المذكورة أعلاه يعوضها جزئيًا وجود فئات القصص الخيالي الأخرى (مثل: قصص الأطفال، التي تأخذنا إلى عالم هاري بوتر). وبالرغم من ذلك، فقد تأكدنا من تدقيق البيانات الحديثة التي وضعتها الجمعية الأمريكية لباعة الكتب أن الأرقام المذكورة أعلاه هي أرقام عالية الدقة.

لم تتغير حصة كتب الخيال الشعبي من مبيعات كتب الكبار فحسب، بل قاربت أيضًا أرقام التوزيع. فمثلاً، عام 1991، نجد أن كتب الخيال (مثل: قصص الجاسوسية وقصص الإثارة، والقصص الخيالية، والكتب العامة، والتاريخية، وكتب المغامرات، وقصص الألغاز والكتب الدينية والرومانسية، وكتب الخيال العلمي وكتب الإثارة والتشويق، وكتب علم النفس، والأفلام التليفزيونية والغربية) قد حققت حوالي 55٪ من سوق المبيعات في مقابل كتب المثقفين التي حققت أقل من 3٪ فقط من إجمالي المبيعات. أما في عام 1998، فقد حصلت كتب الأدب الشعبي مرةً أخرى على نصيب الأسد حيث بلغت نسبة مبيعاتها 52٪ في مقابل كتب الفن/ والأدب/ والشعر التي لم تتجاوز نسبتها 4٪ (وتضم الفئة الأخيرة أيضًا كتب الفن/ والمعمار، وكتب الفن المعاصر/ وكلاسيكيات الأدب القديم، والمسرحيات/ والشعر والفنون المسرحية وكل ما يتعلق بالفنون الشعبية).

في الواقع، تستأثر كتب الثقافة الرفيعة حصة من السوق أكبر من أرقام التوزيع المسجلة بالوثائق، وذلك بالنسبة للكتب التي تصدر سنويًا. وبناءً على ذلك، سوف تتسع فجوة بحجم الحساب البنكي لصوفي كينسيلا Sophie Kinsella بين العامة وحماة الخطابات فيما يتعلق بما يشترونه وما يقرؤونه وما يعلقون عليه معرفتهم الثقافية. والجدير بالذكر أن ما يقال بأن هامش الثقافة الرفيعة يمثل قشدة المحصول الأدبي هو أمر مثير للجدل. فبعيدًا عن الخطأ الجلي لمثل هذه التأكيدات، التي وثقت كتاب (From Lowbrow to Nobrow) (للكاتب سويرسكي Swirski 2005) باعتباره الأكثر مبيعًا، ويعتبر هذا الحكم غير مناسب إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى أية وسيلة من وسائل الإعلام، سواء قديمة أو جديدة، في ظل السياق الثقافي الاجتماعي.

وبعيدًا عن المزاعم (الكيفية) بالنقص أو القصور، فهناك عدد من الأسباب الكمية المألوفة وراء عدم الانتباه المنهجي والتعليمي هذا للخيال الشعبي. ومع بداية عام 1950، رأت مزيد من الكتب النور مقارنةً بما كان في الأعراف الأدبية برمتها، رجوعًا إلى الوراء حتى ملحمة جلجامش Gilgamesh. علاوةً على ذلك، فقد أكد محررو كتاب Five Hundred Years of Printing (أو خمسمائة عام من الطباعة) أن: "هذه المسألة قد انقضت

منذ زمن طويل" ، "حيث يتسنى لأية مكتبة أو منفذ لبيع الكتب تخزين أكثر من جزء ضئيل معينة من الكتب المطبوعة أو في حالة تلقي جميع الكتب التي تستحق قراءة أو مراجعة مثل هذه القراءات أو المراجع " (شتاينبر Steinberg 1996:243). وعلى سبيل المثال، نجد أن شركة دابلداي Doubleday تستلم حوالي 10000 مخطوطة سنويًا "دون اتفاقٍ مسبق" (وهو المصطلح المتداول)، وبالتالي، لا يتم توقيع سوى بعض منها فقط (بالكين Balkin 1977:6).

إن أي إنسان مثقف خبير بشئون الدولة يعرف بالطبع عن عملية النشر العلمي. ففي بداية تشكيل جمعية مطابع الجامعة الأمريكية عام 1932، لم يكن هناك سوى ثماني مطابع فقط عند إجراء اجتماع غير رسمي مع المدراء. وبعد مرور خمسين عامًا، أصبح هناك أكثر من 70 مطبعة، ومع بداية هذه الألفية، نجد أن هناك ما لا يقل عن 125 مطبعة. وبالمثل، بلغ عدد الدوريات العلمية بمنتصف فترة الستينات 100000 دورية "فقط"، أما اليوم فهناك أكثر من مليون دورية. وخلال الفترة التي تخللت عامي 1960 و2010، فقد زاد عدد الدوريات الاقتصادية وحدها من 80 إلى 800 دورية.

ومع هذا التدفق الهائل في المطبوعات الأكاديمية، كان من الضروري القيام بنشر مجموعة من الفهارس تضم عناوين المطبوعات. ويتساءل المرء فقط عن مقدار الوقت الذي توفره هذه الفهارس المتغيرة وكم نحتاج من سنوات لعمل هذه الفهارس. ولا عجب أيضًا أن مكتبات اليوم ما زالت تبذل الكثير من الجهد لترقيم وضغط البيانات، أما غدًا فسوف يركزون على الاختيار والبحث بشكل خاص. وعلى النقيض، ربما يصبح من الأسهل إنشاء معلومات جديدة بدلاً من التعرف على إمكانية العثور على بيانات موجودة بالفعل من عدمها.

علاوةً على ذلك، فإن أجهزة الكمبيوتر التي تساعد في عمليتي البحث والدخول على المعلومات لا تهاجم فيض المعلومات فحسب بل تلطف أيضًا من أعراضها. وقد يضع موقع جوجل Google ملايين من صفحات الإنترنت تحت تصرفك في أقل من الثانية حيث يخدعك بإمكانية الدخول بشكل أفضل وأسرع على صندوق المعلومات

الموجود في الفضاء الإلكتروني؛ وبالرغم من ذلك، فإنك لن تكون قادرًا حتى على فحص ولو جزء ضئيل من هذه الصعاب أو ملاحظة أولويات البحث الحسابي. ويتطلب محرك البحث المحجوب الثقة العمياء من جانب مستخدميه، وهو مفهوم جذاب بالنظر إلى كم الدعاوي القضائية ضد شركة جوجل بسبب تثبيت نتائجها.

إن أحد التناقضات التي تنشأ نتيجة هذه الحالة يكمن في التأثر المتوازن في حالة المراجعات الأدبية من جانب صُناع الذوق. أما في حالة المؤلفين المشهورين، فإن النظام لا زال يعمل – سواء أكثر أو أقل. بالإضافة إلى ذلك، فإن الثناء الشديد على ملحق New York Times Book Review أو Los Angeles Book Review قد زاد من نسبة مبيعاتهما في حين يتسبب الانتقاد في انخفاض نسبة المبيعات. ولكن، كما أظهرت البحوث، تنطبق هذه العلاقة المتبادلة على الأسماء الأدبية الثابتة فقط. أما بالنسبة لأي شخص آخر، فإن القواعد بعصر الإعلام الجديد تبدو على غرار رواية أليس في بلاد العجائب (Alice in Wonderland). فالثناء أو الذم سيكون لهما التأثير ذاته بالسوق المعاصرة حيث ترتفع نسبة المبيعات في الحالتين.

وبعبارة أخرى، لا يوجد جديد بهذا المنعطف من الإعلام الجديد بشأن الحكمة القديمة التي مفادها أن أية دعاية من المفترض أن تكون دعاية جيدة. وباستثناء ذلك، فإننا لم نعد نتحدث عن الأعمال المثيرة والبدع الإعلامية التي تُبتكَر لمنح مؤلفيها 15 دقيقة من الشهرة ولكننا نتحدث عن الانهيار الأولى للهيكل النقدي العُلوي برمته. علاوةً على ذلك، فقد كُلفت المؤسسات الثقافية من جانب المجتمع بغربلة الفن من كل ما يشوبه تحت مسمى القيم التي تجاوزت الجماليات المجردة إلى حد بعيد، وبالتالي فإن المؤسسات الثقافية تقاتل حامية الجيش وتخسر المعركة. وعندما يفوق التمييز السلعي– في هذه الحالة يكون اسم العلامة التجارية بالمصدر والبحث – المحتوى الفعلي للبحث، حين يلتقيان بين الفن وصناع الذوق النقدي، حيث يتشكلان على أفضل من حيث الحركة العشوائية البراونية (نسبةً إلى روبرت براون).

إن الهجوم النقدي هذه الأيام سوف يتمتع بالتأثير ذاته، بمعنى انتزاع كتاب غموض

كونه كتابًا واحدًا من بين مليون عنوان يُنشر سنويًا. علاوةً على ذلك، فإن ذكرى البحث تتلاشى بينما تتباطأ ذكرى مصدره. وبالنسبة لأصحاب الإعلانات والمسوقين وواضعي النظريات، فإنهم يعرفون هذا الأمر جيدًا، فالعلامات التجارية تُبسّط الاختيارات. وفي هذا العالم الذي يغمرنا بكم هائل من الاختيارات، تواصل التخمينات المدروسة مسارها. ما هذا؟ يا إلهي، يبدو الاسم مألوفًا، شاهده على شبكة الإنترنت (انظر سورنسين وآخرون Sorensen et al، 2010).

الإعلام القديم الجديد

لا نقصد بما ذكرناه أعلاه أن ظهور الإعلام الجديد لم يكن ذا أثر ملموس على الإعلام القديم. وفي بداية عام 2011، قام إريك شميد Eric Schmidt، الرئيس التنفيذي لشركة جوجل، بإجراء بعض المستحدثات حيث أعلن أن الشركات "القديمة" مثل: شركة مايكروسوفت Microsoft (التي أُسست عام 1975) قد تراجعت، بعالم تكنولوجيا الإنترنت، عن "أربع شركات" من الشركات التجارية الجديدة الموجهة للمستهلك ألا وهي: شركات أمازون Amazon وآبل Apple وفيس بوك Facebook وجوجل Google. ذكر أن الأسواق والعملاء أيداي هذا التقييم العظيم. وفي منتصف عام 2011، قامت شركة لينكد ان LinkedIn، وهي شبكة اجتماعية للمحترفين، بتعويم أسهمها المالية ببورصة نيويورك حتى زادت إلى حوالي تسعة مليار دولار - أي ما يزيد عن أرباح الشركة حوالي 500 مرة منذ عام.

وبالرغم من الدعاية التي أحاطت شركات رينرن Renren (الفيس بوك الصيني) وجروبون Groupon (حيث يدخل العملاء لاستكشاف العروض التي تقدمها الشركات المحلية)، فإن شركات لينكد ان LinkedIn وتويتر Twitter وعمالقة شركات الإنترنت الأخرى تحجب حقيقة أنها كثيرًا ما تصب محتوًى إعلاميًا قديمًا بأوعية الإعلام الجديد، ومن بعض الأوجه، كانت التغيرات حقيقية بقدر كونها درامية فمثلاً، نجد أنه على الأقل بالدول النامية، قد يحرّف شخص ما كلمة "mouth" (التي تعني فم) وينطقها "mouse" (بمعنى فأر). والجدير بالذكر أن نماذج التعهيد الجماعي، كالويكيبديا، قد استحوذت على

ميدان المحترفين المدفوعين. أما "تعهيد الخدمات السحابية" – Cloudsourcing بمعنى حذف البرامج الإلكترونية من سطح المكتب إلى بنوك الكمبيوتر المعتمدة على الويب كي لا يحتاج العملاء سوى تسجيل الدخول على الإنترنت فحسب ليجدوا جميع أنماط البرامج مثل: برامج معالجة النصوص، وتحرير الصور، ومزج المقاطع الموسيقية، ودمج البيانات، وبرامج الشبكات الاجتماعية، جميعًا رهن تصرفهم – فإنها تمثل الهدف المنشود التالي.

علاوةً على ذلك، فإن برامج الإنترنت التي تُبث مباشرة تعد أوضح مثال على تحول الدور الحيوي للإذاعة ووسائل الإعلام المطبوعة منذ حلول عصر الإنترنت ومنصات مشاركة والنصوص والصور المتعددة وفي اللحظة التي تفشل خلالها وسائل الإعلام الثابتة – كالتليفزيون والراديو والصحف – في مهمتها بجذب انتباه جمهور الشباب، يتزايد انتشار البث الفوريّ كونه بديلاً ديموقراطيًا زهيد الثمن للأخبار التي تقدمها كبرى محطات الإذاعة التي تقوم بتعديل المحتوى عادةً بغرض الإطالة وإضفاء اللكنة السياسية عليه.

وعند رفع الملفات بوقتها الحقيقي، تخزن المشاهد المصورة غير المحررة سجلاً بعدد المشاهدين المتشككين، وليس المشكوك بها، في النحو الذي يتم نقل الخبر به (أو لا) من جانب هيئات البث والصحف الممثلة للاتجاه السائد. ويمكن للشريحة التي تهتم بمتابعة هذه الأخبار التحقق مما يظهر بوسائل الإعلام القومية أو المحلية أو حتى الحصول على المعلومات التي لم تُذاع على الإطلاق. والجدير بالذكر أن هذه المنصة الإعلامية الجديدة لنقل الأخبار لم تفلت من اهتمام الأحزاب السياسية المهمشة أو الشخصيات العامة أو حتى من سخط المواطنين العاديين بشأن أخبار الساعة السادسة أو التغطية الإخبارية.

ويستفيد الجميع من الفرص التي تقدمها تكنولوجيا الإعلام الجديد من خلال رفع المشاهد المصورة غير المحررة متجنبةً أجهزة الرقابة وكذلك الحاجة إلى شراء فترة بث باهظة الثمن. وبخلاف جهات البث الخاصة، التي يعتمد على عائد الإعلانات، فإن المستخدمين الذين يقومون عادة بالدفع يدعمون خدمات الإنترنت. ويسمح ذلك لخدمات البث بتشغيل البرامج التي لن تقوم المحطات التليفزيونية بإذاعتها خشية رد الفعل الغاضب من جانب المؤسسات التجارية التي ترعاها.

وتدافع وسائل إعلام الاتجاه السائد عن نفسها باستخدام هذه أو تلك الرؤية لصغار المراسلين التي مفادها أنك لن تستطيع نقل كل الأخبار. وهناك أسئلة أساسية تطرح نفسها بالطبع، مثل: من الذي ينهض بمهمة الاختيار ومن الذي يختار من يقومون بمهمة الاختيار؟ ومرة بعد أخرى، تبرهن الأدلة على أن معدي أخبار الاتجاه السائد - سواء البث الإذاعي أو البث المكثف - يسعون دائمًا لملاحقة أصحاب الشركات. وفي الواقع، فإن ما يمر من عملية الاختيار هو اتساق وسائل الإعلام، أي الاتساق بشأن التنوع الواضح في البرامج والأخبار وطاقم العمل والشبكات. وتُفضل وسائل الإعلام المتحيزة عدم التدخل في الاقتصاد عن التخطيط الاجتماعي، والطبقة المتوسطة من البروتستانيين الأنجلو-ساكسونيين عن منخفضي الدخل، وطبقة الموظفين عن الإصلاحيين، والإدارة عن طبقة العمال، والشركات عن نقاد المجتمع. وبتحديد الفئات التي تمتلك وسائل الإعلام، نجد أن هذه التشوهات ليست بأخطاء بريئة ولكنها أخطاء اللجنة التي تُقترف تحت مسمى المصالح المخولة (لمزيد من المعلومات والتحليلات، انظر سويرسكي a Swirski: الفصل الرابع).

وقد تطرق الكاتب إلى هذا الاتجاه التابع مؤخرًا في ضوء ما نُشر بالفيلم الوثائقيّ الفاضح "Outfoxed" (جرين والد Greenwald). وخلال الفيلم الوثائقي الذي يحمل العنوان الفرعي "حرب روبرت موردوخ على الصحافة، (Rupert Murdoch's War on Journalism)، استعرض المخرج قائمة بأسماء المنتجين والمؤلفين والمستشارين والمراسلين الصحفيين السابقين بقناة فوكس نيوز (Fox News)، حيث يشهدون جميعًا بتجهم عن وقوعهم تحت ضغطٍ "لتوصيل رأي "يميني" وإلا فإنهم يخاطرون بوظائفهم" (جرين والد Greenwald : الغلاف الخلفي). وبعد مرور أشهرٍ من مراقبة البرامج التي تذاع بقناة فوكس نيوز، كشف فيلم (Outfoxed) الوثائقي عما يقع خلف الحملات الترويجية "المتوازنة والعادلة" للشبكات. بالإضافة إلى ذلك، فإن كتابة التقارير المنتقاة والاستفتاء المتحيز والتلاعب بالأرقام والحسابات وإرهاب المقابلات الصحفية كلها أمور روتينية تؤيدها جميع مستويات هيئة العاملين السابقين بالشبكة.

وبالرغم من أن وسائل الإعلام تُغطي نفسها بالظهور في صورة مشاريع خاصة تستهدف الربح وتخدم العامة، إلا أنها تخدم فئة معينة من العامة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الشركات الإعلامية والعاملين بها يعملون أولاً: لصالح أصحاب المؤسسة الذين يقومون بدفع رواتبهم، وثانيًا: يستهدفون المصالح المادية التي ترعى إدارة البرامج، وأخيرًا: يعملون لصالح الجماهير ذوي الدخل المرتفع الذين تستهدفهم إعلاناتهم. وبالتالي، فإن عواقب هذا الأمر تبدو واضحة. وخشية خسارة معركة التقديرات على يد المبتدئين، فإن جهات البث يتعيدو كتابة مستويات أخرى من الإثارة والمتعة. وبالتالي، فإنهم يستبعدون كتابة التقارير البسيطة في حين يرحبون بالصحافة المتطرفة. علاوةً على ذلك، فإن متطلبات السوق تملي عليهم عدم إشعار العميل بالملل – أو الثقافة.

إن شركات الإنترنت تسعى دائمًا إلى ملاحقة كاتبي المدونات الفردية والصوتية عبر التليفزيون والصحف والمجلات لجذب انتباه العامة واستهجان مثل هذه المفاهيم العتيقة كونها اختزالاً موضوعيًا للأحداث، بعيدًا عن التحقيقات الصحفية داخل وخارج العملية السياسية أو تعقيدات المجال متعدد الثقافات. أما اليوم، فينحصر دور الإعلام في المغالاة بالعناوين الرئيسية، والأغلفة الحصرية، والفواصل الإخبارية السريعة فضلاً عن المساعدات البصرية. بالإضافة إلى بيع مسلسلات الدراما المسلية التي تعتمد على المغالاة والبهرجة وحتى على الأكاذيب المطلقة.

وفي عام 1998، أُدين الصحفيّ استيفن جلاس Steven Glass، زعيم التحليل والتعليق الاجتماعيّ السياسيّ بجريدة ذا نيو ريبابليك The New Republic، باختلاق الاقتباسات ومواقع ويب وفاكسات، بل حتى المؤسسات، سعيًا لنشر تقاريره المنشودة. وبإثارة بعض التغيرات بمجال التجارة الإعلامية، تذرع الصحفيّ بضغوط الصحافة المتطرفة كونها ظروفًا ملطفة. وبالمثل، قام جايسون بلير Jayson Blair، الصحفي بجريدة ذا نيويورك تايمز The New York Times، بسرقة الاقتباسات وفبركة المواد الأدبية بعشرات المقالات. بالإضافة إلى ذلك، قامت أيضًا جانيت كوك Janet Cooke، الصحفية السابقة بجريدة واشنطن بوست Washinton Post، وباتريكا سميث Patrica Smith ،

الصحفية بجريدة بوسطن جلوب Boston Globe وجاي فورمان Jay Forman، الصحفي بجريدة سليت Slate، بأفعالٍ مماثلة. وفي عام 2011، اختفت "جريدة" بأكملها من الوجود – وهي صحيفة موردوخ Mourdoch الشعبية نيوز أوف ذا ورلد News of the World – عقب الفضيحة التي اشتعلت بسبب التجسس على الهواتف تحت مسمى النضال القاتل بسبب انخفاض حصتها بالسوق.

وقد هيأ عصر إعلام الإنترنت دون قصدٍ الظروف المساعدة لظهور مجموعة هائلة من منتحلي كتابات الآخرين، حيث أصبحت عملية القص واللصق سهلة بسبب وسائل التكنولوجيا الإلكترونية، ولا سيما، بسبب فيض المعلومات. علاوةً على ذلك، فإن التدوين، سواء من حيث إعداد التقارير الإخبارية أو تجسيده المتوهج النرجسيّ، قد غمر الويب بكل المنشورات الجديدة. وبالتالي، زادت فرص سرقة المحتوى من الحيز المعلوماتي واسع الانتشار، وأصبح أمرًا منتشرًا بسبب وسائل الإعلام الجديدة كالفيس بوك Facebook، الذي يسعى جاهدًا لإلغاء المفاهيم التقليدية بشأن الخصوصية والملكية (إلا فيما يتعلق بعلامته التجارية أو دخله الصافي بعد خصم الضريبة).

ويمكن التنبؤ بعواقب هذا الأمر، حيث يتزايد انتحال الملكية الأدبية ويختفي التوثيق بين الصحفيين والمدونين ويبلغ بهم الأمر أحيانًا حد عدم الاهتمام بتغيير الخط وتنسيق النص الأصلي. بالإضافة إلى ذلك، يلجأ بعضهم إلى القواعد الرياضية سهلة التناول، التي تطورت أساسًا بسبب الخدمات الإخبارية لتحليل وتلخيص المواد الترويجية. وقد ساعد ذلك على حماية لصوص الكلمة وعدم اكتشافهم بسبب وجود مجموعة من التقنيات الفعالة مثل: إعادة صياغة الفقرات النقدية، واستبدال مترادفات الصفات والأفعال، وتغيير صيغة المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم أو العكس – ومن ثم، يُعاد تشكيل النص برمته بضغطة واحدة.

يحتاج المرء إلى العيش تحت صخرة أو بمكان مثالي كي يصدق أن المجال الأكاديمي أو مجال التعليم بشكل عام هو مجال حصين بالفعل. ثمة الكثير والكثير من المؤسسات التي منعت طلابها من إحضار الهواتف المحمولة معهم أثناء الامتحانات خشية استخدامهم

لتقنية الواي فاي والبحث عن المعلومات وتنزيلها. ويستمر هذا السباق التعليمي المسلح مع استمرار بعض المدارس والمعلمين في نفع أنفسهم بهذه البرامج الإلكترونية التي تُنظف مليارات من صفحات الإنترنت لمنع استخدام تقنية القص واللصق بها ومن ثم، منع انتحال الملكية الأدبية أو حتى استخدام القواعد الحسابية المتقدمة للتعرف على التلميذ الذي يقوم بنقل كتابة زميله أو المقلدين.

إن وسائل الإعلام الجديد – التي تتمثل في وسائل الإعلام الاجتماعية الجديدة – تبسط عضلاتها بالفعل في السباق كي تصبح الشيء الجديد التالي. ومما يثير السخرية، أنه بالرغم من وجود الشعارات المشتركة بالعصر الجديد (ابتداءً بشعار شركة جوجل " Don't be evil" أو "لا تكن شريرًا") بممارسات السوق، إلا أنه من الصعب تمييزها عن وسائل الإعلام القديمة. وفي عام 2011، انتشرت فضيحة صغيرة عندما كشفت مصادر عن استئجار شركة الفايس بوك Facebook لشركة بيرسون مارسيتلير - Burston Marsteller، وهي شركة رائدة بمجال العلاقات العامة، للمطالبة بعمولة من المدونين والمراسلين الصحفيين للتشهير بشركة جوجل Google، وهي أقرب شركة تجارية منافسة لها. إن التشهير وتلفيق القصص عن طريق نشر نسخة جاهزة منها، والتلاعب بالأخبار من خلال خبراء محبوبين، والدعاوي القانونية المرفوعة لوقف البحث أو حتى لإطلاق منتجٍ منافس – كل هذه الحيل من شأنها تمهيد السبيل للقضاء على المنافسة بسباق الانتشار المتواصل.

والجدير بالذكر أن الدعاية والترويج للمنتجات يزدهران بقوة في هذه البيئة. وتعتبر شركة فايس بوك Facebook مثالاً حيًا، حيث بإمكانها أن تجعل من اللاشيء بطلاً كونها تضم 400 مليون مستخدم يتزايدون بسرعة البرق (وتزعم مصادرها الخاصة أنها تضم بالفعل 400 مليون مستخدم). ولا يلتفت أحد، مثل شركة جروبون Groupon، إلى بأن الشركة لا تخدع مستخدميها فحسب، بل وتستغل بعض الحسابات أيضًا، فمعظمها غير نشط ولا تُستخدم سوى مرة واحدة أو مرة كل فترة وقد تنتمي عدد من الحسابات لمستخدم واحد (وذلك في مقابلة خاصة مع أفوك كيرتس Ufuk Kirtis، مدير المشروع

والمحلل الإعلامي بشركة تي تو تكنولوجي T2 Teknoloji، أكتوبر 2011). وتعد شركة جوبون Goupon أيضًا مثالاً واضحًا في هذا الشأن؛ حيث تتباهى الشركة بأنها تضم أكثر من 80 مليون مستخدم في حين لا يستخدم خدماتها سوى 15 مليون مستخدم بالفعل.

وبالطبع، كشف التوزيع الإحصائي الموحد ونماذج التشبع عن وجود 100 مليون مستخدم فعال تقريبًا لموقع الفايس بوك Facebook من بين سبعة مليار شخص على كوكب الأرض. وقد لا يكون الكشف عن العدد الأولي أمرًا ذا أهمية، بالرغم من أنه قد زاد إلى أكثر من 1.4٪ من إجمالي سكان العالم، إلا أن رُبع هذا العدد، وفقًا لتقدير البنك العالميّ، لا يتمتع بإمكانية الدخول على الإنترنت أو حتى استخدام هاتف خلويّ. وعلى نحو مختلف، نجد أن 98.6٪ من إجمالي سكان العالم يعيشون بعالم الأوجه الحقيقية والكتب الحقيقية دون وجه استحقاق.

قصة التطور

حان الوقت لنتوقف قليلاً ونُمعن النظر في بما لدينا من بيانات وما تعكسه بشأن الأدب والثقافة بعصر الإعلام الجديد. أولاً وقبل كل شيء، نلاحظ أن ثقافة الكتاب قد تلاشت في عصر التليفزيون، ولكنها تضاعفت الآن بعصر الإنترنت إلى حد كبير. والجدير بالذكر أن الفنون والثقافة الجماهيرية تبدو على ما يرام. علاوةً على ذلك، فإن سر نجاحها ليس سرًا على الإطلاق. فبينما يتزايد عدد الدراسات بمجال العلوم البيولوجية، نجد أن العلوم الاجتماعية وحتى العلوم الإنسانية توثق نزعة الإنسان لسرد القصص كونها جزءًا ثابتًا من الطبيعة البشرية ومن ثم، جزءًا ثابتًا من حياتنا (انظر بلاك Black وبور Bower 1980؛ سويرسكي Swirski 2007؛ بويد Boyd 2009).

وبالرغم من أن حياتنا الحضرية قد أصبحت أقل أهمية وأكثر تعقيدًا مما كانت عليه بعصر ما قبل التاريخ، إلا أن بيئتنا الطبيعية والاجتماعية قد أصبحت أجمل مثلما كانت عليه الحال حينما كنا نتجول وسط السهول ونأكل لحاء الشجر والجيفة ولا نتفاعل إلا مع العلافيين والصيادين بمجموعتنا. وعلى وجه التحديد، قد أصبحت حياتنا الاجتماعية والسيكولوجية – التي تشتمل على قدرتنا غير العادية على اختراع القصص ومشاركتها مع

الآخرين - قد معتمد على استثمار قدرتنا المتطورة على ربط دوافع ومقاصد واعتقادات الفرد مع من يتفاعل معهم يوميًا. وبدون هذه القدرة على التكيف، لما وصلنا إلى الحياة البشرية والمجتمع البشري كما نعرفه الآن.

وبعبارة أخرى، إن ما يقبع بلب المجتمع البشري وقدرة الإنسان على الاندماج هي قدرتنا العقلية المتوسطة على التفاعل التعاونيّ. وتتوقف هذه القدرة بدورها على تقاسم العالم العقليّ المشترك مع دراية المشاركين الآخرين بهذا التركيب العقليّ المشترك. وفي نطاق هذه الشبكة العالمية من العقول، يدرك كل منا مقاصد الآخر كما يمكنه التعبير عنها بطريقة يسهُل التعرف عليها (ما لم نقرر تضليل الآخرين بالطبع). وتتضمن صورة جريس هذه، التي ما زال يغفلها مجال النقد الأدبي بشكل عام إلا أنها تتعلق بكافة مجالات دراسة الأنشطة الاجتماعية، استدلالاتنا بشأن سلوك واعتقادات ودوافع الآخرين. وبعبارة أخرى، فإنها تتضمن ما تُعرف باسم نظرية العقل (Theory of Mind (ToM)): وهي تشير إلى مجموعة من القدرات المعرفية التي من شأنها الاستدلال بشأن الحالة العقلية للآخرين (انظر جريس Grice 1957، 1968، 1971، 1982؛ أما لمعرفة المزيد عن نظرية العقل، انظر ما ذكره سوبر Sober وويلسون Wilson 1999؛ توماسيللو Tomasello 1999، 2009، 2010؛ بارون-كوهين Baron-Cohen 2005؛ توماسيللو Tomasello وآخرون 2005).

لا تعتبر نظرية العقل مجرد نظرية أكاديمية ظلامية. ولكنها تمثل شيئًا يفعله جميع البشر دون بذل أي مجهود حيث يطورون هذه القدرة السيكولوجية العجيبة بمرحلة الطفولة، في عُمر العام تقريبًا. علاوةً على ذلك، فإننا نقوم بعمل بعض الاستدلالات الموثوقة عما يفكر، أو يشعر به، أو يعرفه الآخرون بناءً على بعض المؤثرات السلوكية التي تجمعت لهذا الغرض أثناء عملية الاتصال - وهذه الأفكار تبدأ من اللغة والإيماءات حتى تعبيرات الوجه والجوانب السلوكية الأخرى.

والجدير بالذكر أننا جميعًا نتمتع بهذه القدرة ونتقنها جيدًا. وبالنسبة لنا كمحاورين، أدبيين مثلاً، فإننا لا نستجيب للأفعال أو نراها من الخارج فحسب، بل نترجمها ونراها

"من الداخل " أيضًا. فمثلاً، يمكن النظر إلى غمضة العين باعتبارها استجابة لاإرادية أو كغمزة. بالإضافة إلى ذلك، لا يبدو الاختلاف عظيمًا أو بالغ الأهمية، بقدر التفاعل البشري، ومن ثم تتميز سيكولوجية الإنسان باستجابتها للنوايا بدلاً من السلوكيات. باختصار، فإن عملية الترجمة، كالترجمة الأدبية مثلاً، تستلزم استنتاج الدوافع أو الأهداف من الأفعال.

لماذا يبدو هذا الأمر مهمًا؟ لأن هذا التفاعل الذهني التعاونيّ البشري الفريد يُشكل الأساس التكيفيّ للمنظومة الاجتماعية بما تشمله، بدايةً من التنوع المبهر في الثقافات حتى التطور التراكمي بالأصول الثقافية والاجتماعية. إننا نتسلح جميعًا بالتغيرات المعرفية التي تمثل النظير العقلي لأعضاء الجسم، والتي تتطور للقيام بمهام معينة وإنجازها بسرعة على الوجه الأكمل.

ولهذا الأمر نتائج مثبتة فيما يتعلق بطريقة معالجتنا للمعلومات والمشاعر. وكما أوضحت بالتفصيل بكتاب "من الأدب والمعرفة" (Of Literature and Knowledge) (2007)، فإننا نفكر في صورة سرد قصص، وعندما نفكر على هذا النحو نفكر بشكلٍ أفضل. وفي ظل العُرف العقلاني، نجد أن المنطق والتحليل الشكلي يمثلان الفئة الأعلى، إذ إن سرد القصص يلعب دورًا تثقيفيًا وعلاجيًا. بالإضافة إلى ذلك، فإن البحث في عملية المعالجة المعرفية قد حوّل المعرفة المستلمة بهذا الخصوص. ويتضح من ذلك أن الاستنتاجات المستمدة من تركيب الأنماط العقلية والتلاعب بها لا ترتبط بالتحليل الشكليّ بل بالإطار القصصي. إننا لا نتذكر القصص أكثر من النظريات فحسب، بل نميل أيضًا إلى التفكير "في" صورة سرد القصص، بدلاً من النظريات، وحينئذ فإننا نتذكر البيانات ونسترجعها بكل دقة.

إن نتائج هذا الأمر تبدو هائلة – وما زال يغفلها كثير من العلماء الأدبيين والثقافيين، ناهيك عن التربويين في المجالين الأدبي والثقافي. وبالتالي، فإنه مما لا يثير الدهشة أن فلاسفة العلوم أمثال: نانسي نيرسيسيان Nancy Nersessian قد أوضحت جوهر النموذج التحليلي. وتشير الباحثة إلى أن الناس يقومون عادةً بمعالجة المعلومات السياقية بالرجوع

إلى الأنماط القصصية، "ناهيك عن تطبيق قواعد الاستنتاج على منظومة المقترحات التي تمثل محتوى النص" (نيرسيسيان Nersessian 1993: 293؛ انظر أيضًا برونر Bruner 1973؛ لاكوف Lakoff وتيرنر Turner 1989؛ تيرنر Turner 1996؛ سويرسكي Swirski 2007). وفي كتاب "The Literary Mind" (أو العقل الأدبي)، قام مارك تيرنر Mark Tuner بتوضيح بعض النقاط. وفيما يتعلق بتطور اللغة، فإن التفكير بطريقة تحاكي سرد القصص والتقديرات المجازية تسبق الإعراب. "فالقصص ذات المغزى الأخلاقي هي أساس التفكير البشريّ" (تيرنر Turner 1996: 168).

إن سُلطة الكلمة على العدد والقصص على قاعدة البيانات قد نشأت بجوانب حياتنا اليومية كافة. وكما نعرف جميعًا، فإن إعادة تجميع الناس للغة الطبيعية يفوق إلى حد كبير جمعهم للفئات الرقمية. إن الأرقام التالية: 23787499 الموجودة بلوحة مفاتيح الهاتف تكافئ هذه الحروف: BESTPIZZA، ومع ذلك فإن أصحاب الإعلانات المخضرمين يستغلون الحقيقة التي مفادها أن الشعار سيظل فترة طويلة في الأذهان بعد اختفاء الرقم من الذاكرة. علاوةً على ذلك، فإن الأدلة المستمدة من العلوم العصبية والسيكولوجية توثيق أن الجنس البشريّ يميل إلى المعلومات التي تهتم بالإنسان، لا الأفكار المجردة والأرقام. أما في مجال العلوم المعرفية، وبعد إجراء بحثٍ صغير بأحد المجالات الفرعية الجديدة، وُجد أن الذكاء القصصي يميز هذا الجانب المُهمَل من عملية المعالجة المعرفية.

وقد أثبت علماء الأنثربولوجيا، فيما يتعلق بنقل المعلومات بطريقة فعالة، أن القصص تمتاز على منافسيها من حيث تسهيل تخزين المعلومات. وفي القبائل البدوية، كان يتم نقل المعلومات العملية عادةً عن الموارد المستهلكة في صورة قصص. ويمكن يتم تخزين واسترجاع المعلومات المفيدة بشأن النباتات والحيوانات في صورة قصصية مما يحقق مزيدًا من الحيوية عن تخزينها في صورة بيانات منفصلة. أما فيما يتعلق بصياغة المعلومات، يعزز الشكل القصصي الذاكرة الجيدة والتذكر القوي - وهي الخطوة الأولى نحو التفكير السليم. وفي معظم مجتمعات ما قبل عصر الكتابة، كان الحفاظ المحترفون مكلفين بتخزين قدرٍ هائل من البيانات - سواء تاريخية أو اجتماعية أو قانونية أو ثقافية أو دينية - بعقولهم.

وفي كثير من الأحيان، كانت البيانات الحساسة تُنظم في صورة شعر أو نظم قصصي، شأنها في ذلك شأن القرآن الكريم.

أما الشعراء المتجولون بالعصور الوسطى فكانوا يميلون إلى إنشاد الأغاني الطويلة بفضل ذاكرتهم القوية. بالإضافة إلى ذلك، فقد ساعدت العلاقات البشرية بين عوامل السرد والأحداث في عملية الحفظ ومن ثم إعادة إنتاج قدرٍ هائل من المعلومات. وبجانب ذلك، فإن الاستعداد التطوري لتوافق مساعدات إضافية في صورة مجموعات وتنظيمات قد ساعد على نشر الحقائق. أما التكرار – سواء في صورة سجع أو صيغة بديعة أو جناس استهلالي أو لازمة (عبارة تقرر في قصيدة أو غنوة) أو كناية أو أغاني شعبية أو إطناب – فما هو إلا صورة من صور التناظر الانسحابي. والجدير بالذكر أن حصة الذاكرة من الشعر تفوق النثر القصصي وكلاهما يفوق حفظ الأرقام والمقاطع عديمة المعنى (انظر النتائج التجريبية الكلاسيكية التي توصل إليها ليون Lyon 1941a، 1941b، 1941c).

ولا نقصد بذلك أن نقول أن الأفكار المجردة لا تلعب دورًا حيويًا في العالم الثقافي بالإعلام القديم والجديد. وإذا نظرنا بعين الاعتبار إلى تأثير فلن Flynn effect – وهو الارتفاع الهائل بنتائج اختبار متوسط الذكاء مع مرور الوقت، نجد أنه بالولايات المتحدة الأمريكية، قد ارتفعت نتائج مقياس وكسلر لقياس ذكاء الأطفال بمعدل 3٪ كل عشر سنوات، وقد لاحظ العلماء هذه النتائج وأكدوها بكافة أنحاء العالم كافة. وقد دفع جيمس فلن James R. Flyunn (2010) ذاته بأن هذه الزيادة ترجع إلى نشأتنا بحضارة مشبعة بالعلوم والثقافة والتي تتطلب أعلى مستوى من التكامل ومهارات حل المشكلات وتعزيز الإدراك العام.

ومن منطلق المجال الأدبي، لاحظ العلماء التأثير ذاته بالنسبة للذاكرة الاستدلالية (التي تعتمد على المفاهيم) والاستطرادية (السياقية) – مكونين أساسيين برواية القصص. ويرجع ذلك إلى أن الثقافة الأدبية بالعصور القديمة لم تكن تخشى قدوم الإعلام الجديد. وهناك نزعة حديثة لتسلسل الروايات عن طريق بثها مباشرة عبر شبكة الإنترنت، وهي نزعة جديدة كونه منصة للإرسال ولكنها لا تثمل شيئًا بالنسبة لديكنز Dickens الذي قام

بتعديلها بما يتناسب مع تكنولوجيا الإعلام الجديد بالقرن الحادي والعشرين. وبالفعل، أكد فلن Flynn نفسه على الملأ أنه يمكن للمرء تعلم الكثير من خلال قراءة الأعمال الأدبية العظيمة مقارنةً بالذهاب إلى الجامعة.

الثقافة عديمة القيمة الفكرية والدراسات الأدبية التطورية

في عصر الإعلام الجديد، قد تبدو المنظومة الأدبية كما لو كانت دخانًا متدفقًا وأجزاء متناثرة عند البحث بالزوايا التكنولوجية والثقافية. ومع ذلك، فإنه لا يبدو عليها أي علامة من علامات التباطؤ. وقد ظهر اتجاهان قويان خلال العقود الأخيرة اللذان جددا الأمل بمستقبل هذه المنظومة ألا وهما: ظهور الثقافة عديمة القيمة الفكرية بمجال الأدب والدراسات الأدبية التطورية بمجال النقد الأدبي والنظرية. وبينما خطت دراسة الأدب الشعبيّ خطىً واسعة بمجال الشرعية منذ عصر الشاعر ت. س. اليوت T. S Eliot، إلا أنها تسببت في ظهور نوع من الثقافة عديمة القيمة الفكرية، والتي لا تهتم بالقوة البلاغية بين المستويات الجمالية العالية والمستويات المتدنية، بل تقتبس من كلاهما بكل حرية مع الاستمتاع بالجانب الفكريّ والمطالب الشعبية (وليست التجارية).

وفي الوقت ذاته، تسعى الدراسات الأدبية، بهدف تجديد شرائعها غير المثمرة بعصر ما بعد الحداثة، إلى تجديد (وليس إلى إعادة اختراع) فروع المعرفة وذلك من خلال الترويج لأشكال أكثر منهجية تربط بين كافة فروع الأدب (انظر ويلسون Wilson 1998؛ كارول Carroll 2011؛ سويرسكي Swirski 2007، b2010). والآن، أدرك المرء أن الأدب شأنه شأن كل جوانب الثقافة البشرية، يبرز مدى تكيف الفنون مع الظروف التي تفرضها البيئة الثقافية والبيولوجية والفيزيائية التي نناضل بها من أجل الوجود. ويعتبر هذا المنظور التطوريّ، الذي يسعى إلى تفسير الطبيعة غير المتغيرة للأفكار والفنون فيما يتعلق بجوانبها الجمالية، أحد معالم الطريق إلى النقد الأدبيّ بالقرن الثاني والعشرين.

وأخيرًا، سوف ينتهي القرن الحادي والعشرين بشكل يختلف عما اعتدنا عليه في ظل وجود الثقافة الأدبية؛ حيث تبدلت اللعبة وأصبح النشر إلكترونيًا. ومنذ أربع سنوات، عندما عرضت شركة أمازون Amazon كتابها الإلكتروني الأول، تزايدت أعداد الكتب

المباعة بسرعة هائلة حيث تجاوزت الآن نصف مبيعات الشركة. والجدير بالذكر، أن عدد الكتب التي نُشرت بأمريكا وحدها قد بلغت 4/ 3 مليون كتاب "سنويًا". بالإضافة إلى ذلك، فإننا إذا وضعنا هاتين النزعتين معًا، لوجدنا أنهما أوضحتا جليًا مدى ازدهار ثقافة الكتاب، بالانتقال من مرحلة الطباعة إلى مرحلة الكتب الإلكترونية- وخاصةً بالنسبة لمن يفضلون التعامل مع هذه الأفلام "Lem" و"McBain" و"Dostoyevsky" بالبكسل بدلاً من بقع الحبر.

المراجع

Associated Press, Chicago (2001a) "Book Sales Edge Up in US Market." *Edmonton Journal* (June 3), C6.

Associated Press, Chicago. (2001b) "Stephen King's E-Novella Not Enough to Keep Mighty Words Solvent." *Edmonton Journal* (December 14), E1.

Babiak, T. (2001) "A Nation of 'Aliterates': Are We Too Busy to Really Read?" *Edmonton Journal* (June 3), A1, A9.

Balkin, R. (1977) *A Writer's Guide to Book Publishing*. New York: Hawthorn Books.

Baron-Cohen, S. (2005) "The Empathizing System: A Revision of the 1994 Model of the Mindreading System" in B.J. Ellis and D.F. Bjorklund, eds., *Origins of the Social Mind: Evolutionary Psychology and Child Development*. New York: Guilford, pp. 468-492.

Berelson, B. (1951) "Who Reads What Books and Why?" *Saturday Review of Literature* (May 12), 7-8, 30-31.

Black, J. B and Bower, G.H. (1980) "Story Understanding as Problem Solving." *Poetics* 9, 223-250.

Bowker's Annual, 45th edn. (2000). London: Bowker.

Boyd, B. (2009) *On the Origin of Stories: Evolution, Cognition, and Fiction*. Cambridge, MA: Belknap.

Bruner, J.S. (1973) *Beyond the Information Given: Studies in the Psychology of Knowing*. New York: Norton.

Carroll, J. (2001) *Reading Human Nature: Literary Darwinism in Theory and Practice*. New York: SUNY Press.

Dessauer, J.P. (1974) "Some Hard Facts about the Economics of Publishing." *Publishers Weekly* (August 5), 22-25.

Dessauer, J.P. (1999) *Book Publishing: The Basic Introduction. New Expanded Edition*. New York: Continuum.

Dutscher, A. (1954) "The Book Business in America." *Contemporary Issues*, 5, 38-58.

The Economist (2011) "Schumpeter: Too Much Information." (July 2), 59.

Flynn, J.R. (2010) *The Torchlight List: Around the World in 200 Books*. New Zealand: Awa Press.

Greenwald, R., dir. (2004) *Outfoxed: Rupert Murdoch's War on Journalism*. Carolina Productions; MoveOn.Org.

Grice, H.P. (1957) "Meaning." *Philosophical Review*, 66, 377-388.

Grice, H.P. (1968) "Utterer's Meaning, Sentence Meaning and Word Meaning." *Foundations of Language*, 4, 225-242.

Grice, H.P. (1969) "Utterer's Meaning and Intentions." *Philosophical Review*, 78, 147-177.

Grice, H.P. (1971) "Intention and Uncertainty." *Proceedings of the British Academy*, 57, 263-279.

Grice, H.P. (1982) "Meaning Revisited" in N.V. Smith, ed., *Mutual Knowledge*. New York: Academic, pp. 223-243.

Lakoff, G. and Turner, M. (1989) *More than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Lyon, D.O. (1914a) "The Relative of Length of Material to Time Taken for Learning, and the Optimum Distribution of Time. Part I." *Journal of Educational Psychology*, 5(1), 1-9.

Lyon, D.O. (1914b) "The Relative of Length of Material to Time Taken for Learning, and the Optimum Distribution of Time. Part II." *Journal of Educational Psychology*, 5(2), 85-91.

Lyon, D.O. (1914c) "The Relative of Length of Material to Time Taken for Learning, and the Optimum Distribution of Time. Part III." *Journal of Educational Psychology*, 5(3), 155-163.

Nersessian, N. (1993) "In the Theoretician's Laboratory: Thought Experimenting as Mental Modelling" in D. Hull, ed., *Proceedings of the Biennial Meeting of the Philosophy of Science Association*. East Lansing, MI: Philosophy of Science Association.

Sober, E. and Wilson, D.S. (1999) *Unto Others: The Evolution and Psychology of Unselfish Behavior*. New York: Dutton.

Sorensen, A. Berger, J., and Rasmussen, S. (2010) "Positive Effects of Negative Publicity: Can Negative Reviews Increase Sales?" *Marketing Science*, 29(5). http://mktsci.journal.informs.org/content/29/5/815.abstract.

Steinberg, S.H. (1996) *Five Hundred Years of Printing*. *Revised edition*, ed. J.

Trevitt. London: British Library and Oak Knoll Press.

Swirski, P. (2005) *From Lowbrow to Nobrow*. Montreal, QC: McGill-Queen's University Press.

Swirski, P. (2007) *Of Literature and Knowledge: Explorations in Narrative Thought Experiments, Evolution, and Game Theory*. London and New York: Routledge.

Swirski, P. (2010a) *Ars Americana, Ars Politica: Partisan Expression and Nobrow American Culture*. Montreal, QC: McGill-Queen's University Press.

Swirski, P. (2010b) *Literature, Analytically Speaking: Explorations in the Theory of Interpretation, Analytic Aesthetics, and Evolution*. Austin, TX: University of Texas Press.

Tebbel, J. (1995) "The History of Book Publishing in the United States" in P.G. Altbach and E.S. Hoshino, eds., *International Book Publishing: An Encyclopedia*.New York and London: Garland, 147-155.

Tomasello, M. (1999) "The Human Adaptation for Culture." *Annual Review of Anthropology* 28, 509-529.

Tomasello, M. (2009) *Why We Cooperate*. Boston, MA: MIT Press.

Tomasello, M. (2010) *Origins of Human Communication*. Boston, MA: MIT Press.

Tomasello, M., Carpenter, M., Call, J. et al. (2005) "Understanding and Sharing Intentions: The Origins of Cultural Cognition." *Behavioral and Brain Sciences*, 28, 675-735.

Turner, M. (1996) *The Literary Mind*. New York: Oxford University Press.

Whiteside, T. (1980) "Onward and Upward with the Arts: The Blockbuster Complex." *New Yorker* (September 29), 48-101; (October 6), 63-146; (October 13), 52-143.

Wilson, E.O. (1998) *Consilience: The Unity of Knowledge*. New York: Knopf.

الفصل الخامس

اقتصاديات الإعلام الجديد

جون كويجن John Quiggin

إن ظهور الإعلام الجديد مقترنًا بظهور الإنترنت قد ساعد على تغيير الكثير من جوانب الحياة اليومية بصورة جذرية، كما ساعدنا على القيام بما تعذر علينا القيام به منذ بضعة عقود. بالإضافة إلى ذلك، فقد تزايد حجم وسرعة الاتصالات بمعدل مليون أو أكثر منذ ظهور الإنترنت للمرة الأولى خلال فترة التسعينات، حيث تميزت بانتشار المعلومات بصورة هائلة.

وبالرغم من ذلك، فإنه يصعُب تمييز المدلولات الاقتصادية للإعلام الجديد. وهناك ملاحظة مشهورة أبداها الباحث روبرت سولو Robert Solow (1987) قائلاً: "يمكن للمرء أن يرى عصر الكمبيوتر في كل مكان إلا في إحصائية معدل الإنتاج" حيث تكون صالحة اليوم كما كانت منذ عشرين عامًا.

إن عصر الإعلام الجديد قد تسبب في ظهور عدد ضئيل فقط من الشركات الجديدة المربحة (شركتي أمازون Amazon وجوجل Google أبرز مثالين). وفي الوقت ذاته، بينما أثبتت وسائل الإعلام القديمة مرونتها (كالصحف والتليفزيون والراديو) بخلاف ما توقعه العلماء، إلا أن أنماطها التجارية قد أصبحت مقوضة.

وسوف نناقش في هذا الفصل ما ينقله لنا علم الاقتصاد عن وسائل الإعلام الجديدة. ومما يثير الانتباه، ولا سيما بالنسبة لمن يهتمون بالتأثير طويل المدى لوسائل الإعلام الجديدة، أن هذا الفصل سوف يتطرق إلى توضيح مدلولات الإعلام الجديد بالنسبة لعلم الاقتصاد والمنظمة الاقتصادية بينما يقوم بتقديم بعض التوصيات السياسية.

ما الذي ينقله لنا علم الاقتصاد عن الإعلام الجديد؟

إننا نتفق جميعًا على أن وسائل الإعلام كافةتنقل المعلومات. وبالرغم من ذلك، يجب أن ننظر بعين الاعتبار إلى ما ذكره مكلوهان McLuhan (1964) بأن "الوسيلة هي الرسالة". أما بالنسبة لوسائل الإعلام القديمة، وخاصة أجهزة الإعلام الجماهيرية المذاعة، يكون المحتوى المعلوماتي تابعًا للمنتج الإعلامي برمته". ونتيجةً لذلك، فإن التحليل الاقتصادي لوسائل الإعلام القديمة قد يتعامل مع مخرجاته بالأسلوب ذاته باعتبارها بضائع استهلاكية، بخلاف الحقيقة التي سنذكرها فيما بعد، والتي مفادها أنه يتم تمويل وسائل الإعلام القديمة من خلال الإعلانات فضلاً عن البيع المباشر.

وعلى النقيض، نجد أن تدفق المعلومات يهيمن على وسائل الإعلام الجديدة إلى حد بعيد. وإذا نظرنا إليها بعين الاعتبار كونها منتجات إعلامية، نجد أن مخرجات الإعلام الجديد تتميز بجودة أدنى مقارنةً بمخرجات الإعلام القديم (قارن بين مقاطع اليوتيوب والإذاعة التليفزيونية، أو المدونات والمجلات البراقة). وبالطبع، إن ما يجعلها مميزة وجذابة هي الوفرة الهائلة للمعلومات من جميع الأنواع.

ولذلك، فإن التحليل الاقتصاديّ للإعلام الجديد يجب أن يبدأ من اقتصاديات المعلومات وخاصةً بفكرة النظر للمعلومات كسلعة عامة.

الدليل إلى ديناميكية الإعلام الجديد، الطبعة الأولى، منقحة على يد كل من جون هارتلي "John Hartley" و جين بورجس "Jean Burgess" و أكسيل برونز"Axel Bruns".© شركة بلاكويل المحدودة للنشر2013 "Blackwell Publishing Ltd". نُشر هذا الكتاب عام 2013 من جانب شركة بلاكويل المحدودة للنشر "Blackwell Publishing Ltd.

المعلومات كسلعة عامة

وفقًا لما ذكره صامويلسون Samuelson (1954)، تعتبر فكرة السلعة العامة أساسية بالنسبة لعلم الاقتصاد الحديث. وفي ظل غياب السلع العامة (والتي تشتمل عمومًا على المساوئ العامة مثل: التلوث وبعض المفاهيم ذات الصلة، مثل: "الاحتكار الطبيعيّ")، فإن الاقتصاد التنافسيّ سوف يحقق أفضل نتائج ممكنة متسقة مع أي توزيع محدد للدخل. وفي هذه الحالة، ينحصر دور الحكومة في تخصيص، ثم تعزيز، حقوق الملكية. علاوةً على ذلك، لن يستدعي الأمر وجود المؤسسات غير السوقية، مثل: النوادي والمنظمات غير الحكومية. وفي ظل وجود السلع العامة، يتغير كل شيء. وقد لا يمكن الاعتماد على أسعار السوق لتوفير أدلة موثوقة لتخصيص الموارد.

اللاتنافسية

تُعرف السلعة العامة بخاصيتين، وهما: اللاتنافسية، وعدم إمكانية المنع؛ وأهمهما خاصية اللاتنافسية، والتي تعني أن استهلاك شخص ما للسلعة لن يؤثر على توافرها بالنسبة للآخرين. وبمجرد إنتاج سلعة لا تنافسية، فإنه لا يمكن اجتماعيًا منع أي شخص يرغب في استخدام هذه السلعة من استهلاكها - لأن استهلاكها ينفعه ولا يضر أي شخصٍ آخر. وتتميز السلعة العامة "الخالصة" بأنها غير قابلة للمنع، بمعنى أنه لا يمكن منع أي شخصٍ من استهلاكها منذ لحظة إنتاجها. ومن الممكن أيضًا أن ننظر بعين الاعتبار إلى السلع التنافسية من حيث الاستهلاك إلا أنه لا يمكن منعها. ولكن، ما لم يكن عدد المستهلكين قليلاً، فإن هذه السلع "سهلة التناول" تُستنزف وتفسد سريعًا، ولذلك لا يمكن ملاحظتها.

وتعتبر المعلومات خير مثالٍ على السلعة العامة الخالصة نظرًا لأنها غير تنافسية بالكامل ولا يمكن منعها. ونقصد بمفهوم اللاتنافسية هنا أنه يمكن للجميع استخدام المعلومات، بمجرد إنتاجها، كما يتمتعون بإمكانية الوصول إليها، دون التقليل من فرص وصول الآخرين إليها. علاوةً على ذلك، فإن التطور الحرج لثورة المعلومات قد ساعد في تقليل تكلفة توزيع المعلومات، حيث قلل هذه التكلفة إلى الصفر بكثير من الحالات.

ونقصد بعدم إمكانية منعها أي أنه يصعب (ولكنه غير مستحيل) توفر المعلومات بالنسبة لبعض المستخدمين مع منع آخرين. ويكمن التطور الحرج هنا في سهولة إعادة إنتاج المعلومات مرةً أخرى.

وتُعرف معظم السلع العامة على أنها سلع محلية بمعنى أو بآخر. وتشتمل أمثلة الكتب المعتادة للسلع العامة الخالصة على الحماية والدفاع الوطني ضد الفيضانات، ويُطبق كلاهما فقط على الدولة وحوض النيل المحميّ. وتكون السلع العامة، في معظم الحالات، محددة الوقت. أما الخدمات (كعروض الألعاب النارية) فإنها تُستهلك في نفس وقت إنتاجها بينما تنخفض قيمة السلع الطبيعية.

وعلى النقيض، تكون المعلومات عالمية وغير محددة الوقت من الناحية الطبيعية كونها لا تنافسية. وبمجرد اكتشاف المعلومة، فإنها تصبح متاحة في جميع الأوقات والأماكن. وخير مثالٍ على ذلك، كلمات هومر Homer التي لا تزال متاحة بالرغم من مرور آلاف الأعوام وآلاف الكيلومترات (بالنسبة للاستراليين) التي تفصلنا عن محاكم اليونان القديمة. وأخيرًا، فإن ميراثنا من الماضي يتألف من المعلومات (التكنولوجيا والثقافة) وليس البضائع الطبيعية.

لا توصف المعلومات بأنها لا تنافسية فحسب، بل تتكون أيضًا من عوامل خارجية إيجابية تنشأ عن مشاركة المعلومات. وبينما تنتقل المعلومات أو تُستخدم، فإنها تُنقح وتُعدل بأساليب متنوعة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الإطناب والعمليات شبه التطورية التي ينتج عنها ما يُسمى بـ"الميميات" (وقد يُفضل آخرون استخدام مصطلحات أخرى مثل: "التقاليد الشعبية") تسمح للمعلومات بالتحول إلى أشكال أكثر فائدة من خلال عملية الاستخدام ذاتها.

عدم إمكانية المنع

إن السمة الثانية من السمات المميزة للسلع العامة الخالصة هي عدم إمكانية المنع، بمعنى أن السلعة تصبح متوفرة أمام الجميع بمجرد إنتاجها. ويتمثل المثال الكلاسيكي

على ذلك في الدفاع ضد الاحتلال الأجنبيّ. فإذا أصبحت منطقة معينة محمية ضد الاحتلال، فإن جميع سكان هذه المنطقة في أمان.

وتكون المعلومات مستبعدة فعليًا، في حين تكون أبسط إجراءات الاستبعادية سرية. فلو أنني اكتشفت شيئًا ما ولم أخبر شخصًا آخر عنه، فإن هذه المعلومة تظل سلعة خاصة. وبالمثل إذا تم تمرير المعلومة إلى مجموعة مختارة (كالعملاء القائمين بالدفع مثلاً) شريطة أن يبقوها سرية. ولكن، كلما زاد عدد المحتفظين بالسر، كلما كان من الصعب حفظه. وقد أبوح بما لديّ من معلومات عندما أتصرف بموجبها، حتى لو لم أخبر أي شخص. على سبيل المثال، إذا عرفت أن شركة ما سوف تعلن عن زيادة نسبة الأرباح، فإنني أتمنى حينئذٍ الاحتفاظ بهذه المعلومة لنفسي. ولكن إذا تصرفت على أساس هذه المعلومة، بشراء الأسهم مثلاً، فسوف يرتفع السعر وقد يخمن البعض ما اكتشفته من معلومات.

ويكمن الاهتمام بالسياق الحالي في الأجهزة الفنية والقانونية للاحتفاظ بخصوصية المعلومات. وتعتبر أهم الأجهزة القانونية نظم مثل: قوانين حقوق الطبع وبراءة الاختراع والتي تسمح لصاحب المعلومات (أي واضع هذه المعلومات أو أي شخص آخر يكتسب حقوقه) باتخاذ أي إجراء قانوني ضد أي شخص يستخدم هذه المعلومات دون إذن.

وأخيرًا، يكمن العامل الأساسي هنا في وسائل التكنولوجيا. فعندما يصعب إعادة إنتاج المعلومات، فإنه من السهل حمايتها. عندما كانت المخطوطات تُكتب يدويًا، كان من السهل التحكم في المعلومات المكتوبة. وبالمثل يسهل التحكم، خلال الأيام الأولى من عرض الفيلم، في عدد النسخ الصغيرة التي تم توزيعها على دور السينما. وبالرغم من ذلك، وبمرور الوقت، يكون الاتجاه العام نحو إعادة إنتاج ونشر المعلومات بصورة أسهل. أما في حالة الموسيقى ومقاطع الفيديو، فقد أصبحت تكنولوجيا النسخ متاحة أمام العائلات ممن لديهم آلات تشغيل شرائط الفيديو والموسيقى. والجدير بالذكر أن محاولات أصحاب حقوق النشر وقف، عملية النسخ المنزليّ أو فرض ضرائب عليها، قد باءت بالفشل.

أما الآن، فقد أصبحت عملية النسخ ممكنة ومتيسرة مع وجود الإنترنت. فعندما يستمر كثير من العملاء في شراء الأقراص المدمجة (CDs) وأقراص الفيديو (DVDs)،

بأغراض متعددة، فإننا نلاحظ انتشار نُسخ غير مرخصة على نطاق واسع. وقد بُذِلت محاولات شرسة لتفعيل قانون حقوق النشر، إلا أنها باءت جميعًا بالفشل. علاوةً على ذلك، فقد تسببت هذه المحاولات في ظهور عدد من المشكلات السياسية الأساسية بالنسبة للجمعيات الصناعية الأساسية (كرابطة صناعة التسجيلات الأمريكية وجمعية الفيلم الأمريكي) في بعض الحالات، كأن يُحاكم أحد الآباء على تنزيلات الكمبيوتر التي قام بها أطفاله على ما يبدو.

وللحظة، يبدو أن النموذج الصناعيّ لمبيعات الملفات الموسيقية ومقاطع الفيديو قد يكون محفوفًا بالمخاطر. وبالرغم من ذلك، فعند تقليل تكلفة صفقة الشراء بشبكة الإنترنت وتخفيض سعر المنتج، أصبح مشغل الموسيقى iTunes من إنتاج شركة Apple قادرة على تشكيل سوقٍ قادرة على البقاء لتنزيل ملفات ام بي ثري (MP3) التي تجتذب الكثيرين بموقع أمازون Amazon وغيره. ومع ذلك، فقد أخذ إجمالي عائدات صناعة الموسيقى في التدني. وانتقل الموسيقيون الآن إلى نموذجٍ آخر حيث تُوزع الملفات الموسيقية بكل حرية بهدف تشكيل مجموعة من المستمعين ممن يقومون بالدفع مقابل العروض المباشرة.

حقوق الملكية والتسعير

تعتمد منظومة حقوق الملكية بمجتمعات السوق على الملكية الخاصة بالسلع الخاصة، أي السلع التنافسية التي يمكن استبعادها من منظومة الاستهلاك. وهناك توافق طبيعي بين هذه المفاهيم التي تحجب أحيانًا الحقيقة التي مفادها أن الملكية الخاصة ما هي إلا حق يُعززه القانون بينما يتعلق المفهوم الاقتصادي للسلع الخاصة بملكية البضائع التي نحن بصدد الحديث عنها. ولذلك، لا تنطبق حقوق الملكية على كل البضائع التنافسية التي يمكن استبعادها.

وعلى النقيض، قد تخضع السلع العامة، كالمعلومات، لحقوق الملكية، في صورة "ملكية فكرية" كحقوق النشر وبراءة الاختراع. بالإضافة إلى ذلك، فإن تعزيز هذه الحقوق يستلزم فرض عقوبات على كل من يقوم بنسخ المعلومات دون الحصول على

موافقة مالك هذه الحقوق. ويعتمد ذلك إلى حد كبير على وجود حدودٍ على تكنولوجيا نسخ المعلومات.

حتى إذا كان تطبيق حقوق الملكية الفكرية أمرًا سهلاً، إلا أنه غير مقبول بالمجتمع؛ نظرًا لأن تفعيل حقوق الملكية الفكرية يعتبر حافز على توليد معلومات جديدة تتميز من حيث الصياغة لاجتذاب حماية حقوق الملكية. ونقصد بتفعيل هذه الحقوق أن يكون استخدام الأفكار التي نحن بصددها محدودًا، نظرًا لوجود منفعة اجتماعية للاستخدام غير المحدود، ولو أن هذه الأفكار غير تنافسية.

وقد درس علماء الاقتصاد إمكانية المبادلة بين تكاليف ومنافع حماية الحقوق الملكية وخلصوا إلى أن تكاليف الأشكال القوية للملكية الفكرية تفوق منافعها بشكل عام.

وقد عكس الكاتب استيوارت براند Stewart Brand نظرة أخرى لعملية المبادلة في ملحوظته الشهيرة:

> "من ناحية، تريد المعلومة أن تكون باهظة الثمن لأنها قيمة للغاية. فالمعلومة الصحيحة في المكان الصحيح تغير حياتك تمامًا. ومن ناحية أخرى، تريد المعلومة أن تكون مجانية، لأن تكلفة الحصول عليها تتدنى وتتدنى طوال الوقت." (بروكمان Brockman 2011)

يصوغ هذا الاستشهاد الجدال الذي نشأ بشأن تسعير معلومات القطاع العام. وفي كثير من الأحيان، تُقتبس هذه الفقرة فقط "تريد المعلومة أن تكون حرة". وأحيانًا تكون هذه الفقرة صائبة – فكل الخدمات والسلع الاقتصادية مكلفة الإنتاج، وبالتالي فإنها "تريد أن تكون باهظة الثمن". وعلى النقيض، فالبضائع غير التنافسية فقط هي التي "تريد أن تكون مجانية".

والجدير بالذكر أن مصطلح "مجانية أو حرة" (Free) ذاته يعد من بين المصطلحات الغامضة باللغة الإنجليزية. فيمكن أن تكون المعلومة "حرة كما في الكلام" (أي أنه يمكن الوصول إليها وتنزيلها وتعديلها) دون أن تكون "مجانية كمشروب مجاني" (أي أنها تُمنح

دون مصاريف كما توحي عبارة "مشروب مجاني")[1]. وفي كثير من الأحيان، تُستخدم هذه المصطلحات "libre" (بمعنى: حُر) و"gratis" (بمعنى: مجانيّ) للإشارة إلى هذا التباين.

الإعلان

في ظل غياب الرسوم الواضحة، تكون الإعلانات هي الطريقة المبدئية لتمويل توفير المعلومات "المجانية" عبر وسائل الإعلام العامة. وبالتالي، تقدم وسائل الإعلام الجماهيري حزمة معينة حيث يكون الإعلان مرصعًا بالمحتوى المعلوماتي بأسلوبٍ يجعل من الصعب استهلاك المحتوى دون التعرض للإعلان. ولذلك، ليس من الضروري استبعاد العملاء الذين لا يرغبون في الدفع.

وقد انقسم علماء الاقتصاد بشأن كيفية تقديم الإعلانات بالنماذج الاقتصادية وكيفية تقييم آثارها. وهناك دراسة تقليدية تميز بين الإعلان الإعلاميّ (منتج (س) بخصائص (ص) بسعر (م)) والإعلان الإقناعي (إعلان يهدف إلى إقناع العملاء المحتملين بمميّزات مُنْتَج) بهدف تغيير الأذواق (مثل: " الأمور تبدو على ما يرام مع كوك"). الجدير بالذكر أن هذا التمييز مثير للجدل نظرًا لأنه يمكن اختيار تصريحات معلوماتية بسيطة للترويج لشراء المنتج المشار إليه. ومن ناحية أخرى، يرغب العملاء في دفع مبالغ هائلة مقابل شراء الماركات التجارية عالية الجودة، حتى في حالة وجود بديل أرخص، مما يوحي بأن بعض العبارات مثل "هذا المنتج عالي الجودة يدل على الفئة التي تنتمي إليها (أو تتمنى الانتماء إليه)" هي مجرد عبارات إعلامية.

وهناك دراسة حديثة (وهي دراسة بيكر Becker ومورفي Murphy 1993) قد تجنبت التطرق إلى هذه المسألة. ويُنظر للإعلان عن سلعة أو خدمة ما ببساطة على أنه خدمة ثانوية وتكميلية بالنسبة لاستهلاك السلعة أو الخدمة التي نحن بصدد الحديث عنها. ونقصد بكلمة "تكميلية" هنا أن استهلاك إحداها يحث على استهلاك الأخرى بمعنى أن وجود الفول السوداني المملح المجانيّ بالمقاهي يحث الزبائن على احتساء مزيد من المشروبات.

وفي الدراسة التي أجراها كل من بيكر Becker ومورفي Murphy، قد تُقيِّم قيمة الإعلان من حيث اختيار المستهلك لاستهلاك هذه السلعة. وفي هذا الإطار، يبدو الإعلان كنطاق واسع من الأفكار. ومن ناحية، نجد الإعلانات التي يرغب المستهلك في الدفع، أو قد يقوم باختيار إيجابي على الأقل، لاستهلاكها، مثل: "منشور التجاري" – كمجلات الموضة وملحقاتها بشبكة الإنترنت. وعلى الجانب الآخر، نجد الإعلانات التي تُستهلك تلقائيًا كاللوحات الإعلانية والتسويق المباشر وغيرهما. وفقًا لتحليل بيكر ومورفي Becker-and Murphy، نلاحظ أن إعلان الطبقة الأولى ناجح ومؤثر بخلاف إعلان الطبقة الثانية. ويتطابق هذا التمييز بشكل عام، ولكن ليس تمامًا، مع التمييز القديم بين الإعلان الإعلامي والإقناعي.

علاوة على ذلك، فإن الإعلانات التي تُنشر بوسائل الإعلام تقع بين هذين الجانبين كما تتميز بنطاقٍ خاص بها. أما وسائل الإعلام ذات المصالح الخاصة (كالمجلات)، فإنها تهتم عادةً بالأنشطة والسلع والخدمات المسوقة التي ترتبط بالمصالح الخاصة وقد تُشترى لأجل الإعلانات بقدر شرائها لأجل المحتوى الافتتاحي. وعلى النقيض، تهدف البرامج التليفزيونية إلى تشكيل جمهور من المشاهدين متفاوت المصالح، ونتيجة لذلك قد يفضل مستهلكو البرنامج عدم استهلاك الإعلان المصاحب لهذا البرنامج. وهناك عدد من التقنيات المتنوعة للتغلب على هذا الإحجام بدايةً من التوقيت الدقيق حتى تخصيص المكان الملائم للمنتج داخل البرنامج.

تنقل وسائل الإعلام الجديد أنشطتها بعدة طرق. أولاً، بسبب سعة الإنترنت غير المحدودة، فإن وسائل الإعلام ذات المصلحة الخاصة قد رفعت تكلفة وسائل الإعلام الجماهيرية. وقد شجع هذا الأمر الإعلان الهادف والإعلان الإعلامي الذي يفضله المستهلكون. ثانيًا، سهّل تطور وسائل الإعلام الجديد على المستهلكين تجنب الإعلان الذي لا يرغبون في مشاهدته. وقد تميزت السنوات الأولى للإنترنت التجاريّ بالمحاولات المستميتة لجذب انتباه المستهلكين بالقوة (مثل: ظهور رسائل بريد إلكتروني غير مرغوبة، أو ظهور القوائم المنبثقة وغيرها)، إلا أن عمليات الحظر التكنولوجيّ والتفاعل السلبيّ

من جانب المستهلك قد قضة على معظم هذه المحاولات. وبالتالي، يجب أن تكون الإعلانات مرغوبة على الأقل. ثالثًا، وهو الأهم، أصبح التطور بمثابة الدور الرئيسي لمحركات البحث، وموقع جوجل Google على وجه الخصوص.

اقتصاديات شبكة الإنترنت

خلال السنوات القليلة الماضية، كرّس علماء الاقتصاد اهتمامهم لدراسة اقتصاد الشبكات. وكشفت بعض هذه الدراسات عن مجالات مألوفة بالفعل لدى علماء الاجتماع التي من شأنها التعامل مع شبكات الإنترنت التي تضم عددًا صغيرًا نسبيًا من الأفراد والتركيز على الهيكل الطوبولوجي للوصلات الثنائية بينهما. علاوةً على ذلك، فقد تم تطبيق هذه الأفكار على بعض القضايا كالقضية التي تبحث في مدى تعزيز أو تقويض المدونات للتشعبات الأيدولوجية بين اليسار واليمين.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم التأثيرات الخارجية للشبكة هو أهم ما يميز ديناميكية الإعلام الجديد. والأهم أن قيمة شبكة الاتصالات تزداد بالنسبة للمستخدمين الحاليين نظرًا لإضافة مستخدمين جدد- فلا معنى لامتلاك المرء للهاتف الوحيد بالبلدة. ويمكن إضفاء صيغة رياضية بسيطة لهذه المنفعة. فمثلاً، إذا افترضنا وجود شبكة تضم عدد (س) من الأعضاء، فهناك احتمال لوجود سx (س-1) اتصال أحادي الاتجاه، حيث يمكن لكل فرد الاتصال مع الآخرين جميعًا. وقد يستفيد المستخدم الجديد من إمكانية اتصاله مع الأعضاء الموجودين بالشبكة، إلا أنه يُنشيء أيضًا اتصالاً إضافيًا متاحًا بالنسبة لأي مستخدم آخر. وهذا هو التأثير الأخير الذي من شأنه تشكيل تأثيراتٍ خارجية للشبكة.

إن التأثيرات الخارجية للشبكة ليس إيجابية دائمًا، فقد تكون الاتصالات غير مرغوبة (رسائل إلكترونية غير مرغوبة) وقد يتعذر العثور على الاتصالات المرغوبة في وجود هذا الكم من عدد الاتصالات. أما المشكلة الأولى، فهي مشكلة واقعية ولكن يمكن السيطرة عليها من خلال فرض بعض القيود المتنوعة على كل من يسىء استخدام الشبكة. وأما المشكلة الثانية، فهي تفسح المجال لصناعة الوسائط الجوهرية منها الفهارس ومحركات البحث وما إلى ذلك. وفي كثير من الأحيان، يبدو ذلك كافيًا للتغلب على الآثار السلبية لحجم الشبكة في حين تسود الآثار الإيجابية.

وإذا أمكن التغلب على المشاكل المصاحبة لحجم الشبكة، تشكل التأثيرات الخارجية للشبكة مجموعة من الحوافز من شأنها زيادة معدل نموها، كما قد رأينا في حالة الإنترنت ككل أو في الشبكات الخاصة مثل: شبكات التدوين والفيس بوك Facebook.

علاوة على ذلك، فقد أصبح مفهوم "walled garden" (أو الحديقة المُسيجة: وهي البيئة التي تحكم إمكانية وصول المستخدم إلى محتوى أو خدمة الإنترنت) مُستخدَمًا بخدمات الإنترنت بالقطاع الخاص ومن أشهرها خدمة الكمبيوسيرف Compuserve. وتوفر هذه الشركات اتصالاً هاتفيًا بالويب عن طريق واجهتها الخاصة، حيث تقدم مجموعة من الخدمات كخدمة البريد الإلكتروني والمنتديات والدخول إلى تطبيقات الإنترنت المختلفة.

وبالرغم من نجاحها الهائل خلال فترة الثمانينيات من القرن العشرين، إلا أن مزودات خدمات البحث التجارية على الإنترنت لم تكن لتنافس شبكة الإنترنت، وخاصةً شبكة الويب العالمية، التي نشأت عام 1991. وفي أواخر حقبة التسعينات، اختفى معظم هذه المزودات. أما شركة ايه أوه إل AOL (التي عرفت سابقًا باسم أمريكا أولاين America Online) فقد سعت إلى الانضمام إلى هذا الاتجاه بدلاً من منافسته.

وقد حاولت شركة ايه أوه إل AOL تحويل مفهوم "الحديقة المسيجة" إلى مجال الإنترنت، وقد نجحت في ذلك بالفعل. وكانت فكرتها الأساسية تكمن في السماح لعملائها بالوصول الكامل لشبكة الإنترنت وتشجيعهم على البقاء قدر المستطاع داخل مجتمع إيه أوه إل AOL بشبكة الإنترنت. وقد صُممت هذه الاستراتيجية لإنتاج مجموعة من العملاء "المنغلقين" الذين لا يرغبون في التحويل إلى مزودات خدمة الإنترنت الأرخص ثمنًا وزيادة الانضمام إلى أصحاب الإعلانات بشركة ايه أوه إل AOL. وهناك شكل آخر من أشكال مفهوم "الحديثة المسيجة" وهو "بوابة الويب" (Web portal)، وهو موقع مصمم خصيصًا لدخول المستخدمين إلى الإنترنت مثل موقع ياهو (Yahoo.com). وفي النهاية، لم تنجح شركتا ايه أوه إل AOL أو ياهو Yahoo في إقناع مستخدميهما بالبقاء داخل حدائقهما المسيجة، بالرغم من استمرارهما بالعمل التجاريّ، بخلاف الغالبية العظمى من منافسيهما.

وبالرغم من حتمية انتشار الحدائق المسيجة أحيانًا، يرى ليسيج Lessig (1999، 2001) أن ظهور الأنظمة المفتوحة والمغلقة هو نتيجة اختيارات تجارية وقانونية وسياسية وأنه سوف يكون هناك ضغطًا مستمرًا على الأنظمة المغلقة نظرًا لسعيها وراء تحقيق الأرباح.

وفي عام 2005، اختفى مفهوم الحديقة المسيجة من الوجود. وبالرغم من ذلك، تأكيدًا لرأي ليسيج Lessig، فقد ظهر مرةً أخرى مع ظهور الفيس بوك Facebook وتويتر Twitter. ويمثل نظام تشغيل آي أوه إس iOS بأجهزة الآيفون والآيباد رؤية مختلفة لمفهوم الحديقة المسيجة.

ما المقصود باقتصاد المعلومات في علم الاقتصاد؟

من الناحية المبدئية، نجد أن نظرية الاقتصاد السائد تمتلك جميع الأدوات المطلوبة لوصف المعلومات كونها سلعة عامة خالصة كما تنعتها التأثيرات الخارجية على شبكة الإنترنت. ومن الناحية العملية، فقد افترضت معظم التحليلات الاقتصادية أن السلع العامة بمثابة سمات ثانوية للاقتصاد حيث يعتمد معظم النشاط الاقتصاديّ على إنتاج ومعالجة وتوزيع وبيع السلع المادة (التنافسية والقابلة للمنع نظرًا للتعريف) للخدمات المسوقة. وسوف يختلف التحليل الذي يتعامل مع المعلومات كونها المحرك الأساسيّ للنشاط الاقتصادي، شأنها في ذلك شأن اقتصاد المعلومات، اختلافًا جذريًا.

المعلومات واقتصاديات الحجم والنمو الداخليّ

يتركز تحليل النمو الاقتصادي عادةً على تراكم العوامل الطبيعية للإنتاج - كالأرض، والعمالة ورأس المال (الآلات والمباني). وفي منتصف القرن العشرين، بالرغم من ذلك، فقد اتضح أن هذا النوع من التحليلات لا يفسر سوى جزء صغير نسبيًا من نمو الإنتاج الاقتصاديّ ومستويات المعيشة. وعلاوةً على ذلك، ومنذ بداية القرن التاسع عشر، ناضل علماء الاقتصاد في ظل مجموعة من التناقضات. وبالنسبة لعدد معين من السكان وقطعة أرض محددة، فإن قانون تناقص العوائد الحدية يشير ضمنيًا إلى أن الاستثمارات الإضافية لرأس المال سوف تُفضي إلى زيادة أقل وأقل بالإنتاج حتى يصل الاقتصاد إلى

حالة من الاستقرار. وبالرغم من ذلك، فقد أظهرت التجارب (أو أوشكت) أن النمو قد يستمر إلى ما لا نهاية دون تباطؤ؛ هناك شيء مفقود.

وقد أدركنا مؤخرًا أن "العامل المفقود" هو التقدم التكنولوجيّ ومن ثم، تم تعديل نماذج النمو الاقتصاديّ لتشمل التقدم التكنولوجيّ. وقد سمح هذا التغير بتكيف النماذج الاقتصادية مع البيانات المرصودة، إلّا أنه لم تُيضف بالفعل أي قوة تفسيرية. وقد بدا هذا التغير التكنولوجيّ كما لو كان مددًا غيبيًا لا يتأثر بالنتائج الاقتصادية. ولكن، كما لاحظ أرو Arrow (1962)، فإن التقدم التكنولوجيّ والاختراعات والاكتشافات التي يعتمد عليها ما هي إلا نتاج النشاط الاقتصاديّ.

بالرغم من المحاولات المتنوعة لتعزيز هذه الرؤية في ظل نماذج النمو الاقتصاديّ، إلا أن التطورات الحاسمة التي طرأت خلال فترة الثمانينيات بجانب تطور "نظرية النمو الداخليّ" (ونقصد بمصطلح "الداخلي" ضد "الخارجيّ" أن التقدم التكنولوجيّ قد نشأ من داخل النموذج ولم يُفرض من الخارج). والأهم من ذلك، أن المعلومات، بخلاف العمالة ورأس المال، تُعتبر سلعة عامة. ولذلك، فإن استخدام المعلومات من جانب شخص ما لا يقلل من مدى توافرها بالنسبة للآخرين. وعلى النقيض، فكلما زاد استخدام المعلومات، زادت تهذيبًا وانتشارًا.

وقد مهدت هذه الملاحظة الطريق إلى حسم التناقض الهائل الذي حال دون تطور نظرية النمو. بالإضافة إلى ذلك، يعتمد قانون تناقص العوائد على التسليم بأن الاقتصاد ككل يتميز بالعوائد المستمرة بالنسبة للحجم، بمعنى أنه في حال تضاعُف المدخلات، مثل: الأرض والعمالة ورأس المال، يُصبح كل عامل قادر على الوصول إلى الحصة ذاتها من الأرض ورأس المال، ومن ثم، لا يتغير حجم إنتاجه عن ذي قبل. وبشكل عام، إذا زادت كل المدخلات نسبيًا، تزيد المخرجات بنفس النسب. ويتأثر قانون تناقص العوائد الحدية وفقًا لذلك. ففي حالة وجود مُدخل واحد، مثل: رأس المال، فإن المخرجات تقل نسبيًا.

على النقيض، وبما أن المعلومات تعد سلعة عامة، فإن الإنتاج الذي يعتمد على المعلومات يُؤدي إلى زيادة عائدات الحجم. وفي حالة تضاعُف عدد العمال والمعلومات،

فإن كل عامل يتعامل مع ضعف عدد المعلومات. وبالتالي، سوف يزيد إنتاج كل عامل أكثر من الضعف.

ولهذه الرؤية أهمية بالغة في فهم عملية التقدم التكنولوجي بمجال اقتصاد المعلومات. ولسوء الحظ، لم يقض علماء الاقتصاد وقتًا طويلاً في دراسة هذه الرؤية، بل اهتموا بإثبات مدى اتساق زيادة العوائد مع ثبات النمو الاقتصاديّ وليس التعجيل بإنتاج ما أشار إليه كورزويل Kurzweil وآخرون (2005) بـ"الفردية". وأظهر رومر Romer (1994) وآخرون أن أنماط النمو الداخليّ، في حالة إنتاج قطاع البحث والتطوير R&D التجاريّ لمعرفةٍ جديدة، قد تُنتج معدلاً ثابتًا للنمو بدلاً من النمو المتأرجح. وقد توالى الاهتمام بعد ذلك بقضايا الهيكل الصناعي، وهو ما لا يعنينا في هذا السياق.

وأخيرًا، ساعد تحوُل الاهتمام بنظرية النمو الداخليّ على تعليق الكثير من القضايا الحرجة بشأن إنتاج المعلومات وتأثيره على الاقتصاد.

الإنتاج المحليّ والحوافز النقدية

إن إحدى السمات الرائعة لتقنية ويب 0.2 والتطورات التكنولوجية المرتبطة بها تكمن في مدى تشكيل مساهمات حاسمة دون الحاجة إلى أي مكافآت مالية مباشرة أو غير مباشرة، في كثير من الحالات. وخير مثال على ذلك هو مشروع الويكيبيديا بمختلف اللغات حيث تعد بمثابة الموسوعة الأشمل على الإطلاق. وهناك الكثير من الأمثلة الأخرى، مثل قاعدة بيانات جريس نوت الموسيقية (Gracenote music database)، وهو مشروع تجاريّ من شأنه تحديد المسارات الموسيقية ذاتيًا بالاسطوانات المدمجة، وتعني هذه الخدمة الكثير لكل شخص يستخدم البرامج الإلكترونية مثل: برنامج آي تيونز iTunes. والجدير بالذكر أن كل المعلومات تُرفع على شبكة الإنترنت من جانب مستخدميها حيث يقومون بفهرسة مجموعاتهم.

علاوةً على ذلك، تفسر كثير من الدوافع المختلفة مساهمات الهواة (ريموند Raymond 1998؛ كويجن Quiggin 2006؛ هانتر Hunter وكويجن Quiggin 2008). وبشكل عام،

تعتبر هذه الدوافع تكميلية أو على الأقل متسقة على نحو متبادل. فمثلاً، سوف تكتمل الرغبة في تحسين البرامج الالكترونية مفتوحة المصدر من خلال الاستمتاع بمهمة صعبة من الناحية الفنية والرغبة في نيل الإعجاب من جانب مجموعة الأقران.

بالرغم من ذلك، فإن الدوافع من هذه النوعية لا تتعايش تمامًا مع دافع تحقيق الربح. وقد لاحظ بنكلر Benkler (2004) غياب المدفوعات ذات الجانب النقديّ في حالة تقاسم الركوب ويعد هذا الأمر نموذجيًا بالمحاولات الجماعية المتنوعة. وهناك رغبة قوية في استبعاد المال بهذا النوع من الأنشطة، إلا في حالة وجود تفاعل ضروريّ مع الاقتصاد النقديّ (كتقاسم الركوب والضرائب، أو مقاسمة المدونين تكاليف خدمات الضيافة، وما إلى ذلك).

لقد تمت مناقشة الملاحظة التي مفادها أن الحوافز المالية قد تتعارض مع الحوافز الأخرى بالتفصيل بالمواد المطبوعة عن الجانب التحفيزي للاستثمارات الضعيفة. وبالرغم من ذلك، فقد ركزت هذه المطبوعات على التعارض بين الدفع النقديّ والإيثار حيث يُنظر للتباين بين الحوافز باعتباره بديهيًا إلى حد ما. وبالنظر إلى مجموعة الحوافز المتنوعة التي ترتبط بالمساهمات في المحتوى التعاونيّ والابتكارات، نجد أنه من الضروريّ طرح سؤال عن أسباب اعتبار الحوافز تكميلية (معززة بشكل متبادل) أو بدائل (تؤدي إلى إبعاد الاستثمارات الضعيفة).

وهناك إجابة محتملة عن هذا السؤال ألا وهي النظر بعين الاعتبار إلى مدى اتساق أو عدم اتساق مجموعات خاصة من الحوافز، كالإيثار والتعبير عن الذات مثلاً، من الناحية السيكولوجية. وأخير، فإننا نستنتج وجود مجموعة متنوعة من الحوافز المتعارضة. بالإضافة إلى ذلك، فإنه يصعب تحليل الطبيعة المُعضلة للحوافز النقدية بمصطلحات سيكولوجية بحتة. وفضلاً عن ذلك، فإنه من الضروري النظر بعين الاعتبار إلى السياق الاجتماعيّ للتفاعلات النقدية.

أدت التفاعلات النقدية بصورة طبيعية إلى ظهور الحساب العقلانيّ للفعل وهو مجموعة من القواعد، التي تعتمد على مبدأ أساسيّ (مثل: مبدأ تعظيم الربح)، التي تحكم السلوك

ككل بالمجال ذي الصلة. وقد تتعارض الأنظمة العقلانية مع الأدلة الاستكشافية للفعل الذي يحدث في ظل ظروفٍ معينة (غير محددة بالضرورة). وبشكل عام، فهناك مجموعة من الأدلة الاستكشافية، التي ترتبط بأنواع مختلفة من الحوافز، يمكن أن تتعايش معًا. وعلى النقيض، يميل الحساب العقلانيّ بشكلٍ طبيعيّ إلى تكدس الأنظمة الاستكشافية والأنظمة العقلانية البديلة.

وعلى المستوى الظاهريّ، نلاحظ أن الأشخاص يتعاملون بشكل مختلف، ومن المتوقع أن يتصرفوا بصورة مختلفة، في سياق العلاقات التي يتوسطها المال مقارنةً بالسياقات الأخرى؛ حيث يُنظر للسلوك في السياق غير النقديّ على أنه سلوكًا أحمقًا أو بغيضًا بالسياق النقدي.

ويرتبط أحد أهم الاختلافات العامة بالعقلانية والتبادل المحسوب. ففي السياق غير السوقيّ، يعد الحساب الدقيق للنفقات والمنافع والإصرار على التبادل المضبوط أمرًا مرفوضًا تمامًا. وعلى النقيض، فإن القاعدة الأولى، بالسياقات السوقية، ألَّا تُعطى أكثر مما تحصل.

لماذا يجب على المرء التقيد بهذه القاعدة في ظل السياق السوقي؟ ربما يكمن أحد الأسباب في إيجاد فرصٍ للمضاربة غير المنظمة التي لا تُطبق بسياقاتٍ أخرى. وفي البيئة التي تكون الثقة فيها أحد المسلمات، قد يجنى التاجر الذي ينقص الموازين أرباحًا حقيقية. وإذا ادعى شريك التجارة الشرف، فلن يبذل أحد جهدًا في مراقبته. والجدير بالذكر أنه يصعب القيام بهذه الأمور في ظل السياق الاجتماعي التقليدي.

وهناك نقاط مماثلة يمكن تطبيقها بشأن الحوافز الأخرى؛ حيث يوجد مجموعة من حيل البيع والتي صُممت لاستغلال الإيثار والصداقة والرغبة في التعبير عن الذات وغيرها من الخصال. وبالتالي، فإنه من الضروري تطبيق هذا المبدأ "العمل عمل"، إذا أردت أن تزدهر بالسياق السوقي، وأن تلعب دور المساهم باقتصاد السوق الذي يختلف تمامًا عن "الذات الحقيقية" للمرء.

التضمينات السياسية

نقص الإنتاج

في كثير من الأحيان، لا تدعم عمليات السوق الابتكارات المناسبة أو تقوم بالترويج لابتكارات قيمة في مقابل ابتكارات أخرى عديمة القيمة أو حتى ابتكارات مدمرة. والجدير بالذكر أن نماذج السوق التي تعتمد على الدفع حسب المحتوى، والذي يشمل: النص، والمادة السمعية البصرية، والبيانات، وخدمات البرامج الإلكترونية التي تعتمد على الإنترنت، تلعب دورًا هامشيًا بالاقتصاد المرتبط بالشبكة. وقد حققت خدمة iTunes الخاصة بشركة Apple نجاحًا ساحقًا في ظل عدد هائل من الإخفاقات ، إلا أن جميع المحاولات لمضاعفة هذا النجاح قد باءت بالفشل.

إن الغالبية العظمى من عوائد السوق التي يجنيها من وراء خدمات الإنترنت ترتبط بالإعلان. وأشهر مثال على ذلك هي شركة جوجل Google. ولكن لسوء الحظ، فإن بيع الإعلان يوضح أن القدرة على الحصول على عوائد من وراء الإنترنت ترتبط بعلاقات غير موثوقة وغير مباشرة بابتكارات نافعة أو توفير خدمات مفيدة.

وباختصار، لا داعي أن تتوقع أن قُوى السوق سوف تعمل على توفير حوافز ملائمة للابتكارات. يذكر أن الموارد المخصصة للابتكارات والطريقة التي خصصت بها هذه الموارد ليست الأفضل من الناحية الاجتماعية. وبالتالي، فهناك منافع محتملة من سياسة الابتكارات جدية الإعداد.

الملكية الفكرية

إن المشكلة الأولى بسياسة الابتكارات تكمن في التوقف عن القيام بالأمور ذات النتائج العكسية. وطوال فترة الابتكارات التعاونية، نجد أن دَفعة الإصلاح الأساسية بسياسة الابتكارات كانت ذات نتائج عكسية، ولكنها كانت ضعيفة لحسن الحظ.

علاوةً على ذلك، تكمن الفكرة الأساسية لهذه الدَفعة السياسية في "الملكية الفكرية القوية" – بمعنى أن أفكار وأنماط التعبير والعمليات التقنية تخضع لملكية خاصة غير

مقيدة من خلال بعض الحقوق مثل: حقوق النشر وبراءة الاختراع وحقوق الترخيص. وقد هُوجمت القيود التي تُفرض على مدة هذه الحقوق من خلال المد في فترة حقوق النشر.

وفي ظل غياب المناظرات الاقتصادية القوية، اعتمد مؤيدو الملكية الفكرية بشدة على المزاعم القانونية والأخلاقية التي تعتمد أساسًا على الافتراض القائم بأنه منذ أن أُدرجت براءة الاختراع وحقوق النشر تحت مسمى "الملكية الفكرية"، وقد تمتعت بنفس حالة حقوق الملكية العادية التي تُفرض على السلع. وفي الإعلانات التقليدية التي يقارنون فيها بين نسخ مقطع فيديو وبين سرقة سيارة، قد يمتد هذا التشبيه تقريبًا إلى أي نشاط فكريّ ومن ثم، يمكن لأي شخص رفع دعوى للمطالبة باسترداد ملكيته.

تمثل أنظمة الملكية الفكرية القوية عقبة في طريق ابتكارات شبكة الإنترنت. وتبدو المشكلة واضحة إذا تعلقت بابتكارات الهواة أو الابتكارات مفتوحة المصدر التي تلعب دورًا رئيسيًا في تطور اقتصاد الشبكات. لا يجني الهواة سوى القليل أو ربما لا يستفيدون مطلقًا من حقوق الملكية الفكرية ومن ثم لا يرغبون، أو يعجزون في كثير من الأحيان، في الدفع للآخرين مقابل حق استخدام مواد مسجلة أو ذات حقوق للنشر التي تستمد جزءًا كبيرًا من قيمتهم من المساهمات الجماعية التي تُشكل الشبكة.

وحتى بالمشاريع الربحية، يُنظر للحقوق الملكية الفكرية وبراءات الاختراع على أنها عقبة في طريق الابتكارات. وبجانب ذلك، فإن سهولة إلحاق براءات الاختراع بالأفكار، التي تشكل غالبًا متغيرات صُغرى على التقنيات الموجودة، يعني أن التقدم بخطى بسيطة لتطوير البرامج الإلكترونية قد يمثل خطورة لمخالفته حقوق الملكية الفكرية. وعلى النقيض، فإن العائد الحقيقي الذي يمكن للمرء الحصول عليه من خلال ترخيص الملكية الفكرية هو التعفف في أفضل الأحوال.

إن الأنظمة الرسمية وغير الرسمية لدمج براءات الاختراع تتغلب على كثير من المشكلات. فالشركات المبتكرة يمكنها استخدام أفكار الآخرين بينما تُشارك معلوماتها الخاصة. وبالرغم من ذلك، فقد تم تقويض هذا النظام مع ظهور "تصيد براءات الاختراع"، وهي الشركات التي تسعى إلى تجميع أكبر عدد من براءات الاختراع

واستخدام مبتكرين حقيقيين للقيام بانتهاكات (مشبوهة للغاية غالبًا) آملين أن تقوم ضحاياهم بالدفع لتسوية القضايا بدلاً من الاستمرار في دفع المصاريف القانونية.

ولحسن الحظ، يبدو أن المحاولات المبذولة للتعزيز الملكية الفكرية قد باءت بالفشل. وخير مثالٍ على تصيد براءات الاختراع هي المحاولة التي قامت بها مجموعة اس سي أوه SCO Group لإثبات ملكية نظامي يونكس Unix ولينوكس Linux لتشغيل الكمبيوتر حيث قامت شركة مايكروسوفت Microsoft المنافسة للينوكس Linux بتمويل القضية، ومن ثم انتهت المحاولة بإفلاس مجموعة اس سي أوه SCO Group[2]. والجدير بالذكر أن المحاكم لم تعد ترغب في تعزيز دعاوى براءات الاختراع.

وقد تغيرت المواقف الاجتماعية على نحو مماثل، حيث اعتادت الغالبية العظمى من الناس على انتهاك حقوق النشر والترخيص مثل: "نسخ" محتوى الأقراص المدمجة إلى وسائل الإعلام الرقمية. ومن جانب آخر، أثارت محاولات حديثة للمطالبة بتعزيز قانون حقوق النشر بكندا معارضة قوية ولاسيما بين الشباب والمصوتين المثقفين (Angus Reid Strategies 2008).

وأخيرًا، وهو الأهم، فإن ظهور بدائل للملكية الفكرية القوية مثل: البرامج الالكترونية مفتوحة المصدر ورخص المشاع الإبداعيّ قد ساعد على تغيير الافتراضات المبدئية التي تنشأ الابتكارات في ضوئها. علاوةً على ذلك، فقد زادت المادة المتاحة بموجب شروط المشاع الإبداعيّ على نحوٍ هائل. وبشكل عام، فإنه بالرغم من الافتراض القانوني (الذي ظهر بالولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة السبعينيات) بأن المادة المنشورة تخضع ذاتيًا لحقوق النشر، إلا أن العُرف السائد بمشاركة المعلومات مجانًا قد ظهر باعتباره الافتراض الاعتيادي للمواد التي تُنشر على شبكة الإنترنت. وبجانب ذلك، فإن المحاولات المبذولة للحد من الوصول إلى للمشتركين الذين يقومون بالدفع أو لمنع إعادة النشر قد باءت جميعًا بالفشل كونها ذات نتائج عكسية. بالإضافة إلى ذلك، فقد ثبطت هذه القيود الوصلات الداخلية التي تعد ذات أهمية بالغة بالنسبة لمحركات البحث مثل: جوجل.

وإذا لم تعد الحقوق الفكرية القوية أمرًا مرغوبًا، فإن التخطيط المركزي لم يعد مقبولاً. وقد أظهرت المحاولات التنبؤ والتحكم بمسار ابتكارات شبكة الانترنت عدم فعاليتها في كثير من الأحوال كما أنها ذات نتائج عكسية سيئة.

الإبداع والمؤسسات الثقافية العامة

في هذه المرحلة، يصعب صياغة برنامج سياسي مفصل لابتكارات شبكة الانترنت. وبالرغم من ذلك، يمكن الإشارة إلى بعض المبادئ والتعليمات السياسية. أولاً، من الضروريّ تشجيع الإبداع بجميع أشكاله، ونظرًا لأنه لا يمكن التنبؤ مسبقًا بنتائج الإبداع؛ فإن سياسات تشجيع الإبداع لابد أن تعتمد على إفساح المجال للإبداع (وكذلك الوصول إلى المصادر الضرورية) وإتاحة الوقت للعمال المبدعين لمتابعة مشاريعهم الخاصة وشبكات الاتصالات الضرورية لتسهيل التعاون الإبداعي.

إن اتحاد الابتكار الثقافي والتقني يوحي بالحاجة إلى دمج أنماط دعم البحث العلميّ والابتكار التقنيّ، من ناحية، والأنماط المستخدمة في ترويج الابتكار الثقافيّ ولا سيما بالفنون الإبداعية، من ناحية أخرى.

وهناك اتجاه آخر بالغ الأهمية لدعم الابتكارات بشبكة الانترنت ألا وهو المساهمات العامة بالمشاع (الإبداعيّ). علاوةً على ذلك، فإنه يجب قمع الحركات التي تؤيد انتشار الدعاوي الخاصة بالملكية الفكرية عن الأعمال الإبداعية المموَّلة وأن يحل محلها الالتزام بتوفير هذه الأعمال كافة إما باعتبارها جزءًا من الأملاك العامة أو كونها تتعلق بالمشاركة المجانية للمعلومات شأنها في ذلك شأن رخصة المشاع الإبداعيّ.

بالإضافة إلى ذلك، فإن المؤسسات الثقافية العامة مثل: هيئة الإذاعة الأسترالية "ايه بي سي" لطالما لعبت دورًا جوهريًا لدعم نموذج السلعة العامة للإنتاج الإبداعي. وبالتالي، يجب الترويج لهذا النموذج. ويقدم جروين Gruen (2008) مجموعة من الاقتراحات المفيدة بدايةً من تطوير أرشيف مجاني سهل الوصول إليه بالشبكة العنكبوتية العالمية كما اقترح أساليب جديدة من شأنها مساعدة هيئة الإذاعة الأسترالية في تطوير موارد تقنية ويب 2.0 والإذاعة المجتمعية.

إن الفرص والتحديات التي يفرضها اقتصاد المعلومات المعتمد على شبكة الانترنت توصف بأنها معقدة وتحويلية جذريًا حيث إنها ترتبط بالمؤسسات الثقافية كالمعارض والمكتبات والأرشيفات والمتاحف (يطلق عليها قطاع جلام GLAM) ناهيك عن حديقة النباتات وحديقة الحيوانات وهيئات الفنون المسرحية.

التعليقات النهائية

بإعادة صياغة ما ذكره سولو Solow (1987)، فإننا ندرك مدى انتشار تأثير وسائل الإعلام الجديدة في كل مكان عدا اقتصاد السوق. بالإضافة إلى ذلك، تعتبر التحويلات الجارية كونها نتيجة لتطور وسائل الإعلام الجديد ذات تأثير ضئيل نسبيًا على المعايير القياسية للنشاط الاقتصاديّ. وبينما تنظر الموجات السابقة من الابتكار التكنولوجي بعين الاعتبار لظهور الشركات الجديدة في مقدمة النشاط الاقتصاديّ، فقد أصبح عصر الإعلام الجديد معروفًا بانهياره المذهل فضلاً عن نجاحه المستمر.

وتوفر النظرية الاقتصادية مجموعة من الأدوات الضرورية لفهم وسائل الإعلام الجديد. وبالرغم من ذلك، فإن التطبيق المستمر لهذه الأدوات سوف يؤدي إلى تحول جذريّ في طريقة فهمنا للاقتصاد، الأمر الذي يتطلب عدد من التغيرات الجوهرية بالسياسة الاقتصادية. وقد بدأت هذه العملية من التغيرات بشق الأنفس.

ملحوظات

1- مثال المشروب المجانية والكلام المجاني مقتبس مما ذكره ريتشارد ستالينجز Richard Stallings في مقاله بعنوان (Gay) (2002).

2- تم توثيق هذه القضية بالتفصيل على هذا الموقع www.groklaw.net

المراجع

Angus Reid Strategies (2008) “Angus Reid Poll: Canadians Evenly Split on Proposed Amendments to Copyright Act.” www.angusreidstrategies.com/index.cfm?fuseaction=news&newsid=245.

Arrow, K. (1962) “Economic Welfare and the Allocation of Resources for Invention” in *The Rate and Direction of Inventive Activity*. Princeton, NJ: Princeton University Press, pp. 409-425.

Becker, G.S. and Murphy, K.M. (1993) “A Simple Theory of Advertising as a Good or Bad.” *Quarterly Journal of Economics*, 108(4), 941-964.

Benkler, Y. (2004) "Sharing Nicely: On Shareable Goods and the Emergence of Sharing as a Modality of Economic Production." *Yale Law Journal*, 114, 273-358.

Brand, S. (1987) *The Media Lab: Inventing the Future At MIT*. New York: Viking. Brockman, J. (2011) "Conversation in Munich." *Edge*, 338. http://www.edge.org/documents/archive/edge338.html.

Gay, J., ed. (2002) *Free Software, Free Society: Selected Essays of Richard M. Stallman*. Boston, MA: GNU Press.

Gruen, N. (2008) “Two Economic Paradoxes of Our Time: Part Two - What to Do with a Sketch of an Example Using the ABC.” http://clubtroppo.com.au/2008/04/01/two-economic-paradoxes-of-our-time-part-two-what-to-do-with-a-sketch-of-an-example-using-the-abc.

Hunter, D. and Quiggin, J. (2008) “Money Ruins Everything.” *Hastings Communications & Entertainment Law Journal*, 30, 203-255.

Kurzweil, R. (2005) *The Singularity is Near*. New York: Viking.

Lessig, L. (1999) *Code and Other Laws of Cyberspace*. New York: Basic Books.

Lessig, L. (2001) *The Future of Ideas: The Fate of the Commons in a Connected World*. New York: Random House.

McLuhan, M. (1964) *Understanding Media; The Extensions of Man*. New York: McGraw-Hill.

Quiggin, J. (2006) “Blogs, Wikis and Creative Innovation.” *International Journal of Cultural Studies*, 9(4), 481-496.

Raymond, E. (1998) "The Cathedral and the Bazaar." *First Monday*, 3(3). http://firstmonday.org/htbin/cgiwrap/bin/ojs/index.php/fm/article/view/578/499.

Romer, P.M. (1994) “The Origins of Endogenous Growth.” *Journal of Economic Perspectives*, 8(1), 3.

Samuelson, P.A. (1954) "The Pure Theory of Public Expenditure.” *Review of Economics and Statistics*, 36, 387-389.

Solow, R. (1987) “We’d Better Watch Out.” *New York Times Book Review* (July 12), 36.

الفصل السادس

أهي نهاية الجماهير؟

سونيا ليفينجستون Sonia Livingstone ورنجانا داس Ranjana Das

أهو موت اللجماهير؟

"إن التقارير التي تحدثت عن وفاتي كانت مبالغة"
(مارك توين Mark Twain، 1897)

في الماضي، اعتاد الناس على شغل وقت فراغهم بالجلوس على الأريكة، مع آخرين في كثير من الأحيان، حيث يستمتعون بمشاهدة التلفزيون أو قراءة جريدة قومية سواء بشيء من التركيز أو شاردي الذهن، ومن ثم، يتحدثون معًا عما قرؤوها بعد تناول العشاء باليوم التالي. أما اليوم، فأصبح الناس يحملقون بأجهزة الكمبيوتر أو بشاشات هواتفهم

الدليل إلى ديناميكية الإعلام الجديد، الطبعة الأولى، منقحة على يد جون هارتلي "John Hartley" و جين بورجس "Jean Burgess" و أكسيل برونز"Axel Bruns".© شركة بلاكويل المحدودة للنشر 2013 "Blackwell Publishing Ltd". نُشرت شركة بلاكويل المحدودة للنشر هذا الكتاب عام 2013 .

المحمولة، بمفردهم غالبًا، أو يقومون بعدد من المهام على شبكات التواصل الاجتماعيّ حيث يقومون بتنزيل الملفات الموسيقية أو الدردشة أو البحث عن معلومة ما أو ممارسة الألعاب الإلكترونية، وعلى الفور يتناقشون عن تجاربهم مع آخرين بمكان ما. وهناك عشرون عامًا بالضبط تفصل بين هاتين الفترتين، فلم يعد الوقت مناسبًا بالنسبة للأشخاص لتغيير اهتماماتهم ومصالحهم الأساسية. وبالرغم من ذلك، فإن عاداتهم اليومية - بجانب قدراتهم على التواصل - قد تغيرت على نحوٍ ملحوظ، الأمر الذي يعكس التحول التاريخيّ من المجتمع الجماهيري إلى مجتمع الإنترنت، من إعلام الدفع إلى إعلام الجذب، من الاتصال الأحادي إلى الاتصالات متعددة الأطراف. وبالتالي، هل ما زالوا جماهيرًا؟ في هذا الفصل، فإننا ندفع بأن هذه القضية من حيث: وصف الناس كجماهير (أيضًا، كعامة أو جمهور أو عملاء أو مستخدمين) تعتمد بشدة على تاريخ الجماهير والبحث الجماهيري للكشف عن الثوابت والمتغيرات بالهويات والأنشطة الاجتماعية والسلطة.

إننا طرح هذا السؤال بشأن الجماهير في وقت حدوث هذا التغيير مُدركين أن طبيعة هذا التغير، قد أصبحت مثيرة للجدل. هل اختلف المجتمع فجأة أم أنه قد اختلف قليلاً عنه منذ عشر أو عشرات السنين؟ أو، هل كانت الثوابت منذ عقود أو حتى قرون شديدة الأثر إلى حد بعيد؟ ونؤكد هنا أن هذه التغيرات تستحق الذكر بالفعل، أي فيما يتعلق بارتباط الناس بوسائل الإعلام وفيما يتعلق بارتباط الناس بعضهم ببعض، وهو الأهم، عبر وسائل الإعلام، ولا يعني ذلك تحليل ذخيرة الأعمال التصورية ولكن لابد أن تكون جديدة بالكامل.

وعلى النقيض، فإننا نفترض أن تكون ذخيرة الأفكار والآراء التي تطورت لإعادة النظر بشأن الجماهير التليفزيونية خلال فترتي الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين - وهي ذخيرة الأفكار التي تحدت سلبية الصورة التي نرسمها بأذهاننا - موجودة الآن من تلقاء ذاتها، والآن وقد وجدت مجالها المناسب متعدد الأنماط حيث البيئة الرقمية للكشف عن قوتها التحليلية.

تتساءل الدراسات الجماهيرية، كيف يتقارب ويتفاوت الأشخاص في تفسيرهم

للنصوص الإعلامية؟ وكيف يستجيبون بشكل نقدي للرسائل المتسلطة؟ وكيف تشارك الجماهير بالمجتمع المدنيّ؟ أما اليوم، ومع انتشار وسائل الإعلام متعددة الأنماط ووسائل الإعلام التي يُنشؤها المستخدم، فقد طُرحت مجموعة من الأسئلة المماثلة بشأن ممارسات القراءة والكتابة والتفسير وأيضًا بشأن نتائج هذه الممارسات لتضمينها أو استبعادها أو قبولها أو نقدها. وقد يندهش البعض من الباحثين الجماهيريين الذين يدافعون عن النص، وبالرغم من ذلك فإننا نؤكد على ارتباط هذه الأسئلة بالأهمية المستمرة للنصوص. وكما سنرى فيما بعد، لا يمكننا تحليل عصر الشبكات الرقمية، كما فعلنا مع البث الجماهيري، إلا من خلال التعرف على المنافع المتبادلة بين النصوص والقراء.

واليوم نشهد انطلاق مجموعة من النصوص ووسائل التكنولوجيا – حيث أصبح كل شيء رقميًا ومتشابهًا. علاوةً على ذلك، فقد تمت تغطية المساحات الإعلانية بالمُدن برسائل مادية – أي تجارية أو سياسية أو إقناعية أو منقوشة فحسب. بالإضافة إلى ذلك، فقد خضعت أيضًا للرسائل الرقمية – التي أصبحت مكتظة بأنظمة التمثيل الباطنية، بينما انتقلت التفاعلات المباشرة إلى مرحلة الحملقة المستمرة بشاشات الهواتف المحمولة، حيث تبدو متاحة باستمرار بالنسبة للآخرين، في حين يستمع المتفرج الرقمي. وسواء كنا نعمل أو نشغل وقت فراغنا، أو ندرس أو نلعب، أو نتفاعل اجتماعيًا أو منعزلين، أو نساهم بالحياة المجتمعية، فإننا محاطون من كل جانب بالرسائل والأصوات واللافتات والصور – التي نستجيب للكثير منها في الحال أو نعيد إرسالها إلى الآخرين. وفي الوقت ذاته، فقد تصدرت سياسة التمثيل جداول الأعمال العامة والسياسية حول العالم (أورجاد Orgad، 2012)، وفي أواخر عصر الحداثة، انصب الاهتمام على الحركات السياسية بينما ناضل آخرون بشأن السياسة الثقافية والدينية والتسويق للسياسة الحزبية. وبينما نحن محاطون بالنصوص التي ترحب بنا على جميع الأصعدة، فإننا أيضًا نتوسط انفجارًا هائلاً من وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حيث نجد شاشات ضخمة بالأبنية والأماكن العامة وأجهزة جديدة بغرف النوم والمعيشة وحتى أجهزة أصغر بجيوبنا أو تحت وسادتنا أو بين أيدينا أو موصلة بآذاننا.

إن الطبيعة المزدوجة لوسائل الإعلام والاتصالات - طبيعة النص والشيء، أو الوسيلة والرسالة (سيلفرستون Silverstone 1994؛ ليفينجستون Livingstone 2007) - تساعد على ازدواجية الجمهور أيضًا. فمن ناحية، يُنتج الجمهور المعنى بعد التحقق من الواجهة البينية المشتركة بين النص والقارئ. ومن ناحية أخرى، يُنتج الجمهور العلاقات الاجتماعية بعد اتخاذ القرارات المادية/ الاجتماعية التي تشكل سياقات أفعالهم اليومية. والجدير بالذكر أن الصياغة السابقة تتصدر التساؤلات. ولطالما تمت صياغة هذه التساؤلات من قبل عبر علم السيمياء وعلم الجمال، وأحيانًا فيما يتعلق بالثقافة؛ أما مع ظهور البيئة المعقدة للإعلام والاتصالات اليوم، فقد طُرحت المزيد من التساؤلات الإضافية- عن التصفح والبحث، عن الثقة والمصداقية، وعن المعرفة والإبداع. علاوةً على ذلك، فقد أثارت الصياغة الأخيرة عددًا من الأسئلة بشأن العلاقات الاجتماعية. ولطالما تمت صياغة هذه التساؤلات من قبل بالنظر إلى العلاقات المحدودة/ والهائلة للاقتصاد السياسيّ في مقابل الاثنوجرافيا الثقافية، وأحيانًا بالنظر إلى النظام وعالم الحياة؛ أما اليوم، ومع ظهور المجتمع المعقد والعولمة ، فقد طُرحت مزيد من التساؤلات الإضافية بشأن العلاقات والأدوار الاجتماعية - الجماهير والعامة، بين المواطنين والمستهلكين الذين يتفقون ويختلفون على التوازي مع النصوص الإعلامية ووسائل التكنولوجيا التي يتعرضون لها.

ومن الناحية العملية، فإن النصوص ووسائل التكنولوجيا بالبيئة الإعلامية الحالية يتفاعلان، حيث لا يمكن للمرء الاعتماد على واحد منهما فحسب (البرامج بالتليفزيون، والأفلام بالسينما، والكتب المطبوعة ... وما إلى ذلك). وبينما يتجاوز المحتوى وسائل الإعلام المختلفة، ترتبط المنصات وتتقارب (انظر جينكينز Jenkins 2006) والعلامات التجارية تتجاوز حتى وسائل الإعلام - كما بكتاب هاري بوتر وملك الخواتم Lord of the Rings (الأصلي والمزيف)، والأفلام، والألعاب (سواء بالمكمبيوتر أو بالأجهزة اللوحية)، ومواقع الإنترنت (المواقع الرسمية ومواقع المعجبين)، لعبة ليجو Lego toy. وبالرغم من ذلك، فإن هذه الصلات التجريبية يجب ألا تقلل من قيمة الاختلاف

التحليلي بين الصياغة المادية والسينمائية للجماهيرية. علاوةً على ذلك، فإن فعالية البحوث عن الجماهير التي أُجريت خلال العقود الأخيرة، والتي أثارت لبرهة مجال الإعلام والاتصالات، ليست حقيقية، كما نفترض، ولا سيما فيما يتعلق بالجسر الإبداعي بين هذه الفروع المختلفة. وسواء رسّخ العلماء أعمالهم مبدئيًا بالسيمياء الاجتماعية، أو جمالية التقبل، أو التشفير/ فك التشفير، أو بالمجال النقديّ، أو الأنثربولوجي، أو النسوي أو بأي مجال من مجالات المسارات الأخرى، فإن الغالبية العظمى تعترف بأهمية هذه الفروع نظرًا لأن دراستها تُشكل نوعًا من الاحتكاك. بالإضافة إلى ذلك، فإن الجماهير يقعون دائمًا، أو يضعون أنفسهم، بين النص والسياق، ومع ذلك فإن علاقة الجمهور بوسائل الإعلام تظل علاقة مزدوجة. وبالتالي، فإنها تتطلب دائمًا، وسوف تتطلب دائمًا، عدسة مزدوجة ممن يسعون لفهم هذه العلاقات.

ولكن، بالنسبة للبعض، لم يعد مفهوم الجمهور مفيدًا. وبالفعل، يبدو أن الظاهرة ذاتها قد أصبحت لاغية أو أنها قد اختفت على الأقل (جيرمن Jermyn وهولمز Holmes 2006) على يد جيلمور Gillmore (2006) الذي ذكر في كتابه "نحن الإعلام" (We the Media) أن "الجمهور السابق" قد حقق تغييرًا هائلاً، بسبب وسائل التكنولوجيا المرتبطة بشبكة الإنترنت، بدايةً من المستهلك حتى المواطن وكذلك في الاحتفال الذي أقامه جيه روزن Jay Rosen (2006) حيث أكد "أن الناس الذين عُرفوا من قبل باسم الجمهور" يزعمون بأن سُلطة المنتج هي التي تعزز فرص الحديث (من الناحية التكنولوجية) – كما نلاحظ بأعمال العلماء الأكاديميين. وسواء كان هذا النشاط يضاهي المجتمعات ذات المعايير العالية التي يتمتع بها المواطنون والعامة (بوتسش Butsch 2000؛ دايان Dayan 2005) أم تسبب في إثارة تحدي مُلاك وسائل الإعلام، فإنها مسألة مثيرة للجدل (جينكيز Jenkins 2003)، الأمر الذي خلف الكثير من المشاريع التجريبية الجارية. وإذا وضعنا الأدلة التي تبالغ بتقاريرها عن موت الجمهور جانبًا (حيث تزيد أعداد جماهير السينما، بينما لا يستطيع سوى قليلين العيش دون أجهزة التليفزيون، ويظل الراديو هو أكثر الوسائط المتعة في العالم) ، إلا أننا مهتمون هنا أكثر بصحة (أو عدم صحة) هذه المزاعم النظرية.

وفي كتاب لإليزابيث بيرد Elizabeth Bird بعنوان "لم يمت بعد؟" (Not Dead Yet?) (2009)، نلاحظ أن وسائل الإعلام الرقمية قد ساعدت على تجسيد معظم الأنشطة الجماهيرية - بدايةً من الاستجابات الصامتة حتى ممارسات الترجمة المرئية. بالإضافة إلى ذلك، وكما لاحظ أحد مؤلفي هذا الفصل من الكتاب من قبل، فقد أصبح واضحًا للعيان ذلك الدور الذي يلعبه الناس في إنتاج المعنى من خلال البحث أو نسخ أو دمج النصوص، ولم يعد نشاط الجمهور أمرًا مثيرًا للشكوك (ليفينجستون Livingstone 2004). وبالرغم من ذلك، فقد استُخدمت هذه الأنشطة الجديدة للتأكيد على السلبية النسبية للعصور الماضية. ووفقًا لما ذكره بعض مؤيدي وسائل الإعلام الجديد، كلما زاد استخدام الإنترنت، ظهرت سلبية مشاهدي التليفزيون إلى جانب الإدراك المتأخر. وبالتالي، لم يمت الجمهور فحسب، كما يقول البعض، ولكن مقارنةً بالحياة المشرقة للملمين بتكنولوجيا الكمبيوتر، فإنه لم يكن حيًا من قبل - وهو اتجاه جديد لتعقيبات الجمهور النشط (مثل: موريس Morris 1988؛ سيمان Seaman 1992؛ وانظر أيضًا هارتلي Hartley 2006).

أما بالنسبة للأسباب النظرية والتجريبية (كما أشرنا مسبقًا)، فإننا نقتنع بالأهمية المستمرة للجمهور، ومع ذلك فإننا نركز الآن على مسألة مختلفة. في الواقع، لا تكمن قضيتنا في إثبات وجود الجماهير(فهم موجودون بالطبع كما يبدو لنا) ولكن في تحليل أنشطة الجماهير الذين يتفقون ويختلفون اليوم دائمًا بشأن وسائل الإعلام وبيئة الاتصالات من خلال استخدام ذخيرة متطورة من الأفكار التصورية لتحليل الجماهير الجامحة (لمزيد من الدراسات التجريبية في هذا الشأن، انظر داس Das 2011، 2012).

وبعبارة أخرى، حتى لو كان الجمهور حيًا وبصحة جيدة، فإنه قد لا يتابع ما يتشاركه مستخدمو وسائل التكنولوجيا الرقمية أو تكنولوجيا الإنترنت معهم. وبالطبع، بالنسبة لمن يقومون بدراسة عن مستخدمي وسائل الإعلام الجديدة من منظورات مختلفة - كدراسات العلوم والتكنولوجيا، والتفاعل بين البشر والكمبيوتر، وعلم الاجتماع الاستهلاكيّ، وتاريخ الكتابة، والدراسات المعلوماتية والمكتبية أو أي فرع آخر من فروع

المعرفة التي تتعلق بالتحليل متعدد الاختصاصات لوسائل الإعلام الرقمية (فمثلاً، انظر روزن Rozen، 2006؛ بارجاك Barjak وآخرين 2010؛ كيم Kim وآخرين 2010؛ كيميريل Kimmerle وآخرين 2010؛ بول Paul وموريس Morris 2011) – فقد نجد أوجه تشابه مشتركة بين من يشاهدون التليفزيون أثناء استلقائهم على الأريكة وبين من يستخدمون أجهزة الكمبيوتر بواسطة الماوس ولوحة المفاتيح . وبالرغم من ذلك، فبالنسبة لمن يتساءلون منا عما يفعله الباحث الجماهيري في عصر الإنترنت (ليفينجستون Livingstone 2004)، فهو تحدٍ يستحق المتابعة.

حوار عبر الأجيال

> *قال الشاب الصغير: "لقد أصبحت عجوزًا أيها الأب ويليام، وقد اجتاح الشيب رأسك؛ وما زلت تقف باستمرار على رأسك – هل تعتقد أن هذا الأمر جيد لرجلٍ في مثل عمرك؟"*
>
> (*لويس كارول Lewis Carroll*، أليس في بلاد العجائب، 1865)

وكما أشار لويس كارول بدقة، فقد يجتاح الشعر الأبيض رأس الجيل القديم بعد قضاء عُمره في المناظرات والتجارب، ولكنه لا يزال مندهشًا من جيل الشباب. ومع ذلك، وبالرغم من ارتباطها بالقوة، فإن الشيب لا يُولد دائمًا الاحترام؛ فقد يتعامل الشباب مع كبار السن بشيء من الاستخفاف والنقد أو حتى عدم الاحترام. وبالتالي، يتساءل أي معلم: ما الذي يتعين عليّ تعليمه للجيل التالي، وإلى أي مدى سوف يحتفظون بهذه القيم؟ وفي الوقت ذاته، يجب أن يتساءل طلابهم: ما هي المعرفة المتاحة؟ وإلى أي مدى يمكنني الاستفادة منها في مواجهة المشكلات الجديدة أو هل يتعين عليّ البدء من جديد؟ وبالتالي، ليس هناك جديد بشأن هذه التساؤلات المتبادلة عن انتقال تطور المعرفة عبر الأجيال. وبالنسبة للعقود الستة أو السبعة التي تشكل عُمر الدراسات الإعلامية، نجد أن الكثير من الأجيال والباحثين بمجال الاتصالات قد عاصروا عددًا من الحقبات التاريخية الفكرية والمجتمعية والتكنولوجية المتداخلة كما ساهموا بسرد الدراسات الإعلامية عمومًا، سواء من الناحية النظرية أو التجريبية، ودراسة الجماهير بشكل خاص.

وكما قال كاتز Katz وآخرون:

"في عالمنا المعتاد حيث القراءة والكتابة والبحث - المستوحى من الأسلاف والمعاصرين - ننظر إلى ما تحمله أكتافنا، ونستشعر بوجود أحد أسلافنا، قد لا نتعرف عليه في بداية الأمر، ولكنه يرحب بنا في المسار الذي اخترناه لأنفسنا (كما نعتقد). وبالتالي، فإننا نتسبب في وجود من نطلق عليه اسم أب فكريّ. وفي كثير من الأحيان، نجد أن الأمر يستحق معرفة المزيد عن هذا الأب." (2003: 2)

إننا نكتب هذا الفصل من منظور جيلين متناظرين ومتعارضين من علماء الإعلام، حيث يجد كل منهما نفسه ببداية طريقٍ جديد. فبالنسبة للجيل الذي "بلغ من العمر عتيًا" والذي عاصر ميلاد نظرية الجمهور النشط، نلاحظ أن التحديات النقدية والتجريبية والنظرية التي واجهت النصوص البنيوية والأدبية والسينمائية بجانب الروايات السياسية-الاقتصادي عن سلطة الإعلام التي وضعها النظريون الجدد بمجال الدراسات الثقافية والمناهج الأنثربولوجية وتراجُع المذهب النسوي - وخاصةً بالنسبة لسيدات الطبقة العاملة والأصوات المهمشة- كانت حاسمة. أما بالنسبة للجيل الذي "عاصر" نشأة تقنيات ويب 2.0، فقد تركزت العوامل الحاسمة، التي شكلت أجندة البحث، على التقارب عبر وسائل الإعلام ودمج المناظرات متعددة التخصصات بشأن العولمة ومجتمع الإنترنت بجانب التركيز على الخبرات الشبابية لـ"المواطنين الرقميين" والانتقال من مرحلة تقويض العمل النقدي إلى مرحلة الاندماج بصناعة السياسة.

والجدير بالذكر أن الجيل القديم لا يقف ساكنًا، وأثناء إجراء البحث بهذا الفصل وجدنا أنه من الجدير بالذكر أن هناك مجموعة من العلماء الذين تأسسوا بمجال استقبال الجمهور التليفزيونيّ قد تولوا التحليل أيضًا عن كيفية اندماج الجمهور مع وسائل الإعلام الجديدة والرقمية. وحيث أنهم يعرفون أن نظراءنا الذين ينتمون للعصور الأولى لم يقوموا بهذه الخطوة من قبل (حيث قاموا، على سبيل المثال، بتوسيع مسارهم بمجال الأنثربولوجيا الإعلامية والثقافية أو استمروا فقط بالبحث في الدراسات التليفزيونية)، والآن وجدنا

أنفسنا أيضًا بشركة جديدة (مع علماء التكنولوجيا والتربويين وعلماء التاريخ وعلماء السياسة وآخرين)، وقد يتساءل كثير من الباحثين الجماهيريين عما يمكن أن يستمدونه من العلماء السابقين لتطوير أجندتهم البحثية. وفي كل مرة نقوم بإجراء بحثٍ أدبي أو وضع إطار عمل نظريّ أو تصميم مناهج أكاديمية أو نقد أعمال الآخرين، فإن تساؤلاتهم تبدو أكثر إلحاحًا، مثل: إلام يقودنا البحث بتاريخ هذا المجال، وإلى أي مدى، ومتى يمكننا الانتهاء منه، وما الأدوات التحليلية الجديدة التي نحتاج إليها؟

إن إحدى نقاط البداية تكمن في الروايات المتغيرة التي تسرد مساهمة الدراسات الخاصة بالاستقبال الجماهيري. فبدون التدريب على، أو منح الذات وقت للاعتراض على، الروايات المبسطة (وخز "إبرة الحقن" لبحث التأثيرات؛ الثالوث القانوني لرادوي canonical trio of Radway، وآنج Ang ومورلي Morely؛ واكتشاف تعدد المعاني غير المقيد وظهور الجمهور المعارض)، الأمر الذي يستحق التوقف عنده لدراسة ما نجم عن "هذه المرحلة الجديدة والمثيرة بما يسمى البحث الجماهيري" (هول Hall 1980:131). بالإضافة إلى ذلك، فإن مساهمة دراسات الاستقبال الجماهيري، بعد مرور عدة عقودٍ من العمل النظري والدراسة التجريبية"، قد تتلخص في ثلاث نقاط أساسية - وكلاها يتعارض مع كل ما ذكرناه من قبل (ليفينجستون Livingstone 2008).

أولاً: كشفت الدراسات الخاصة بالاستقبال الجماهيري أنه قد لا يمكن التكهن بقراءات الجماهير من معرفة النص فقط، الأمر الذي يُقوض سُلطة المحلل في افتراض معنى مستتر بأي نص إعلاميّ من خلال توضيح الحقيقة التي مفادها أن القراء التجريبيين لا يعكسون غالبًا توقعات القراء النموذجيين أو الضمنيين - وبعيدًا عن ذلك، فإنهم قد يكونون متلاعبين أو نقديين أو مبدعين أو متناقضين (ليبيز Liebes وكاتز Katz 1993). ثانيًا، فإن هذه الاستكشافات الاثنوغرافية والثقافية للجماهير التجريبية التي - بعيدًا عن تمهيد الطريق لتعدد المعاني غير المقيد أو المقاومة المتطرفة - تؤكد على وجود التفسير بسياقات اجتماعية وهيكلية محددة والتي بالرغم من ذلك، من شأنها تفويض المزاعم كافة عن الإمبريالية الإعلامية والأفكار السائدة بجانب التيارات المعارضة و"العولمة المحلية"

(توملينسون 1999 Tomlinson). علاوةً على ذلك، فقد علّق مورلي بطريقة لاذعة قائلاً:" أن هذه النماذج من الأنشطة الجماهيرية لم تكن...مصممة... لتجعلنا ننسى قضية سلطة الإعلام ولكن لتجعلنا قادرين على تصورها بطريقة أكثر ملاءمة وتعقيدًا" (2006: 106). ثالثًا، فإن الاهتمام الشديد بتضمين الاستقبال الإعلامي بالحياة اليومية لا يحدد السلطة الإنتاجية للتطابق الاجتماعي وأشكال التباين المنظم فحسب، ولكنه يحدد أيضًا الأساليب التي من شأنها إعادة تشكيل وتوسط النصوص الإعلامية ووسائل التكنولوجيا من خلال عمليات الوساطة العارضة التي تنشر مدى الاعتراض على الجماهير السلبية والآثار الإعلامية الشديدة.

تهتم هذه النقاط الثلاث، من حيث الجوهر، بالدور الذي يلعبه الجمهور في صناعة المعنى وصياغة أهمية السياق، وربما الوكالة. وتتلاقى هذه النقاط جميعًا بمفهوم ريتشارد جونسون Richard Johnson (1986) "دائرة الثقافة" أو ما صاغه آخرون مؤخرًا بشأن نظريات الوساطة أو من الناحية التاريخية نظرية التحكم الإعلامي (انظر ما ذكره كروتز 2007 Krotz). وبهذه الطريقة، تساهم دراسات الاستقبال الجماهيري في فهم أهمية عمليات التفسير اليومية، ومن ثم الربط بين الباحثين الجماهيريين ومجموعة من فروع المعرفة - مثل: القدرة المدنية للجماهير (كالمواطنين أو العامة) على الاندماج في المجال العام المتوسط (انظر بوتش 2000 Butsch؛ داهلجرين 2003 Dahlgren؛ ليفينجستون Livingstone وآخرين 2007)؛ والتوازن المتعارض بين التصورات الإبداعية والمسلعة للجماهير (كالعملاء أو الأسواق أو المنتجين (برونز 2008 Bruns)؛ والمساهمة اليومية للشعب والممارسات الإعلامية المحلية بعمليات العولمة والتدفقات العالمية (كما يصفها الجماهير بالمجتمعات سواء العالمية أو المحلية (أكسوي Aksoy وروبينز 2000 Robins؛ جورجيو 2001 Georgiou؛ دايان 2005 Dayan).

وبالطبع، فإن هذه المناظرات ما زالت قائمة، بحيث لا تحتاج هذه النقاط الخاصة بدراسات الاستقبال الجماهيري للارتباط بالسياق المتوسط/ الاجتماعيّ. وفي الوقت ذاته، طُرحت أيضًا المزيد من الأسئلة الملحة. علاوةً على ذلك، فقد تحولت علاقة الناس

بالإعلام من هيمنة وسيطٍ واحد، وهو التليفزيون، لتشمل عدد متنوع من وسائل التكنولوجيا الأخرى التي تميز البيئة الإعلامية الجديدة، الأمر الذي فرّق جماهير أبيركرومبي Abercrombie ولونجهيرست Longhurst (1998) إلى حد أنه لم يعد منطقيًا السؤال عما إذا (أو متى) أصبح الناس بالفعل جزءًا من الجمهور، عندما يكون من المفيد التركيز على جماهيريتهم فحسب. ومن المهم أيضًا التمييز بين الاتصال الجماهيري والاتصال المتبادل بين الأشخاص بعالمٍ يشتمل على الكثير من أشكال الاتصالات الشبكية المعقدة والمختلطة ، أو شبه المختلطة، أو الاتصالات من نوع P2P بالإضافة إلى الاتصالات المألوفة متعددة الأطراف أو الأحادية التي تميز الأبحاث التي أُجريت عن الاتصالات الجماهيرية أو الاتصالات المتبادلة بين الأشخاص. وإذا كانت هذه التحولات قد حدثت على مدار عشرات السنين، فإنه لم تطرأ أي تغيرات جذرية مع ظهور الإنترنت الجماهيري والتي قد تدفعنا أكثر نحو هذه الاستمرارية المفاهيمية، كما سوف يلي.

الاستمرارية المفاهيمية

> *"بينما يرتب المتحدث أو الكاتب أفكاره في كلمات، فإنه يسمع صدى هذه الكلمات يتردد بينه وبين نفسه، ومن ثم يتبع أفكاره الخاصة، كما لو كان شخصًا آخر. وعلى النقيض، يُكرر المستمع أو القارئ الكلمات التي يسمعها بينه وبين نفسه ومن ثم يفهمها جيدًا، كما لو كان شخصين."*
>
> *(أونج Ong 1962، فيرويل Farrell وسوكاب Soukup 2002: 29)*

إن ذخيرة المفاهيم، التي يطورها الباحثون الجماهيريون لدراسة تصور الناس عن التليفزيون ووسائل الإعلام الأخرى، تحمل في طياتها مجموعة من الاعتبارات الأخرى التي يعمل عليها النظريون عند تحليلهم للاستخدام الرقميّ والتفاعليّ للمعلومات. ويُذكرنا هؤلاء المستخدمون، كباحثين جماهيريين، بموضوعاتٍ ذات صلة؛ وفي الوقت ذاته، فإن المستخدم الضمنيّ يشبه الجماهير والقراء النموذجيين؛ وتوازي علامات الوصلات والعُقد تعدد المعاني الذي تحمله الشفرات التليفزيونية؛ وتشبه والإمكانيات

التكنولوجية القراءات المتميزة؛ وتنتشر مجتمعات الممارسة في المجتمعات التفسيرية؛ وساعد خلط الثقافات على انتشار القراء المتلاعبين والمعارضين؛ أما بالسياقات الإعلامية القديمة والجديدة، فساعدت مفاهيم النوع الفني في تنظيم النصوص وممارسات الاستخدام/ أو القراءة. وعلى سبيل المثال، عندما ناقش ستيف وولجار Steve Woolgar (1996)، كونه أحد علماء الاجتماع بالمعرفة العلمية، مفهوم "نصية النتاج الاصطناعيّ" بالإضافة إلى المستخدمين "المفضلين" و"الضمنيين" لتكنولوجيا المعلومات، اكتشف كثير من التوازيات عند تحليله للأنواع الفنية والنصوص الإعلامية والقراء الضمنيين والمفضلين، وجاء ذلك أيضًا وفقًا لمناظرات العالم النظريّ ولفجانج ايزر Wolfgang Iser (1974) ثم المشاهدين الفعليين والضمنيين لوسائل الإعلام السمعية والبصرية (ليفينجستون Livingstone 1998). وبالتالي، فقد أعاد عدد من الباحثين استخدام المفاهيم القديمة وقاموا بتطويرها في ظل هذا العصر الإعلاميّ الرقميّ. علاوةً على ذلك، فقد عاد بعض الباحثين بذاكرتهم إلى عصر الإعلام السمعي والبصريّ بينما عاد آخرون إلى عصر الطباعة وما أبعد من ذلك، لإعادة النظر بعين الاعتبار إلى تحليل الاتصال الشفهي المباشر بالعصور الراهنة.

وفي محاولةٍ لتجاوز الذخيرة المفاهيمية لتحليل الاستقبال الجماهيري إلى دراسة استخدام الإعلام الجديد، فإننا نقترح التركيز على الواجهة البينية التفسيرية بين النصوص والقراء إلى جانب مجموعة من المقارنات (بناءً على بعض الأصول المعرفية) كما يلي. بالإضافة إلى ذلك، فإن دراسة العلاقة بين الدراسات الثقافية والجماهير تبدأ من اللحظتين الأولتين بدائرة الثقافية والتي ركز عليها الباحث ستوارت هول Stuart Hall (1980)، وهما: التشفير/ وفك التشفير. وتولي هذه الدراسة الأهمية للرموز والتشفير باعتبارها إحدى العمليات المتضمنة بالظروف المادية والتي ينشأ عنها سلسلة من إنتاج وإعادة إنتاج المعنى . وقد استخدم بعض الباحثين بمجال دراسات الاستقبال الجماهيري هذا الزوج: النص/ القارئ (أو بالدراسات الفنية أو النظريات السينمائية، النص/ المشاهد)، بالرغم من تركيز التحليل من الناحية العملية على النصوص والقراء الضمنيين أي النموذجيين

أكثر من القراء التجريبيين (انظر هولاند 1975 Holland؛ استيجر 2005 Staiger). وقد تأثرت الدراسات السابقة إلى حد كبير بالسينما والدراسات الثقافية ذات الأبعاد الاختصاصية (السائدة والمعارضة) للوساطة بينما ركزت الدراسات الأدبية أكثر على القضايا النصية (النصية البينية والخارجية) وكذلك الجودة النصية (الثقافة الراقية في مقابل الثقافة المتدنية) والنوع. علاوةً على ذلك، فقد اشتمل مفهوم الجماهير على نصف هذه المصطلحات الثنائية أو المزدوجة كالتشفير والقراءة والمشاهدة وغيرها. وكما زعم الباحثون من قبل (ليفينجستون Livingstone، 1998)، فإن "واقعية" الجمهور تعد أمرًا مضللاً (كما كتب آنج Ang بكتابه "Desperately Seeking the Audience " 1991) حيث يُنظر لهذا المصطلح باعتباره اختزالاً للأفعال التي ترمز إلى عمليات الاتصال التكنولوجية/ أو النصية التي تربط الأشخاص بعضهم ببعض.

وبالرغم من ذلك، فإن هذه الأزواج قد تتماثل بدراسات العلوم والتكنولوجيا مع المستخدم/ إمكانيات الاستخدام وبدراسات الاستهلاك المادي مع مصطلح الإنتاج/ التخصيص، حيث يُطبق كلا المصطلحين الآن بمجال الدراسات الإعلامية الرقمية. علاوةً على ذلك، فإن الافتراضات المتداولة عن الحتمية التكنولوجية والعملاء المجهولين، كما بالدراسات الجماهيرية، التي تدرك أهمية العلاقات التفسيرية بين النص والقارئ والافتراضات بشأن الآثار الإعلامية القوية والجماهير الضعيفة، في كلتا الحالتين، فإنها ترفض الاحتفال الساذج بالوكالة. ووفقًا لما ذكره إيان هاتشبي Ian Hutchby "فإن إمكانيات الاستخدام ذات جوانب عقلانية ووظيفية والتي من شأنها تشكيل إمكانيات الفعل التوكيلي" (2001:44). أو كما يقول ووجلار Woolgar ، تذكيرًا بما كتبه هول Hall عن القراءة المفضلة (أو المفهوم الأدبي السابق عن الخطاب المقصود من الرسالة) "إن سمات معينة بتركيب وتصميم النتاج الاصطناعي من شأنها زيادة التأويلات والاستخدامات مقارنةً بغيرها. وفي مجال التحليل النصيّ، بشكل خاص، قد يدرك المرء أنواع القراء المتضمنين بهذا النص" (1960: 580) ومن ثم، تعتمد المفاهيم الخاصة بالمستخدم النموذجي على تصميم النتاج الاصطناعيّ الفنيّ" (581). ويبدو هذا الأمر

مثيرًا للاهتمام عندما نحاول الآن تحليل أداء الناس (أو المستخدمين) في بيئة P2P – حيث يتعاونون في إعادة كتابة النصوص التي يجتازونها. ومما لا يثير الدهشة، أنه نظرًا لتاريخ الدراسات عن الاستقبال الجماهيري، فإننا نؤيد هذا التحليل كونه يشتمل على بحثٍ تجريبيَ.

وأخيرًا، فإننا نلاحظ زوجًا آخر من عالم الدراسات التعليمية والمعلوماتية والذي تأسس منذ عدة قرون (لوك Luke 1989) ألا وهو: الكتابة وسهولة القراءة. وبالرغم من ظهوره حديثًا بعصر النصوص التشعبية والإعلام الشبكيّ، إلا أن المتطلبات المتنوعة للكتابة ذات الواجهات الإعلامية المختلفة – شفهية أو مطبوعة أو سمعية بصرية أو مرتبطة بشبكة الإنترنت – كانت مثيرة للجدل (فاريل Farrell وسوكاب Soukup 2002) منذ ظهور أول زوج اتصالي (المتكلم/ المستمع)، والذي نشأت منه نظرية الاتصالات كما أعاد العلماء النظريون استخدامه ثانيةً خلال عصر إعادة اكتشاف الاتصالات من نوع P2P (جوفمان Goffman 1981؛ كريس Kress 2003). وفيما يتعلق بأنماط الاتصالات كافة، سواء توسطتها تكنولوجيا الاتصالات أو إمكانية استخدام الجسم البشريّ (جينسن Jensen 2010)، فإن مفهوم الكتابة يدفعنا إلى التساؤل: ما الذي يُطبقه القارئ أو المستخدم (أو المستمع) خلال عملية التفسير وما هي القدرات (التي تعزز الكتابة لديهم) وإمكانيات سهولة القراءة (كما في ظل البيئة الإعلامية) التي من شأنها تعزيز الكتابة؟

وفيما يتعلق بهذه الأزواج، نجد أن مفهوم الكتابة يشتمل ضمنيًا على نصٍ للقراءة وطرح الأسئلة – عن التفسيرات المحتملة، والمعرفة المتوقعة، والإمكانيات المشتملة. وقد تكون هذه الحالة معكوسة- فكلما النص أو البيئة الإعلامية أكثر تعقيدًا، وخاصةً إذا كانت "غير مقروءة" (أو من الصعب قراءتها أو فك شفرتها)، كانت مهمة الكتابة الإعلامية أعظم. وفي هذا السياق، يجب النظر إلى الكثير من الوجهات الإعلامية الرقمية الجديدة باعتبارها غير مقروءة (أي رديئة التصميم أو صعبة الاستخدام أو مبهمة أو مضللة)؛ وبمجرد تطور الكتابة وإعادة تصميم النص/ التكنولوجيا بصورة أكثر استجابة، تحقق الكتابة توازنًا ملحوظًا حينئذٍ. بالإضافة إلى ذلك، فإن التركيز على سهولة القراءة، بجانب

التسليم بالجانب الثقافي والتاريخي لعملية الكتابة، لا يعد ببساطة مسألة فردية (اسكريبنر Scribner وكولي Cole 1973؛ سنيدر Snyder 2001)، ولكنه أساس أي منظور نقدي يتعلق بالبحث الجماهيريّ.

في الواقع، منذ تطبيق مفهوم الكتابة بجميع أنماط الاتصالات، فقد أصبح أكثر المفاهيم السياسية جدلاً مقارنةً بمفاهيم الجماهير والقراء والمستخدمين. بالإضافة إلى ذلك، نجد أن مفهوم الكتابة لطالما ارتبط بسياسة التحرر (أي فيما يتعلق بالإجحاف الذي سببه مفهوم الجهل، في الوقت الذي لا يعد فيه الانتماء إلى الجمهور أمرًا على درجة كبيرة من الأهمية). والآن، أصبحت المعرفة والمشاركة والمواطنة والمقاومة وحق تقرير المصير وغيرها أمورًا ذات أهمية بالغة (ليفينجستون Livingstone 2009)، كما أصبحت المعيارية التي يشتمل عليها مفهوم الكتابة مسألة ذات قيمة. واليوم، لم يعد الباحثون يسألون عما يعرفه أو يفهمه الناس فحسب فيما يتعلق ببيئة الإعلام الرقمي، ولكن عما ينبغي عليهم معرفته وفهمه وعمله أيضًا، وعمن يتحمل المسئولية في حالة عدم قيامهم بذلك.

والجدير بالذكر أن كل مما سبق يرفض هذه الأزواج التقليدية بمجال البحث الإعلاميّ والاتصالات، كالحافز والاستجابة مثلاً. وبالرغم من استمرار ظهورها بالأبحاث الإعلامية السيكولوجية التقليدية، إلا أنها تتلافى أي مفهوم للتفسير - فمع وجود الحافز، لا نجد أية إشارة سينمائية وبالتالي، تصبح الاستجابة عارضة وفقًا للظروف، وليس وفقًا للمعنى (ليفينجستون Livingstone 1998). علاوةً على ذلك، فإننا نؤكد على أوجه التشابه الملحوظة من حيث العلاقات المشتركة بمختلف المجالات. وتشكل كل منها مفهومًا مزدوجًا حيث يعمل كل عنصر بهذا الزوج على تعريف وتشكيل وتقييد العنصر الآخر في محاولةٍ للاحتفاظ بالمعنى. بالإضافة إلى ذلك، نجد أن كل زوجٍ يميز "العقد" التفسيري الذي يربط العناصر بعضها ببعض - كالنص والقارئ مثلاً، حيث يتحدد كلاهما من حيث "التوقعات" التي يحملها أحدهما تجاه الآخر ولا يُعطي معنى بدونها. فلننظر إلى المسرحيات التليفزيونية ومشاهديها، على سبيل المثال، نجد أن المشاهدين يفهمون المعنى الشامل للنص - فمثلاً إذا نظرنا إلى مسلسلات المغامرات التي

يكتنفها الغموض حتى النهاية، نجد أنها تُمتع المشاهدين ولا تحبطهم (بالرغم من أنها قد تثير إحباط المشاهد المبتدئ بالفعل كما يحدث في نهاية الدراما البوليسية) نظرًا لوجود ثغرة تملؤها تفسيرات القراء، سواء بصفة فردية أو جماعية، قبل الانتقال إلى الحلقة التالية. وإذا نظرنا أيضًا إلى مواقع التواصل الاجتماعي ومستخدميها مثلاً، نجد أن المعنى الشامل للنص يفهمه أيضًا المستخدمون الذين لا يتخلون عن أعراف الخصوصية ولكنهم يعيدون تصنيف أصدقاءهم وصورهم وخبراتهم، بخلاف غير المستخدمين، وفقًا لأدواتهم المعروضة للتوزيع والعرض ومن ثم، توفير تغذية راجعة على الفور والتي يتكيف الموقع من خلالها مع الأدوات المعروضة.

التاريخ القصير والماضي الطويل للجماهير

وفقًا لما ذكره عالم النفس المخضرم هيرمان إبنجهاوس Herman Ebbinghaus (1908) عن علم النفس منذ مائة عام، فإنه " ذو ماضٍ طويل ولكنه تاريخ قصير". أو بعبارة أخرى، فإن التاريخ الرسمي لهذا الفرع من المعرفة لم يحظ بماضٍ طويل من التفكير أو وضع النظريات أو الدراسة. بالنسبة للجماهير، لم يُكتشف هذا العلم خلال فترة الثمانينيات من القرن العشرين، بالرغم من المرحلة الجديدة المثيرة للبحث التي بدأها الباحث ستوارت هول Stuart Hall. ولم تظهر أيضًا أهمية التليفزيون خلال فترة الخمسينيات من القرن العشرين ما بعد الحرب، حيث الاحتفال بالأسرة النواة (أو الأسرة الأولية التي تتكون من أبوين وأطفالهما) (بالرغم مما ذكرته استيفاني كونتز Stephanie Coontz (1997) من أن الأسرة خلال فترة الخمسينيات قد ساعدت في تشكيل القيم الأكاديمية والشعبية التي تتعلق بالألفة والانتماء). ولم تكن أيضًا دراسات باين فوند Payne Fund تمثل بداية الجماهير بالرغم من أن تاريخ تحليلها نادرًا ما يعود إلى الوراء إلى أبعد من ذلك. وبالأحرى، ووفقًا لما أظهره تاريخ ريتشارد بوتشن Richard Butschn (2000)، نجد أن الماضي الطويل للجماهير قد يضاهي تاريخ الاتصالات البشرية ذاته، ولا سيما في الفترة التي سبقت الإعلام الجماهيري. علاوةً على ذلك، فإن أقدمية وتنوع الأشكال التي تميز هذا التاريخ، قد أظهرت زيف التاريخ الحالي – بمعنى أن الإنترنت لم

تعد تقضي على الجماهير أكثر مما يفعله التليفزيون في إحلاله محل القراءة أو السينما في تدمير فن المحادثة. وبالتالي، فإن تغيير الظروف الاجتماعية والتكنولوجية قد ساعد على تطور السياقات التي يتشارك خلالها الجمهور مع وسائل الإعلام، ومن ثم نشر المزاعم الجديدة حول حالة وأهمية الجمهور.

في الوقت الحالي، فقد انتشرت لغة المستخدمين والجماهير، بالرغم من ذلك، مما دفعنا إلى ملاحظة الحقيقة التي مفادها أن إحدى المزايا التي جلبتها شرعية دراسات الاستقبال الجماهيريّ للجيل الجديد تكمن في تلافي تكرار الأخطاء القديمة. بالإضافة إلى ذلك، فقد تطورت نظرية الاستقبال الجماهيري أساسًا لمجابهة اختزال الجماهير في المستخدمين الإعلاميين (كما في النظرية الوظائفية للمستخدمين وإرضائهم (بلومر Blumer وكاتز Katz 1974). وبالرغم من ذلك، فإننا ننزع من الناحية البرجماتية إلى استخدام المصطلحين "استخدام" و "مستخدم"، بينما نصر من الناحية التحليلية على كونهما تبسيطًا جائرًا يفتقد بُعدين حيويين من الجماهير التي تستحق الملاحظة بالفعل في العصر الرقمي. أولاً، بالرغم من الانتشار الملحوظ للنصوص والعملية النصية، بالصياغة المزدوجة للعملية الإعلامية وعملية الاتصالات، نجد أن مفهوم "استخدام" لا ينظم أي نصوص بل يُنظم الأغراض. أو بعبارة أخرى، يستخدم الناس الأغراض للقيام بشيء ما، نعم بالطبع، ولكنهم يُفسرون النصوص ومن ثم يقومون بتغيير النص وتغيير أنفسهم على الفور – أو كما يقول إيسر Iser: "بينما يجتاز القارئ المنظورات المتنوعة التي ينطوي عليها النص، ويربط الآراء والأنماط المختلفة بعضها ببعض، فإنه يجعل العمل كله في حالة من الحركة، وكذلك يجعل نفسه أيضًا في حالة حركة" (1947: 106). ثانيًا، يُنظر للمستخدمين على أنهم منفردون، وبالرغم من إمكانية تجميعهم، إلا أنهم لا يملكون المؤهلات التي يمتلكها "الجمهور" (وبدائله المتغايرة مثل: العامة أو الجمهور أو الحشد أو السوق). وبالتالي، فإن خصائص الجماعات (التي لا يمكن التنبؤ بها غالبًا) وأية سُلطة تتمتع بها تضيع عند مستوى فردي من التحليل.

قد يُثير ابتذال مفهوم الاستخدام ذاته الافتراض بعدم الحاجة إلى دراسة المستخدمين من الناحية التجريبية. ومما لا شك فيه أن هناك عددًا هائلاً من الدراسات الوصفية التي

من شأنها التخطيط لطبيعة استخدامات الإعلام الرقمي. وهناك أيضًا مجموعة من الدراسات تتبع أهمية مثل هذا الاستخدام بعدد من الميادين المتنوعة (مثل: التعليم والحياة الأسرية والعلاقات الحميمية والمشاركات السياسية وغيرها). ولكن مما يثير الدهشة، وجود عدد ضئيل من الدراسات التي تناولت الحديث عن عمليات صناعة المعنى. وعلى نحو غريب، نجد أنه كلما زاد استخدام الباحثين لتفاعل الناس مع أجهزة التليفزيون في نطاق اجتماعي أوسع، قل تقديرهم لتعقيدات التفاعل مع ما يشاهدونه على هذه الشاشات (ليفينجستون Livingstone 2007). أما من حيث الصياغة المزدوجة لسيلفرستون Silverstine بالنسبة للإعلام والاتصالات، فقد حلت المادة محل الرموز السينمائية مخلفة وراءها صياغة واحدة فقط للسلطة وعملية مفتوحة ومن ثم، بحث نقدي أضعف.

أما فيما يتعلق بواضعي نظريات الشاشة وعلماء الاقتصاد السياسيّ وأصحاب القرارت السياسية، فإننا أصبحنا نتعامل مع الادعاءات البديهية بشأن ما يفعله أو يفكر به أو يفهمه الناس (الجماهير أو المستخدمون) بشأن الإعلام الجديد. فهل نسينا سريعًا أن تفسير المحلل للنص (أو اللعبة أو صفحة الويب أو موقع التواصل الاجتماعي) قد لا يتوافق مع تفسير المستخدم وأن فك شفرات المعنى يعتمد دائمًا على السياق؟ ويعتمد منظور الجمهور على تضمين الخبرة الظاهرية للمعيشة بمجتمع وسطي، ولا يتعلق هذا الأمر إطلاقًا بالعمل التجريبي مع الناس كونهم جماهيرًا.

نجد أن هذه المناظرات لا تمثل سوى تاريخًا قصيرًا بالبحث الإعلاميّ. ماذا عن الماضي البعيد؟ في جدول 6-1، حددنا أربع لحظات مختلفة من الوساطة التي لا تشير إلى الاستمرارية والتغير فحسب، بل تشير أيضًا إلى المنعطفات العارضة والحاسمة. وعندما يكون التغير النسقي مميزًا وجديدًا (بالرغم من تعدد الشكليات بكثير من النصوص المطبوعة والطبيعة الموحدة ووجهات التواصل غير المعدودة)، فإن التغير بالعلاقات الاجتماعية يعكس منعطفًا بالعصر الرقميّ الذي يسبق عصر البث الجماهيريّ. وبالتالي، تبدو الاتصالات عبر شبكة الإنترنت متميزة فقط عند مخاطبة الجماهير المتخصصة مقارنةً بالإعلام الجماهيري فيما بعد، ولكن هذه القصة بعيدة تمامًا عن التاريخ الطويل للاتصالات.

وبعبارة أخرى، كان ذلك قبل حوالي 50 عامًا عندما تطلب الأمر تفسيرًا مميزًا في هذا الشأن (كاتز Katz واسكانيل Scannell 2009).

جدول 6-1 الثقافات المتطورة للاتصالات

البُعد	الشفهيّ	الطباعيّ	الإذاعيّ	المتعلق بالشبكة
الزوج التفسيري (الاتصال عبر واجهات التواصل)	المتحدث/ المستمع	النص/ القارئ	التشفير/ فك الشفرة	إمكانيات الاستخدام/ المستخدم
الشكلية (بالنسبة للنص/ التكنولوجيا)	متعدد/ محدد	أحادي	سمعي/ بصري	متعدد/ بعيد
التركيب (بالنسبة للرسالة)	طولي	طولي	طولي	ذو نصوص تشعبية
العلاقات الاجتماعية (بين القراء/ المستخدمين)	المكان/ موقع مشترك	المكان/ متفرق	الجمهور	المكان والجمهور
متطلبات الكتابة (بالنسبة للقارئ/ المستخدم)	متدنية	عالية	متدنية	عالية
الأسماء الجماعية (بالنسبة للأشخاص المتضمنة بعملية التواصل	المجتمع؛ الحشد؛ العامة	المواطنون؛ العامة؛ مجموعة القراء	الجمهور؛ السوق؛ الجماهير	العملاء؛ المواطنون؛ المستخدمون

وبالرغم من ذلك، يعتبر الإعلام عبر شبكة الإنترنت أكثر تعقيدًا من حيث الشكلية وسهولة القراءة مقارنةً بالأشكال السابقة للاتصالات - من حيث المعايير المفضلة بهذا التحليل، حيث يقدم أقوى مجموعة من إمكانيات التواصل بالتاريخ البشريّ. أما بالنسبة للاتصالات الشفهية، فإن اعتماد الاتصالات المذاعة على أنماط الاتصالات السمعية البصرية قد ساعد في جعلها سهلة المنال. وبالفعل، فقد تجاوزت متطلبات الكتابة بالبيئة

الإعلامية المعقدة بالوقت الحالي تلك المتطلبات التي شهدها عصر الطباعة وعصر البث الإذاعيّ (الراديو والتليفزيون). ويتطلب ذلك بذل جهودٍ جديدة لزيادة ودعم عملية الكتابة – من الدولة، والمجتمع المدنيّ، ووسائل الإعلام ذاتها. وخلال القرن الثامن عشر، نجد أن نشأة المدرسة (لوك Luke 1989) قد ساعدت على انتشار الكتابة الجماهيرية، أما خلال القرن الحادي والعشرين، نجد أن الكتابة الرقمية قد تطلبت مجددًا بذل جهود مؤسسية شديدة، وقد دعمتها الجوانب المعيارية بالأكاديمية هذه المرة (هوبز Hobbs، 2010). وبدون بذل هذه الجهود المؤسسية– شأنها في ذلك شأن الطباعة والكتابة الشفهية أو السمعية البصرية إلى حد ما – لوجدنا أن الكتابة تساعد في نشر وتعميم الظلم الاجتماعيّ.

والجدير بالذكر أن جدول 6-1 يكشف عن فترات الاستمرار والتحول على مر ظروف التواصل المختلفة عبر المكان والزمان من حيث الإمكانيات التكنولوجية والمحادثات النصية وتطبيقات الاستخدام. وبالرغم من تميز كل مجموعة من الظروف بسياقها الخاص، إلا أنه يمكن صياغتها جميعًا من حيث علاقات تبادل وتأسيس المعنى، التي تتسم بشيء من التعقيد، بين المترجم والمادة المراد ترجمتها. وكما أكدنا من قبل، فإنه يمكن صياغة هذه الظروف من حيث النصوص والقراء، والإمكانيات والتخصص، وسهولة القراءة والكتابة، ووسائل التكنولوجيا والاستخدام. يُذكَر أن كل عنصر بهذه الأزواج يُحدد ويُشكل ويُقيد الآخر. وبالتالي، نظرًا للعلاقة المستمرة بين المفاهيم التحليلية في ظل دراسات الاستقبال بعصر وسائل الإعلام الشبكية، فإننا نفترض، في هذا الفصل من الكتاب، أن تحمل هذه الذخيرة المفاهيمية الكثير من الوعود بالنسبة للدراسة التجريبية عن مشاركة الناس بالأشكال المتنوعة من وسائل الإعلام الجديد. ويكمن أحد الأسباب وراء دفعنا بنشر مفاهيم دراسات الاستقبال في الحقيقة التي مفادها أن المزاعم بشأن "المستخدمين" – في ظل مجال الإعلام والاتصالات (ولا سيما بالدراسات عن الكتابة والتعليم، وأنظمة المعلومات، والتفاعل بين الإنسان والكمبيوتر، وعلم التحكم الآلي، وعبر العلوم الاجتماعية) – تعد مزاعم تأملية أو تعتمد على البحوث الوصفية أكثر من البحوث النقدية أو النظرية.

وبالرغم من ذلك، فإن فترات التحول هي التي جذبت مزيدًا من الاهتمام أثناء المناظرات الفكرية والعامة خلال الفترة التي اكتنفت الانتقال من الجماهير إلى المستخدمين، أو الانتقال من وسائل الإعلام الجماهيري إلى وسائل الإعلام المتقاربة. ولفهم هذه التغيرات، نجد أن هناك الكثير من المعلومات التي يجب أن يتعلمها مجال الإعلام والاتصالات من المجالات الأخرى ولاسيما من حيث تقديم تفسير نظري للمستخدمين بطريقة أو بأخرى. ونجد أن الدراسات الأدبية، على سبيل المثال، تُركز بشدة على بعض القضايا مثل: العملية النصية، وعملية الرؤية، والتأليف، والتعلم، والكتابة، في حين تقوم أنظمة المعلومات بإلقاء الضوء على الإجراءات التنظيمية، والبرامج الإلكترونية، وأجهزة الكمبيوتر، ومعالجة البيانات، والتفاعل بين الإنسان والكمبيوتر حيث ركزت على التبادل القائم بين واجهة المستخدم والواجهة التقنية، مع ملاحظة المشكلات والأخطاء والمتناقضات. ومما يثير الاهتمام أن هذه الميادين - بخلاف الاتجاه السائد نحو الجماهير في ظل مجال الإعلام والاتصالات- لم تُهمش أو يحط من أهمية القراء أو المستخدمين. وبالرغم من ذلك، فإننا نستخلص من الأبحاث، التي أُجريت بمجال الإعلام والاتصالات، التحليل المتطور للثقافات والثقافات الفرعية وللسلطة (فيما يتعلق بالنوع الاجتماعي والعرق وأشكال التمييز الأخرى) والاقتصاد السياسيّ للمؤسسات والشبكات الإعلامية وغيرها. في الواقع، يُنظر للإعلام والاتصالات على أنهما أكثر من مجرد ميدانين حيث يؤكدان على أهمية الاستجابات غير المتوقعة والتفسيرات المتباينة، للجماهير (بجميع أشكالهم)، والتي تُركز بدورها على الدراسة الدقيقة لسياقات معينة يتشارك خلالها الجمهور مع وسائل الإعلام.

الخاتمة

"إننا نتطلع إلى أن نتتبع أو نغير من قراراتنا، أو نُتوقع، ونُصدم لعدم تحقيقها، أو نتساءل، أو نتأمل، أو نقبل، أو نرفض؛ وهذه هي العملية الديناميكية للتجديد. وهناك عاملان أساسيان يقومان بتوجيه هذه العملية داخل حدود النص: الأول: ذخيرة الأنماط (الأدبية) المألوفة والموضوعات (الأدبية) المتواترة ...؛ والثاني: التقنيات والاستراتيجيات

المستخدمة في تنظيم كل ما هو مألوف في مقابل كل ما هو غير مألوف." (إيسر Iser، The Implied Reader، 1974: 289).

وفي مواجهة التغير الجذريّ بالبيئة الإعلامية، نجد أن هذا الفصل من الكتاب يدفع بالحاجة المستمرة إلى وجود نظرية - والصلاحية المستمرة لهذه النظرية التي من شأنها تطوير استقبال جماهير التليفزيون - لفهم الطريقة التي يتفاعل بها الجمهور من حيث التشويق أو الاختيار أو العادة وكذلك من حيث المصطلحات السيميائية، سواء كانت مقبولة أو إبداعية أو نقدية، بجانب النصوص الإعلامية الحديثة أو القديمة. وسوف يفيد هذا الأمر جيل الباحثين الحاليين بمجال الإعلام الجديد لتلافي الأخطاء التي اقترفها من سبقهم من الباحثين بمجال الإعلام القديم. علاوةً على ذلك، يقوم الباحثون اليوم بالتصدي لبعض المشكلات المألوفة، حيث تواجه الأبحاث خطر الاحتفال بالمفهوم المتطرف للوكالة. وما زال الباحثون يناضلون من أجل إبقاء تفاعل المستخدمين مع النصوص على الشاشة والسياقات الاجتماعية بالعالم الحقيقي والتي من شأنها تشكيل هذا التفاعل. بالإضافة إلى ذلك، فإننا نشهد عودة النص التأكيدي المغلق (ومُحلل النص) متغافلين عن الحقيقة التي مفادها أن النصوص (سواء المرتبطة بشبكة الإنترنت أو غيرها) تخضع لعديد من التفسيرات، مما يخلف ثغرات يتعين على المستخدم ملؤها، ومن ثم فإنهم يفضلون القراءة التي من شأنها تشكيل استجابة المستخدم (بيربلز Burbules 1998).

علاوةً على ذلك، فهناك مهمة ملحة، ألا وهي مهمة التصدي للافتراضات الضمنية للشبكة العنكبوتية العالمية كونها نافذة تطل على العالم، والمواقع الإلكترونية التي ينتقل معناها مباشرةً من خلال الباحث، وعالم الإنترنت الذي يعرض الوجه ذاته أمام جميع الوافدين، حيث يُنظر لمواقع مثل: ماي سبيس My Space وويكيبيديا Wikipedia وسكند لايف Second Life على أنها لا تتعدى المعنى الواحد، بالرغم من أنها متعددة الاستخدامات. والجدير بالذكر أن النص المفرد قد وُضع إما للجماهير المتشابهة (الذين يستجيبون بالطريقة ذاتها) أو من يكون اختلافهم صفة مميزة أو الذي تفسره محددات اجتماعية (بمعنى أن كل شخص يستجيب بالأسلوب الذي تمليه عليه ظروفه). ولكن لا

يُسمح به بأنماط المشاركة المتباينة، حيث يتم إدراك المعنى ذاته من خلال عملية الترجمة فحسب – مثلما يتعامل قراء اليوم مع النصوص الرقمية (فورناس Fornas et al. وآخرون، 2002). وبالتالي، تكشف بضع دراسات فقط عن القراءات المتعددة للنصوص الرقمية، التي يتضمنها نص متعدد المعاني أو كما يراها المستخدمون التجريبيون. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض العلماء قد يقومون بعرض المحتوى، قبل ظهور دراسات الاستقبال الجماهيري، لتحليل الفراغات بشبكة الإنترنت دون الإشارة مطلقًا إلى الجماهير أو المستخدمين، كما يغضون الطرف عن الوكالة والسياق. وخلال هذه اللحظة، ندرك أننا قد تعلمنا الكثير من الجيل السابق بمجال الترجمة والاستقبال الجماهيري.

علاوةّ على ذلك، يعتبر هذا الفصل نتاج التبادل التفاعليّ الذي تطرق إليه أونج Ong في حديثه أعلاه. فقد سعى إلى الاحتفال بالمحادثات عبر أجيالٍ من العلماء الذين، وفقًا لإيسر Iser، ينظرون إلى الوراء ويتطلعون إلى الأمام باستمرار من إجل التكيف مع الوقت الحاضر، حيث يقومون بسرد أحداث الماضي بصورة منتظمة لاستباق ما سوف يكون. وبالتالي، فإننا قد أعدنا النظر مجددا إلى ذخيرة دراسات الاستقبال الجماهيري في محاولة لاكتشاف العلاقة المستمرة بين هذه المناظرات خلال عصر الإعلام الجديد. أولاً، أيدنا الإبقاء على العلاقة التركيبية بين النص والقارئ أو النص التفسيري حيث أثبت فعاليته بين فروع المعرفة المتباينة. إن استعارة النص– القارئ، ولا سيما في ظل نظرية الاستقبال – إيسر Iser، إيكو Eco) قد جلبت معها تيارًا من المفاهيم الأخرى التي تعد ذات قيمة بالغة بالنسبة لعصر الإنترنت – فيما يتعلق بالنصوص المفتوحة والمغلقة، وآفاق التطلعات، وملء الثغرات، والآراء المثيرة ومجتمعات التفسير. علاوةً على ذلك، بينما تبدو هذه الدراسة ذات تطلعات محدودة فيما يتعلق بدراسة المعنى بالنسبة للنص والقارئ، إلا أنها ترتبط أيضًا بمستوى تحليليّ موسع حيث تربط التركيب والوكالة بعلاقةٍ جدلية تنظر بعين الاعتبار إلى المصادر والقيود التي تشكل دائرة الثقافة في نطاق مجتمعٍ أوسع بأسلوبٍ لا يميز النصوص والقراء خلال دراسته النقدية بشأن توسُط العلاقات بين الناس على جميع المستويات على نحو متزايد. أو بالأحرى، تراعي هذه الدراسة العلاقة المستمرة بين

النصوص والقراء أو الجماهير في عالمنا اليوم، ومن ثم تدفع بأهمية استمرار العلماء في التعلم من الآراء السابقة من حيث التعرف عليها، وتقدير مشاركات واهتمامات المواطن العادي في ظل عصر الإنترنت الرقميّ.

المراجع

Abercrombie, N. and Longhurst, B. (1998) *Audiences: A Sociological Theory of Performance and Imagination*. London: Sage.

Aksoy, A. and Robins, K. (2000) "Thinking Across Spaces. Transnational Television from Turkey." *European Journal of Cultural Studies*, 3(3), 343-365.

Ang, I. (1991) *Desperately Seeking the Audience*. London and New York: Routledge.

Ang, I. (1996) *Living Room Wars: Rethinking Media Audiences for a Postmodern World*. London: Routledge.

Barjak, F., Lane, J., Poschen, M., et al. (2010) “E-infrastructure Adoption in the Social Sciences and the Humanities - Cross-National Evidence from the AVROSS Survey.” *Information, Communication & Society*, 13(5), 635-651.

Bird, E.S. (2009) “Not Dead Yet? Some Thoughts on the Future of Qualitative Audience Studies.” Keynote presentation at “Transforming Audiences,” University of Westminster, London (September).

Blumler, J.G. and Katz, E., eds. (1974) *The Uses of Mass Communications: Current Perspectives on Gratification Research*. Beverly Hills, CA: Sage.

Bolter, J.D. and Grusin, R. (1998) *Remediation: Understanding New Media*. Cambridge, MA: MIT Press.

Bruns, A. (2008) *Blogs, Wikipedia,* Second Life*, and Beyond: From Production to Produsage*. New York: Peter Lang.

Burbules, N. (1998) "Rhetorics of the Web: Hyperreading and Critical Literacy" in I. Snyder, ed., *Page to Screen: Taking Literacy into the Electronic Era*. London: Routledge, pp. 102-122.

Butsch, R. (2000) *The Making of American Audiences: From Stage to Television 1750-1990*. Cambridge: Cambridge University Press.

Coontz, S. (1997) *The WayWe Really Are: Coming to Terms with America’s Changing Families*. New York: Basic Books.

Dahlgren, P. (2003) “Reconfiguring Civic Culture in the New Media Milieu” in J. Corner and D. Pels, eds., *Media and the Restyling of Politics*. London: Sage, pp. 151-170.

Das, R. (2011) "Converging Perspectives in Audience Studies and Digital Literacies: Youthful Interpretations of an Online Genre." *European Journal of Communication*, 26(4), 343-360.

Das, R. (2012) "The Task of Interpretation." *Participations: The International Journal of Audience and Reception Studies*, 9(1), 2-25.

Dayan, D. (2005) "Mothers, Midwives and Abortionists: Genealogy, Obstetrics, Audiences and Publics" in S. Livingstone, ed., *Audiences and Publics: When Cultural Engagement Matters for the Public Sphere*. Bristol: Intellect Press, pp. 43-76.

Ebbinghaus, H. (1908) *Abriss der Psychology*. Vol. 1. Leipzig: Veit.

Eco, U. (1979) *The Role of the Reader: Explorations in the Semiotics of Texts*. Bloomington, IN: Indiana University Press.

Farrell, T.J. and Soukup, P.A., eds. (2002) *An Ong Reader: Challenges for Further Inquiry*. Cresskill, NJ: Hampton Press.

Fiske, J. (1992) “Audiencing: A Cultural Studies Approach to Watching Television.” *Poetics*, 21(4), 345-359.

Fornas, J., Klein, K., Ladendorf, M. et al. (2002) *Digital Borderlands: Cultural Studies of Identity and Interactivity on the Internet*. New York: Peter Lang.

Georgiou, M. (2001) “Crossing the Boundaries of the Ethnic Home: Media Consumption and Ethnic Identity Construction in the Public Space: The Case of the Cypriot Community Centre in North London.” *Gazette*, 63(4), 311-329.

Gillmor, D. (2006) *We the Media: Grassroots Journalism by the People, for the People*. Sebastopol, CA: O’Reilly Media. Goffman, E. (1981) *Forms of Talk*. Oxford: Blackwell.

Hall, S. (1980) “Encoding/Decoding” in S. Hall, D. Hobson, A. Lowe, and P. Willis, eds., *Culture, Media, Language*. London: Hutchinson, pp. 128-138.

Hartley, J. (2006) “ ‘Read thy Self’: Text, Audience, and Method in Cultural Studies” in M. White and J. Schwoch, eds., *Questions of Method in Cultural Studies*. Oxford: Blackwell, pp. 71-104.

Hobbs, R. (2010) *Digital and Media Literacy: A Plan of Action*. Washington, DC: The Aspen Institute John S. and James L. Knight Foundation.

Holland, N. (1975) *5 Readers Reading*. New Haven, CT: Yale University Press.

Hutchby, I. (2001) "Technologies, Texts and Affordances." *Sociology*, 35(2), 441-456.

Iser, W. (1974) *The Implied Reader*. Baltimore, MD: John Hopkins University Press.

Jenkins, H. (2003) “Quentin Tarantino’s Star Wars? Digital Cinema, Media

Convergence, and Participatory Culture" in D. Thorburn and H. Jenkins, eds., *Rethinking Media Change: The Aesthetics of Transition*. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 281-312.

Jenkins, H. (2006) *Convergence Culture: Where Old and New Media Collide*: New York: New York University Press.

Jensen, K.B. (2010) *Media Convergence: The Three Degrees of Network, Mass, and Interpersonal Communication*. London: Routledge.

Jermyn, D. and Holmes, S. (2006) "The Audience Is Dead; Long Live the Audience! Interactivity, 'Telephilia' and the Contemporary Television Audience." *Critical Studies in Television*, 1(1), 49-57

Johnson, R. (1986) "What Is Cultural Studies Anyway?" *Social Text*, 16, 38-80.

Katz, E. and Scannell, P. (2009) "The End of Television? Its Impact So Far," special issue of *Annals of the American Academy of Political and Social Science*, 625.

Katz, E., Peters, J.D., Liebes, T., and Orloff, A. (2003) "Editors' Introduction" in E. Katz, J.D.

Peters, T. Liebes, and A. Orloff, eds., *Canonic Texts in Media Research*. Cambridge: Polity, pp. 1-8.

Kim, W., Jeong, O.-R., and Lee, S.-W. (2010) "On Social Web Sites." *Information Systems*, 35(2), 215-236.

Kimmerle, J., Moskaliuk, J., Harrer, A., and Cress, U. (2010) "Visualizing Co-Evolution of Individual and Collective Knowledge." *Information, Communication & Society*, 13(8), 1099-1121.

Kress, G. (2003) *Literacy in the New Media Age*. London: Routledge.

Krotz, F. (2007) "The Meta-Process of 'Mediatization' as a Conceptual Frame." *Global Media and Communication*, 3(3), 256-260.

Liebes, T. and Katz, E. (1993) *The Export of Meaning: Cross-Cultural Readings of Dallas*. Cambridge: Polity.

Livingstone, S. (1998a) "Audience Research at the Crossroads: The 'Implied Audience' in Media and Cultural Theory." *European Journal of Cultural Studies*, 1(2), 193-217.

Livingstone, S. (1998b) "Relationships Between Media and Audiences: Prospects for Future Audience Reception Studies" in T. Liebes and J. Curran, eds., *Media, Ritual and Identity: Essays in Honor of Elihu Katz*. London: Routledge, pp. 237-255.

Livingstone, S. (2004) "The Challenge of Changing Audiences: Or, What is the Audience Researcher to Do in the Age of the Internet?" *European Journal of Communication*, 19(1), 75-86.

Livingstone, S. (2007) "On the Material and the Symbolic: Silverstone's

Double Articulation of Research Traditions in New Media Studies." *New Media & Society*, 9(1), 16-24.

Livingstone, S. (2008) "Engaging with Media - A Matter of Literacy?" *Communication*, *Culture & Critique*, 1(1), 51-62.

Livingstone, S. (2009) "On the Mediation of Everything. ICA Presidential address." *Journal of Communication*, 59(1), 1-18.

Livingstone, S., Couldry, N., and Markham, T. (2007) "Youthful Steps Towards Civic Participation: Does the Internet Help?" in B. Loader, ed., *Young Citizens in the Digital Age: Political Engagement, Young People and New Media*. London: Routledge, pp. 21-34.

Luke, C. (1989) *Pedagogy, Printing and Protestantism: The Discourse of Childhood*. Albany, NY: SUNY Press.

Morley, D. (2006) "Unanswered Questions in Audience Research." *Communication Review*, 9(2), 101-121.

Morris, M. (1988) "Banality in Cultural Studies." *Discourse*, 10(2), 3-29.

Orgad, S. (2012) *Media Representation and the Global Imagination*. Cambridge: Polity.

Paul, S. and Morris, M. (2011) "Sensemaking in Collaborative Web Search." *International Journal of Human-Computer Interaction*, 26(1&2), 72-122.

Rosen, J. (2006) "The People Formerly Known as the Audience." *The Huffington Post* (June 30). www.huffingtonpost.com/jay-rosen/the-people-formerly-known_1_b_24113.html.

Scribner, S. and Cole, M. (1973) "Cognitive Consequences of Formal and Informal Education." *Science*, 182(4112), 553-559.

Seaman, W.R. (1992) "Active Audience Theory: Pointless Populism." *Media, Culture & Society*, 14(2), 301-311.

Silverstone, R. (1994) *Television and Everyday Life*. London: Routledge.

Snyder, I. (2001) "A New Communication Order: Researching Literacy Practices in the Network Society." *Language and Education*, 15(2), 117-131.

Staiger, J. (2005) *Media Reception Studies*. New York: New York University Press.

Tomlinson, J. (1999) *Globalization and Culture*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Woolgar, S. (1996) "Technologies as Cultural Artifacts" in W.H. Dutton, ed., *Information and Communication Technologies: Visions and Realities*. Oxford: Oxford University Press, pp. 87-102.

الفصل السابع

ظهور الجيل التالي من مستخدمي الإنترنت

جرانت بلانك Grant Blank وويليام دوتون William H.Dutton

مقدمة

ظهرت الإنترنت منذ حوالي أربعين عامًا. ومنذ ذلك الحين، ارتبطت هذه العبارة "شبكة الشبكات" بشبكة الأربانت (ARPANET)، تحت رعاية وكالة مشاريع البحوث المتطورة (ARPA) التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية في أواخر فترة الستينات من القرن العشرين. لقد كانت نتاج خدمات وتطبيقات جديدة مثل: خدمة البريد الإلكتروني والويب وبرامج تصفح الإنترنت التي تُعيد اختراع الإنترنت بأساليب جديدة وبصفة مستمرة – مما يجعله متجددة للغاية في ظل وسائل الإعلام الجديد. وبعد تطور الويب وبرامج تصفح الإنترنت التي تشكل واجهة المستخدم الرسومية، أصبح الكمبيوتر

الدليل إلى ديناميكية الإعلام الجديد، الطبعة الأولى، منقحة على يد جون هارتلي "John Hartley" و جين بورجس "Jean Burgess" و أكسيل برونز"Axel Bruns".© شركة بلاكويل المحدودة للنشر 2013 "Blackwell Publishing Ltd". نُشرت شركة بلاكويل المحدودة للنشر هذا الكتاب عام 2013 .

الشخصي النقطة الأولى للدخول إلى شبكة الإنترنت حول العالم سواء من المنزل أو من أحد مقاهي الإنترنت. وبالتالي، فقد أصبح دخول الفرد على شبكة الإنترنت من خلال جهاز الكمبيوتر الشخصي خاصته (سواء بالمنزل أو العمل) بمثابة تركيز هائلٍ للبحث الاجتماعيّ على شبكة الإنترنت. فبدون الدخول إلى شبكة الإنترنت، سواء مباشرةً أو من خلال بعض الوسائط، فلن يتمكن المرء من الوصول إلى المنافع أو المخاطر المحتملة لشبكة الإنترنت. علاوة على ذلك، فقد دفع هذا الأمر البحث الاجتماعي عن الإنترنت إلى التركيز على القضايا بشأن الفجوة الرقمية، والموارد، سواء كانت مالية أو جغرافية أو معتمدة على المهارات، المطلوبة بالنسبة للأفراد أو العائلات لمعالجة هذه الفجوة.

وقد ظهر الكثير من الاتجاهات خلال السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين والتي غيرت أنماط الدخول على شبكة الإنترنت بطرق جوهرية. ويتمثل أحدها في ظاهرة الانتشار العالمي للهواتف المحمولة ثم تطور الهواتف الذكية التي تساعد على اتصال المرء بالإنترنت أثناء تنقله. وهناك اتجاه آخر يهتم بتطور الأدوات الجديدة التي تُشبه الأجهزة للدخول على شبكة الإنترنت والتي تمثل إضافة لجهاز الكمبيوتر الشخصي أو قد تحل محله[1]. وتشمل هذه الأجهزة ما يُعرف بوحدات القراءة وأجهزة الكمبيوتر المحمولة ذات الشاشات الدوارة والتي صُممت لسهولة حملها واستخدامها لأغراض معينة كتصفح الويب أو قراءة الكتب الإلكترونية.

كيف غيرت هذه الأشكال الجديدة للدخول إلى شبكة الإنترنت طريقة دخول الفرد على شبكة الإنترنت؟ ما الاختلافات التي صنعتها هذه الأشكال فيما يتعلق بكيفية استخدام الناس للإنترنت، كوسائل الترفيه المتنوعة أو خدمات المعلومات؟ من يستخدم هذه الأجهزة؟ هل تعمل هذه الأشكال على غلق شبكة الإنترنت وجعلها أقل إبداعًا أم أنها تساعد على فتحها أمام مستخدمين جدد واستخداماتٍ جديدة؟ هل تعد بمثابة قنوات جديدة للدخول على شبكة الإنترنت لاستيعاب مستخدمين جدد أم أن استخدام الأجهزة الجديدة يُعزز وجود الفجوات الرقمية؟

الأسلوب

يتطرق هذا الفصل إلى القضايا التي تتعلق بالأنماط الجديدة للدخول على شبكة الإنترنت من خلال التركيز على تحليل بيانات المسح الموجودة في بريطانيا كونها جزءًا من مسح أكسفورد للإنترنت (OxIS)، وهو جزء من مشروع الإنترنت العالمي (WIP)، وهو ائتلاف يضم أربعة وعشرين عضوًا. وقد بدأ مسح أكسفورد للإنترنت (OxIS) عام 2003، وتركز على دراسة عدد من الموضوعات التي يتسنى لنا من خلالها تحليل مجموعة من البيانات الخاصة باتجاهات وموضوعات معينة منها: تضمين واستبعاد التكنولوجيا الاجتماعية والرقمية، والتشكيل والتنظيم والتحكم في شبكة الإنترنت، والأمان والثقة والخصوصية بشبكة الإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي والشبكات الترفيهية، والتجارة وعقد الصفقات عبر شبكة الإنترنت. وبناءً على الاستفسارات الديمغرافية والاتجاهية التي طُرحت بهذا المسح، فقد أصبح من الممكن إنشاء صفحات شخصية للمشاركين بالمسح، والتي تضم المستخدمين وغير المستخدمين للإنترنت. والجدير بالذكر أننا نقوم، من خلال تحليلنا، بربط هذه الصفحات الشخصية بالبيانات الخاصة باستخدام وعدم استخدام الإنترنت لاستخلاص بعض المعلومات عن مستخدمي شبكة الإنترنت، وبأي طريقة، وإلى أي مدى.

علاوة على ذلك، فإن جميع البيانات الواردة بهذا الفصل من الكتاب تمثل جزءًا من المعلومات المضمنة بمسح أكسفورد للإنترنت (OxIS)[2]، ما لم يرد نص بخلاف ذلك. وقد جُمعت البيانات الواردة بهذا المسح كافة على يد مجموعة من الموظفين المتخصصين بمجال البحث الميداني من خلال إجراء بعض المقابلات الشخصية المباشرة للأشخاص المعنية بمنازلهم. والجدير بالذكر أن مسح أكسفورد للإنترنت (OxIS) هو استقصاء يُجرى كل عامين بشأن استخدام الإنترنت بالنسبة للبالغين ببريطانيا والذي شمل بعض الدول مثل: انجلترا وويلز واسكتلندا. وقد أُجريَ المسح الأول عام 2003 وأعقبه عدد من المسوح الأخرى عام 2005، و2007 و2009 و2011. ويتم اختيار الأشخاص من عينة عشوائية من السكان على ثلاث مراحل. وتعتمد البيانات ذات الأهمية على النوع الاجتماعي

والعمر والدرجة الاجتماعية والاقتصادية والمنطقة. بالإضافة إلى ذلك، فقد ارتفعت نسب الاستجابات باستخدام هذه الاستراتيجية للغاية: حيث وصلت إلى 60٪ عام 2003؛ و66٪ عام 2005؛ و68٪ عام 2007؛ و53٪عام 2009؛ و51٪ عام 2011 [3]. وبالرغم من إضافة مزيد من الأسئلة مع ظهور قضايا جديدة، إلا أن الكثير من الأسئلة ظلت كما هي لتسهيل المقارنات عبر الأعوام.

علاوةً على ذلك، فإن إحدى نقاط القوى بمسح أكسفورد للإنترنت (OxIS) تكمن في اختيار عينة غير مريحة، الأمر الذي يميزه عن باقي مجموعات البيانات الأخرى. ولهذا الأمر تضمينات منهجية ونظرية. من الناحية المنهجية، كونه عينة تمثيلية، فإن هذا المسح يسمح لنا بالعمل على البالغين (بدايةً من 14 عامًا فأكثر) من سكان بريطانيا. ولا يمكن حدوث ذلك في ظل اختيار عينة مريحة. أما من الناحية النظرية، فإن اختيار عينة عشوائية يساعدنا في استكشاف عدد من المتغيرات الشيقة. وتتكون العينات المريحة غالبًا من مجموعة من طلاب الجامعات ممن يتمتعون بالحالة الاجتماعية والدخل الاجتماعي ذاته ويتشابهون أيضًا من حيث الفئة العمرية مقارنةً بعينة السكان العامة لمستخدمي الإنترنت. ويمكننا استكشاف آثار هذه المتغيرات الديمغرافية في حالة عدم استخدام عينات مريحة.

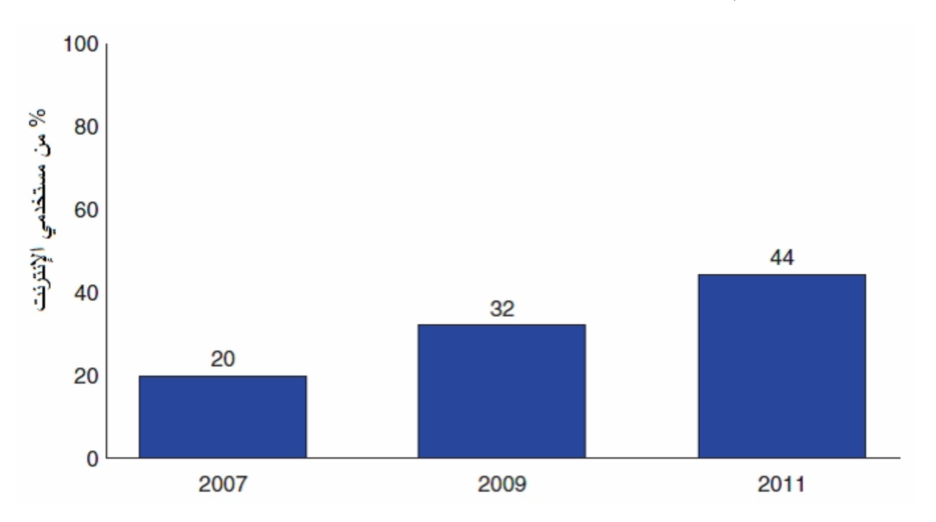
وسوف نتطرق هنا إلى المسح الذي أُجري عام 2011، حيث يشتمل على نتائج إجراء مقابلات مع 2057 شخص. وتعتمد تحليلاتنا إما على استخدام العينة الكاملة عن 2057 شخص أو النتائج الفرعية عن مستخدمي الإنترنت الحاليين: 1498 شخص و72.8٪ من العينة الكاملة [4].

وبالرغم من ذلك، وبينما نركز على لمحة من حياة شعب واحد، كونه جزءًا من مشروع الإنترنت العالمي (WIP)، فإنه يمكننا مقارنة نتائجنا مع نتائج الشعوب الأخرى حول العالم لتحديد اتساق نتائجنا من عدمه. علاوةً على ذلك، فقد وُصف تحليلنا بأنه ابتكاريًا في ضوء مشروع الإنترنت العالمي (WIP)، بمعنى أن تحليلنا لم يكرر ما ذكرته الدول الأخرى، إلا أننا لا نملك أي تقارير من الدول الشريكة تفيد بتميز نتائج المملكة المتحدة من حيث النمط الذي تطرقنا إليه. والجدير بالذكر أن الاختلافات الرئيسية تكمن

في المستويات، مثل: مستوى الاستفادة من الإنترنت، وليست بالأنماط الأساسية للعلاقات التي تناولنا الحديث عنها.

ظهور الجيل التالي من المستخدمين

وفي عام 2011، نظرًا لظهور الهواتف المحمولة وانتشار الأجهزة الإلكترونية مثل: الأجهزة اللوحية، فإننا نلاحظ وجود حركتين مفاجِئتين ومترابطتين بنتائج المسح. تهتم الحركة الأولى بإمكانية نقل هذه الأجهزة بينما تهتم الثانية بمدى توافر هذه الأجهزة التي غيرت من نمط اتصال المستخدمين بشبكة الإنترنت. والجدير بالذكر أن هاتين الحركتين معًا تُعرفان "مستخدم الجيل التالي" الذي يمثل نسبة 44٪ من مستخدمي الإنترنت في بريطانيا. ونلاحظ أن الجيل التالي من مستخدمي الإنترنت لا ينتمون إلى فئة المراهقين فحسب، حيث ينتمون إلى كافة الفئات العمرية وفقًا لنتائج الأبحاث طويلة المدى عن أنماط الاستخدام. ولا يظهر هؤلاء المستخدمون بين عشية وضحاها: فإذا نظرنا إلى نسبة مستخدمي الإنترنت من الجيل التالي، نجد أنها زادت من 20٪ عام 2007 حتى 32٪ عام 2009 و44٪ عام 2011 (شكل 7-1).



المستخدمون الحاليون (OxIS) 2007: N=1578، (OxIS) 2009: N=1401؛ (OxIS) 2011 : N=1498

شكل (7-1): مستخدمو الإنترنت من الجيل التالي ونسبتهم المئوية بين جميع المستخدمين

وبناءً على المسح الأول لاستخدام الإنترنت التابع بمعهد أكسفورد للإنترنت (OIL) عام 2003، ووفقًا لأكثر الشعوب تطورًا، يعتمد الدخول على الإنترنت مبدئيًا على استخدام جهاز الكمبيوتر الشخصي بالمنزل، حيث الاتصال بشبكة الإنترنت باستخدام المودم أو الاتصال عريض الحزمة. بالنسبة لكثير من المستخدمين، يكتمل هذا الأمر عند الاتصال بالإنترنت بالعمل أو المدرسة. ويكمن التغير الأساسي بعملية الدخول على شبكة الإنترنت منذ عام 2003 في الانتقال من الاتصال الهاتفي ذي الحزمة الضيقة إلى الاتصالات الدائمة عريضة الحزمة.

وبحلول عام 2009، طبق جميع مستخدمي الإنترنت تقريبًا نظام الاتصال عريض الحزمة وخاصةً الاتصالات اللاسلكية داخل البيوت كاستخدام روتر الواي فاي Wi-Fi router؛ بينما أخذت السرعة في التزايد نظرًا لاستخدام الاتصالات اللاسلكية واتصالات "فائقة السرعة" عريضة الحزمة، وهذا النمط لعملية الدخول على الإنترنت يميز "الجيل الأول لمستخدمي الإنترنت" ببريطانيا.

سوف نقارن بين خصائص الجيل الأول والجيل التالي من مستخدمي الإنترنت فيما يلي. ولكن، في البداية، كيف نفسر ظهور الجيل التالي من مستخدمي الإنترنت، وأهمية هذا الظهور في سياق دراسة الإنترنت؟ هناك ثلاثة منظورات نظرية وعامة بشأن الدور الاجتماعي الذي تلعبه الإنترنت والذي قد يكون مفيدًا في فهم هذا التحول ونتائجه.

المنظورات النظرية

هناك الكثير من المنظورات النظرية بشأن التضمينات الاجتماعية لعملية التحول في أنماط الدخول على شبكة الإنترنت، كالانتقال إلى المستخدمين من الجيل التالي. علاوةً على ذلك، يوجد عدد من التفسيرات الكيفية لأنماط العلاقات، وليس النماذج المعرفة من الناحية التنفيذية، ولكنها تتركز على المنظورات الرئيسية بشأن الدور الذي تلعبه الإنترنت بالحياة اليومية.

العقلانية التقنية

تعتبر العقلانية التقنية أحد المنظورات السائدة والتي تتناول السمات الأساسية لوسائل التكنولوجيا الجديدة للنظر بعين الاعتبار إلى التضمينات المحتملة لهذا الاستخدام. وبينما ينظر الكثير من علماء الاجتماع لهذا المنظور باعتباره منظورًا حتميًا من الناحية التكنولوجية إلا أنه يميز بعض العلماء البارزين بمجال الإنترنت والتكنولوجيا الجديدة، مثل: لورانس لسيج Lawrence Lessig (1999) ومقولته الشهيرة "الرمز هو القانون"[5]. ومن منطلق هذا المنظور، نجد أن التحول إلى "الأجهزة" يرتبط باستخدام التطبيقات المغلقة "apps" محدودة الوظائف. علاوةً على ذلك، تحد التطبيقات من انفتاح و"إبداع" الإنترنت، مقارنةً بأجهزة الكمبيوتر الشخصي متعددة الأغراض، والتي تُمكن المستخدمين من وضع البرامج وكتابة الرموز ولا تجعلها مقتصرة على مجموعة من التطبيقات والمواقع (زيترين Zittrain، 2008). ونظرًا لأهمية التطبيقات المغلقة بالنسبة لمستخدمي الأجهزة الجديدة، كالأجهزة اللوحية، إلا أنهم يبدون أقل تعقيدًا ممن يركزون على استخدام الكمبيوتر الشخصي وأقل إبداعًا من حيث استخدام وتطبيق الإنترنت. هل ستقوم هذه الأجهزة بدفع المستخدمين لتقمص دور المتصفح السلبي للمعلومات والمستهلك لوسائل الترفيه؟

التدجين: العقلانية الاجتماعية

وعلى النقيض، هناك أكثر من منظور حتمي من الناحية الاجتماعية بشأن الدور الاجتماعي الذي تلعبه الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ذات الصلة (ICTs) بالبيوت والتي تعمل على "تدجين" الإنترنت.

وتؤكد عملية التدجين (سيلفرستون Silverstone وآخرون 1992؛ هادون Haddon 2006، 2007، 2011) على تأثير البيوت وأماكن العمل على تشكيل وترويض أو تطويع وسائل التكنولوجيا حيث يكيفها المستخدم وفقًا لقيم واهتمامات سياقه الاجتماعي الخاص. يقوم الناس بتكييف ودمج وسائل التكنولوجيا بروتين حياتهم اليوميّ بأسلوب يعزز من ممارستهم الحالية التي تختلف من بيت إلى آخر.

علاوةً على ذلك، فقد تطور مفهوم التدجين كونه وسيلة لتوضيح النموذج التصوري

لاستكشاف الدور الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICTs) في الحياة داخل البيوت (ليفينجستون Livingstone 1992؛ سيلفرستون وآخرون 1992؛ سيلفرستون 1996). وتستلزم هذه الصياغة أربعة "عوامل مترابطة" والتي من شأنها تشكيل عملية التدجين، وهم: الاستئثار والتجسيد والدمج والتبديل (سيلفرستون وآخرون 1992: 20). تحدث عملية الاستئثار عند شراء المنتج التكنولوجي، ومن ثم يجب الاشراف على دخوله البيت. ويشير مصطلح التجسيد إلى موقع وسائل التكنولوجيا بالبيت، سواء من الناحية المادية أو الرمزية. أما عملية الدمج، فتحدث عند تطويع وسائل التكنولوجيا لروتين الحياة اليومي بهذا البيت. وأخيرًا، فإن عملية التبديل تحدد أساليب عرض وسائل التكنولوجيا أمام الآخرين لإدارة الانطباعات[6]. والجدير بالذكر أنه لا يُشترط ترتيب هذه العوامل الأربعة؛ فبالرغم من تقدم الاستئثار إلا أن العوامل الثلاثة الأخرى يشكل بعضها الآخر.

يهتم هذا الفصل، على وجه الخصوص، بدمج الإنترنت بالروتين اليومي للناس حيث يدمجون وسائل التكنولوجيا وممارسات الجيل التالي لمستخدمي الإنترنت بروتين حياتهم اليومي. ومما يميز الإنترنت أنها لا تشمل نوعًا واحدًا فقط من التكنولوجيا، بل تعد مدخلاً لمجموعة متنوعة من الابتكارات، التي تشمل برامج تصفح الإنترنت وخدمات الموقع والتوجيه، والبريد الالكترونيّ ومواقع التواصل الاجتماعي. وهي تمثل قائمة واسعة من المواد التي يتعين على الفرد دمجها بحياته اليومية. وسوف يقوم الفرد بعمل كل هذه الأشياء معًا، حيث ينظر الكثيرون للإنترنت باعتبارها استكشافًا مستمرًا للإمكانيات الجديدة على مدار سنواتٍ عديدة.

يتفق نموذج التدجين مع المفاهيم الأولى للتشكيل الاجتماعي لوسائل التكنولوجيا بالمنظمات، مثل: "سياسة التعزيز" التي تفيد بأن المنظمات تقوم بتطويع وتشكيل تكنولوجيا المعلومات لدعم وتعزيز أجهزة السلطة والنفوذ داخل هذه المنظمات (دانزيجار Danziger وآخرون، 1982). ونظرًا لأن عملية التدجين توحي بتطويع الإنترنت وفقًا لاهتمامات وقيم المرء، فإننا لا نتوقع حدوث تغيير هائل ينتج عن استخدام وسائل

التكنولوجيا الجديدة من حيث استخدام الفرد للإنترنت أو حدوث تأثير جوهري بشأن الدور الاجتماعي الذي تلعبه الإنترنت بحياتهم.

إعادة ضبط عملية الدخول على شبكة الإنترنت

هناك منظور نظري مختلف يتركز حول مفهوم "إعادة ضبط عملية الدخول على شبكة الإنترنت" (دوتون Dutton 1999، 2005). ومن منطلق هذا المنظور، فإنه لا يمكن تحديد مدلولات وسائل التكنولوجيا مسبقًا، سواء عن طريق استخلاص السمات التقنية للابتكارات أو التأكيد على اهتمامات وقيم المستخدمين.

ويختلف هذا المنظور عن المنظور الحتمي من الناحية التكنولوجية والمنظور الحتمي من الناحية الاجتماعية. والجدير بالذكر أن إعادة ضبط عملية الدخول على شبكة الإنترنت ترتبط بالحقيقة التي مفادها أن المستخدمين يُعيدون اختراع وسائل التكنولوجيا في كثير من الأحيان حيث يقومون باستخدامها بطريقة لا يتوقعها مطورو هذه التكنولوجيا. بالإضافة إلى ذلك، قد يتأثر الدور الاجتماعي لوسائل التكنولوجيا بأفعال غير المستخدمين، الأمر الذي يميز هذا المنظور عن مفهوم التدجين. وبجانب ذلك، فإن عملية التحكم بوسائل التكنولوجيا الجديدة، ولا سيما وسائل التكنولوجيا الشبكية كالإنترنت مثلاً، تُقسم على مجموعة من العناصر الفعالة ، منهم المستخدمين ومزودي خدمة الإنترنت ومُصنعي أجهزة الكمبيوتر ومحركات البحث وشركات التواصل الاجتماعي. وبدلاً من توقع الآثار التي تُخلفها وسائل التكنولوجيا، أو قيم واهتمامات العائلة، فإن عملية إعادة ضبط الدخول على شبكة الإنترنت تُشدد على ملاحظة الاستخدام الفعلي وتأثيره على مجموعة متنوعة من المستخدمين للتعرف على أنماط الاستخدام والتأثير.

وبالرغم من ذلك، يعتمد مفهوم إعادة ضبط عملية الدخول على شبكة الإنترنت، شأنه في ذلك شأن النموذج الحتمي من الناحية التكنولوجية، على الافتراض بأن وسائل التكنولوجيا - ذات التضمينات الاجتماعية - تعمل من خلال منظورين أساسيين. أحدهما، (1) أنها تعيد تشكيل طريقة استخدام الفرد للأشياء، والثاني (2) أنها تعيد تشكيل نتائج هذه الأنشطة. يستخدم الناس وسائل التكنولوجيا، كالإنترنت مثلاً، لإعادة

ضبط كيفية الدخول على شبكة الإنترنت بعدة طرق، سواء عن قصد أو غير قصد، من بينها كيفية الوصول إلى الأشخاص والمعلومات والخدمات ووسائل التكنولوجيا وحتى الوصول إلى أنفسهم. ومن منطلق هذا المنظور، فإن وسائل التكنولوجيا لا تتناسب ببساطة مع الممارسات الحالية للفرد ولكنها تعمل على تغييرها. فلو كان الشخص يستمتع مثلاً بقراءة الصحف، فإنه قد يقرر استخدام الإنترنت للوصول إلى الأخبار. وبالرغم من ذلك، فإن هذه الطريقة تُغير طريقة الحصول على الأخبار وكَم المعلومات التي يمكن الحصول عليها وكذلك ماهية الأخبار وكيفية الحصول عليها بسهولة. وبالتالي، فإن هذه الطريقة تُعيد ضبط عملية الدخول إلى الأخبار في هذه الحالة.

يمكن للإنترنت أن يغير من نتائج أنشطة المعلومات والاتصالات عن طريق تغيير هيكل التكاليف، أو إنشاء المنافذ أو إلغائها، أو إعادة توزيع السلطة بين المرسل والمستقبل، أو تيسير أو تعسير المهمة، أو تغيير ظروف مهمة ما، أو إعادة هيكلة الشبكات (كثير من الشبكات في مقابل واحدة أو واحدة في مقابل كثيرين)، أو تغيير جغرافية الدخول. فمثلاً عند تغيير التكاليف، أو التخلص من بعض المنافذ ، يتسنى للإنترنت حينئذٍ إعادة ضبط الدخول على المعلومات أو الأشخاص أو الخدمات أو وسائل التكنولوجيا مثلاً من خلال توصيل ملايين من أجهزة الكمبيوتر معًا أمام مستخدم الهاتف الذكي.

ويمكن استغلال قدرة الإنترنت على إعادة تشكيل عملية الدخول في تعزيز الترتيبات الاجتماعية الحالية، كالحفاظ على إمكانية التواصل بين الأصدقاء، أو إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية، كمساعدة الشخص على التعرف على أشخاصٍ جُدد. ويمكن استغلالها أيضًا في تعزيز اهتمام الفرد بالأخبار بل وفتح قنواتٍ ومصادر إخبارية جديدة.

وتُعرف المنهجيات الأساسية المستخدمة في دراسة عملية التدجين بأنها منهجيات كيفية وإثنوغرافية في المعتاد (سيلفرستون Silverstone 2005). ويستخدم هذا الفصل بيانات المسح ولكن بطريقة كيفية، ويُؤخذ على هذا الأمر بعض العيوب نظرًا لأنه يتناول القضايا الخاصة بالمعنى بالطرق التي تتطلبها الدراسات الإثنوجرافية.

وبالرغم من ذلك، فقد استخدم آخرون دراسات مسحية لدراسة عملية التدجين

(مثل:بيوني Punie، 1997) والمسح بالعينة، الأمر الذي ساعد في تعميم النتائج على السكان. وفي هذه الحالة، يمكننا تعميم النتائج على الشعب البريطاني، بالإشارة إلى مشروع الإنترنت العالميّ، والتفكير في تطبيق النتائج على نطاقٍ أوسع.

تعريف مُستخدم الجيل التالي

هل قام مستخدمو الجيل التاليّ بتدجين التطورات الحديثة بمجال الإنترنت؟ أو هل انحصر دخولهم على الإنترنت والعالم الأكبر على الأجهزة الجديدة؟ أو هل أعادوا ضبط دخولهم على الإنترنت بأساليب أخرى باستخدام هذه الأجهزة التقنية الجديدة؟ بخلاف الجيل الأول من مستخدمي الإنترنت، يُعرف مستخدم الجيل التالي بظهور اتجاهين منفصلين ولكنهما ذا صلة ببعضهما البعض، وهما: إمكانية التنقل والدخول على الإنترنت باستخدام عدة أجهزة.

أولاً، أخذت نسبة مستخدمي الإنترنت من خلال استخدام الأجهزة المحمولة في الزيادة، كاستخدام الهواتف الذكية. وفي عام 2003، كانت هذه النسبة صغيرة. وفي الوقت ذاته، امتلك حوالي 85٪ من الشعب البريطاني هواتف محمولة، ومع ذلك فهناك 11٪ فقط من مستخدمي الهواتف المحمولة يستخدمونها في الدخول على الإنترنت أو البريد الإلكتروني. أما في عام 2009، امتلك 97٪ من الشعب البريطاني هواتف محمولة، في حين تضاعفت نسبة مستخدمي هذه الأجهزة في الدخول على الإنترنت أو البريد الإلكتروني إلى 24٪ – بالرغم من أقلية المستخدمين. وفي عام 2011، ارتفعت النسبة إلى (49٪) أي حوالي نصف عدد المستخدمين. وفي عام 2011، أصبح الهاتف المحمول أحد الأجهزة المحمولة والتي تُستخدم للدخول على الإنترنت داخل أو خارج المنزل.

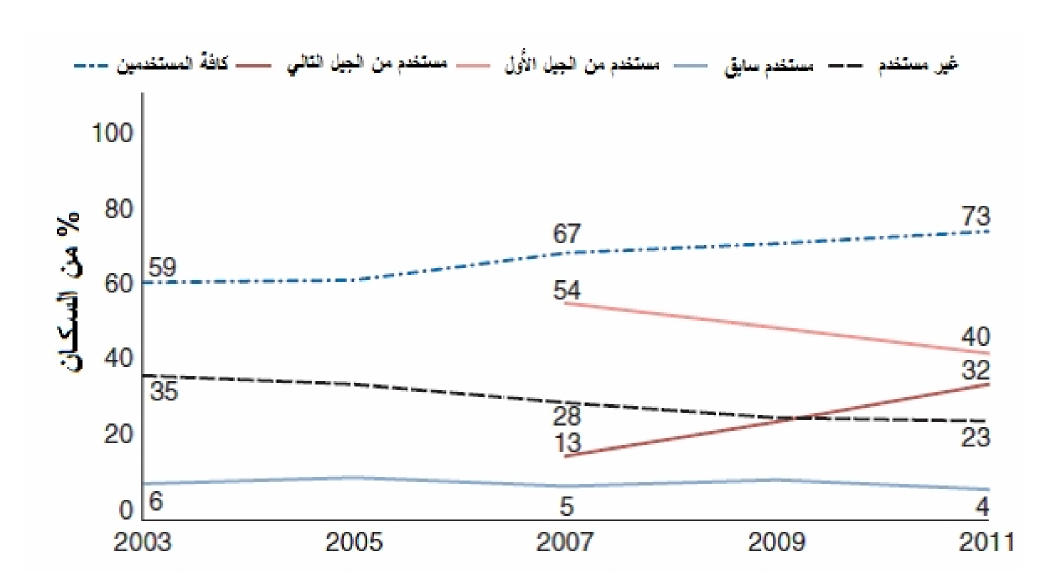
ثانيًا، في كثير من الأحيان، يمتلك مستخدمو الإنترنت الكثير من الأجهزة، مثل: أجهزة الكمبيوتر المتعددة أو وحدات القراءة أو الشاشات اللوحية أو أجهزة اللابتوب بالإضافة إلى الهواتف المحمولة، التي يستخدمونها للدخول على الإنترنت. وفي عام 2009، لم يكن هناك سوى 19٪ ممن يمتلكون المساعد الرقمي الشخصي (personal digital assistant). ومنذ ذلك الحين، تطورت وحدات القراءة والشاشات اللوحية إلى حد كبير

مع إطلاق شركة أبل Apple لأجهزة الأيباد، ثم أصبحت فكرة المساعد الرقمي الشخصي ذاتها قديمة. وفي عام 2011، امتلك حوالي ثُلث مستخدمي الإنترنت وحدة قراءة أو شاشة لوحية، بينما امتلك 6٪ الجهازين معًا. أما حوالي 59٪ فكانوا يستخدمون واحدًا أو أكثر من هذه الأجهزة المتعددة للدخول على الإنترنت أكثر من أجهزة الكمبيوتر المنزلية.

وقد تعامل معظم الباحثين مع هذه التطورات كاتجاهين منفصلين. علاوةً على ذلك، فقد ركز بعض الأكاديميين على اتصالات الهواتف المحمولة فحسب، بينما ركز آخرون على الشاشات اللوحية واستخدام الهواتف الذكية[7]. وبالرغم من ذلك، لا يعتبر هذان الاتجاهان مرتبطان ولكن يعتمد كلاهما على الآخر. بالإضافة إلى ذلك، فإن من يمتلكون أجهزة متعددة أيضًا يمكنهم استخدام الإنترنت أثناء انتقالهم المستمر ومن أماكن متعددة.

ولذلك، فإن مستخدم الجيل التالي يُعرف بأنه ذلك الشخص الذي يدخل على الإنترنت من مواقع متعددة باستخدام أجهزة متعددة. ومن ناحية خاصة، يُعرف مستخدم الجيل التالي بأنه ذلك الشخص الذي يستخدم على الأقل تطبيقين من تطبيقات الإنترنت (من أربعة تطبيقات معتمدة)[8] بهاتفه المحمولة أو هو ذلك الشخص الذي يقوم بتطويع اثنين أو أكثر من المعايير التالية: إذا امتلك شاشة لوحية، أو وحدة قراءة، أو كان يمتلك ثلاثة أو أكثر من أجهزة الكمبيوتر. ومن منطلق هذا التعريف، يُنظر إلى ثلث البريطانيين تقريبًا و44.4٪ من مستخدمي الإنترنت في بريطانيا باعتبارهم مستخدمين للإنترنت من الجيل التالي (شكل 7-1 وشكل 7-2).

فيما يلي، نوضح كيف ارتبط هذا التحول في مجال الدخول على الإنترنت بتغيرات جوهرية في أنماط الاستخدام والتضمينات الاجتماعية للاستخدام. علاوةً على ذلك، نوضح أن مستخدمي الجيل التالي لم يتم توزيعهم بالتساوي ولكنهم يتمتعون بدخولٍ أعلى بالإشارة إلى الفجوة الرقمية ببريطانيا وكافة الدول تقريبًا.



OxIS :2003 N ؛2029=OxIS :2005 N ؛2185=OxIS :2007 N ؛2350 =OxIS :2009 N = ؛2013OxIS2011 : N2057 =

شكل (7-2) استخدام الإنترنت في بريطانيا

لماذا يعد هذا الأمر مهمًا؟

يوضح شكل (7-2) أن الزيادة السريعة في أعداد المستخدمين من الجيل التالي قد جاءت وسط انخفاض بمعدل استخدام الإنترنت ككل. علاوةً على ذلك، قد زادت نسبة استخدام الإنترنت في بريطانيا من 60٪ عام 2003 إلى 73٪ عام 2011، حيث نجد أن ربع سكان بريطانيا لم يتمتعوا بإمكانية الدخول على الإنترنت. والجدير بالذكر أن هناك تراجعًا ثابتًا، ولكنه بطيء، في نسبة الأشخاص الذين تعذر عليهم استخدام الإنترنت من قبل (أو غير المستخدمين) واستقرار نسبيًا بنسبة الأشخاص الذين استخدموا الإنترنت سابقًا ولكنهم لا يفعلون ذلك اليوم (المستخدمون السابقون). وبالرغم من تعدد الحكومات والمبادرات الخاصة التي تهدف إلى تشجيع الناس على الاتصال بشبكة الإنترنت، إلا أن الفجوات الرقمية ظلت متعلقة بالاتصال بشبكة الإنترنت.

ومن ناحية، هناك استقرار ملحوظ بنسبة البريطانيين الذين يتصلون دائمًا بشبكة

الإنترنت. ومن ناحية أخرى، فهناك تحول مفاجئ يحدث بين المستخدمين. بالإضافة إلى ذلك، تتراجع نسبة المستخدمين من الجيل الأول بينما تتزايد نسبة المستخدمين من الجيل التالي (شكل 7-2). وبشكل ملحوظ، نجد أن الترويج للأجهزة التكنولوجية الجديدة كالشاشات اللوحية قد أحدث تغييرًا بطريقة اتصال العائلات بشبكة الإنترنت. ومن الصعب النظر إلى هذا الأمر باعتباره عملية تدجين بسيطة وليس نتيجة استخدام منتجٍ جديد وعروض خدمية.

علاوةً على ذلك، فإن دخول المستخدمين الفرديين على الإنترنت يُشكل طريقة استخدامهم لوسائل التكنولوجيا كما أن طريقة استخدام الفرد للإنترنت تُشكل وسائل التكنولوجيا التي يستخدمها. ويظهر ذلك عند المقارنة بين استخدام الجيل الأول والجيل التالي في ثلاث نقاط، وهي: إنتاج المحتوى، وقت الفراغ وسُبل الترفيه، والبحث عن المعلومات. وفي كل حالة، قد تنظر العقلانية التقنية بعين الاعتبار للابتكارات مما يقلل من انفتاح وإبداع المستخدمين، في حين يتوقع المرء تغيرًا طفيفًا في أنماط الاستخدام بين مستخدمي الجيل الأول والتالي من منطلق منظور التدجين.

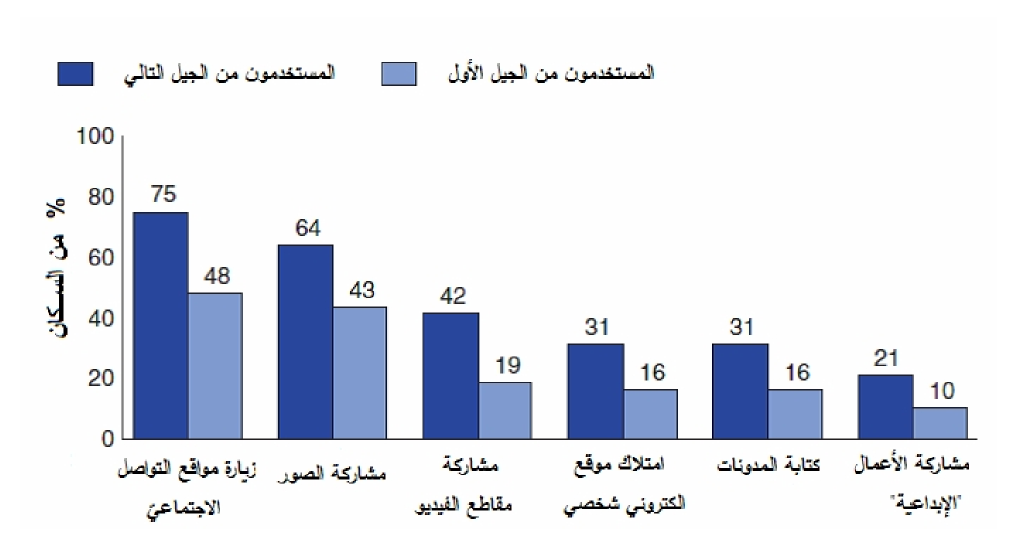
إنتاج المحتوى

على النقيض من العقلانية التقنية، وتركيزها على مدى تأثير انفتاح الأجهزة الجديدة على المستخدمين، يُنظر للمستخدمين من الجيل التالي باعتبارهم منتجين للمحتوى مقارنةً بالمستخدمين من الجيل الأول، الذين ركزوا في الأساس على الاستهلاك أكثر من الإنتاج. وبالنسبة لكثير من أنماط المحتوى، يعتبر المستخدمون من الجيل التالي منتجين بنسبة 25٪ (شكل 7-3). وعلى نحو خاص، نجد أن المستخدمين من الجيل التالي كانوا أوفر حظًا من حيث تحديث أو إنشاء صفحة شخصية بمواقع التواصل الاجتماعي. علاوةً على ذلك، فقد تفوقوا أيضًا على المستخدمين من الجيل الأول بكثرة مشاركة الصور ومقاطع الفيديو والرسائل بصفحات المناقشة أو المنتديات بالإضافة إلى مشاركة الأخبار والشعر والأعمال الإبداعية الأخرى. أما بخصوص الأنماط الأكثر طلبًا للمحتوى، كإنشاء موقع إلكتروني شخصي أو كتابة مدونة، فنجد أن المستخدمين من الجيل التالي يتفوقون مرتين كمنتجين

مقارنة بالمستخدمين من الجيل الأول. إن الابتكارات تعيد ضبط عملية الدخول على الإنترنت عن طريق إنتاج المحتوى بكثرة على يد المستخدمين من الجيل التالي.

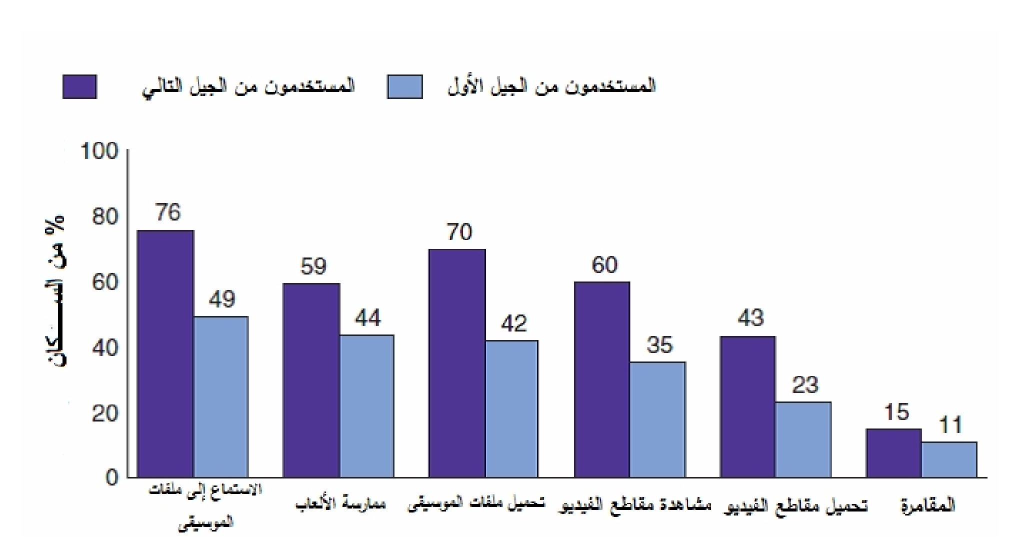
وقت الفراغ وسُبل الترفيه

بالمقارنة مع المستخدمين من الجيل الأول، نجد أن المستخدمين من الجيل التالي يميلون أكثر إلى الاستماع للموسيقى، ولعب الألعاب عبر الإنترنت، وتحميل مقاطع الموسيقى، ومشاهدة مقاطع الفيديو وتحميل ورفع مقاطع الفيديو والملفات الموسيقية أيضًا على شبكة الإنترنت (شكل 7-4). أما بالنسبة لإنتاج المحتوى، فهناك اختلاف كبير قد يتجاوز نسبة 20٪ أو 25٪. بالإضافة إلى ذلك، يميل المستخدمون من الجيل التالي إلى مشاهدة المحتوى الجنسي "للكبار" والمقامرة عبر شبكة الإنترنت، ويعتبر هذا الاختلاف أقل وضوحًا في حالة إنتاج المحتوى.



المستخدمون الحاليون. OxIS 2011: N= 1498

شكل (7-3): مقارنة بين المستخدمين من الجيل التالي والجيل الأول من حيث إنتاج المحتوى



المستخدمون الحاليون. OxIS 2011: N= 1498

شكل (7-4): مقارنة بين المستخدمين من الجيل الأول والتالي من حيث وقت الفراغ وسُبل الترفيه

وعلى ما يبدو، فقد اندمج المستخدمون من الجيل التالي مع الإنترنت إلى حد كبير عند ممارستهم للأنشطة واتخاذهم سبلاً الترفيه بوقت فراغهم. وفي هذا الشأن، نجد أن الانخراط في الاستماع للمقاطع الموسيقية أو مشاهدة مقاطع الفيديو أمرٌ يتفق مع العقلانية التقنية للأجهزة، ولكنه ما زال يرتبط بإعادة ضبط عملية الدخول على شبكة الإنترنت من حيث بعض الجوانب الجوهرية، التي لم يتناولها منظور التدجين من قبل.

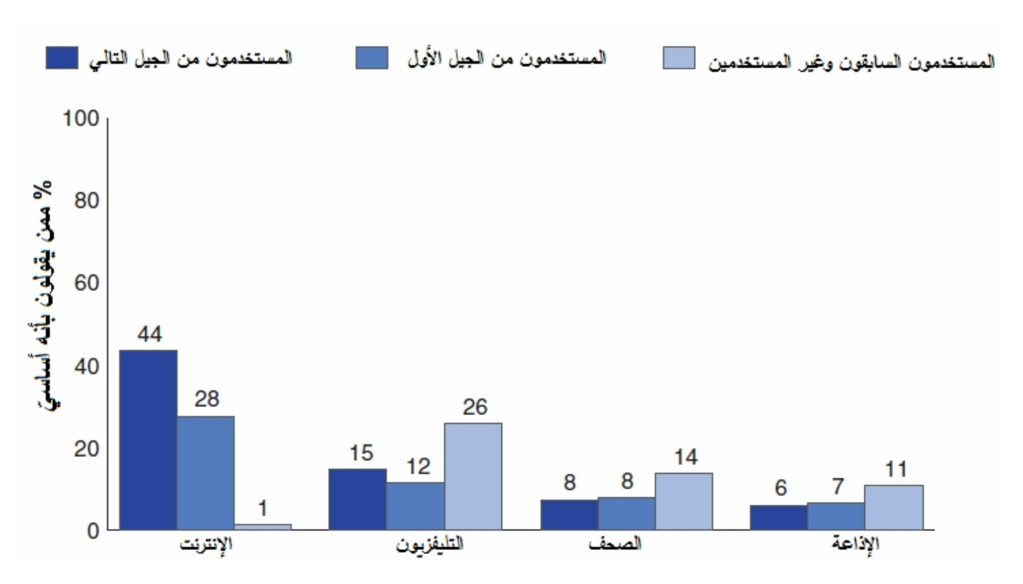
الأهمية الجوهرية للإنترنت

يؤيد المستخدمون من الجيل التالي "أهمية" الإنترنت. ويوضح شكل (7-5) النسبة المئوية لمن يعتبرون وسائل الإعلام جوهرية من حيث البحث عن المعلومات بينما يوضح شكل (7-6) الأرقام ذاتها بالنسبة للحصول على الترفيه. والجدير بالذكر أن كل الأرقام تحكي قصة متسقة عن المستخدمين من الجيل التالي. فبالنسبة للبحث عن المعلومات، يتفوق المستخدمون من الجيل التالي ممن يعتبرون الإنترنت أساسية بنسبة 16٪، أما فيما

يتعلق كونها وسيلة للترفيه، فإنهم يتفوقون بنسبة 10٪ عن المستخدمين من الجيل الأول. ومن الملاحظ أيضًا أن الإنترنت تعتبر وسيلة فحسب (إلا إذا استُخدمت لقضاء الوقت مع آخرين بغرض الترفيه) بينما يختلف المستخدمون من الجيل الأول والتالي في هذا الشأن. وتؤكد هذه الأرقام على القيمة المتفاوتة التي يراها المستخدمون من الجيل التالي بالإنترنت.

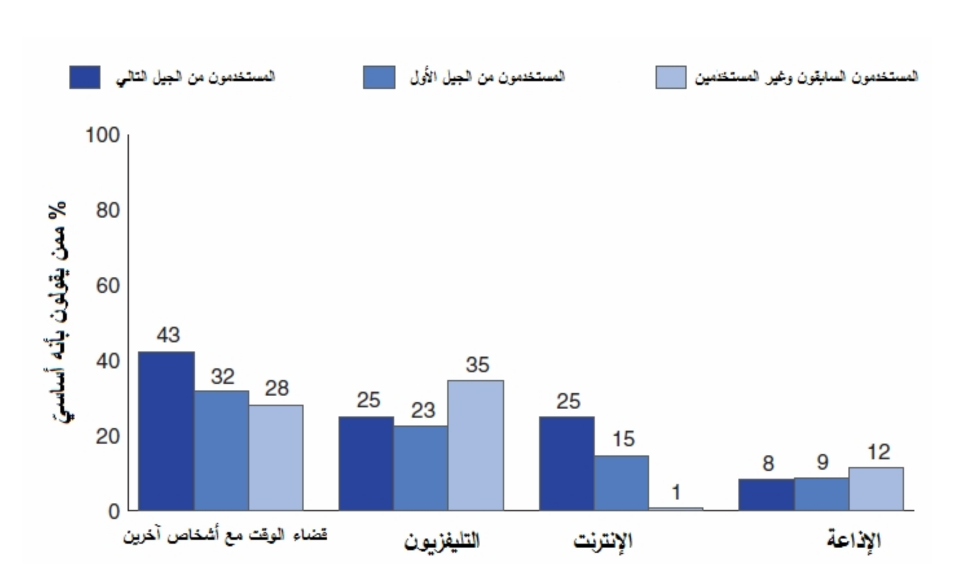
البحث عن المعلومات

من المفيد أن تنظر بعين الاعتبار إلى مدى الاختلاف والتشابه بين المستخدمين من الجيل التالي والمستخدمين من الجيل الأول. إن أهم التغيرات الأساسية التي طرأت خلال العشر سنوات الماضية تكمن في الاستخدام المتزايد للإنترنت باعتباره مصدرًا للمعلومات، ولاسيما مع ظهور محركات البحث القوية والصالحة للاستخدام مثل: جوجل Google، حيث يلجأ جميع المستخدمين إلى الإنترنت للبحث عن المعلومات، فهي مرساهم الأول.



2057 =N :2011 OxIS

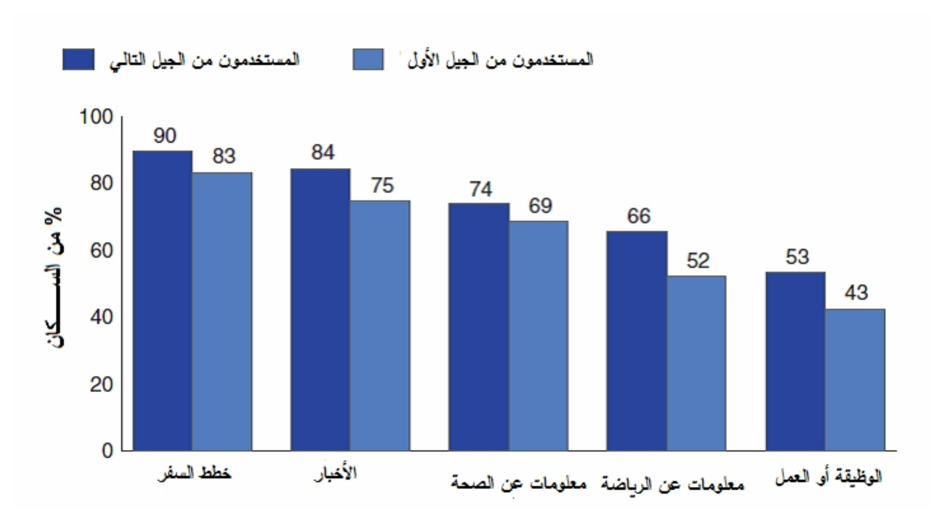
شكل (7-5): أهمية وسائل الإعلام في البحث عن المعلومات



OxIS 2011: N= 2057

شكل (7-6): أهمية وسائل الإعلام كوسيلة للترفيه

وبالرغم من ذلك، يميل المستخدمون من الجيل التالي إلى اللجوء للإنترنت بغرض البحث عن أنواع المعلومات كافة مقارنةً بالمستخدمين من الجيل الأول (شكل 7-7).



المستخدمون الحاليون. OxIS 2011: N= 1498

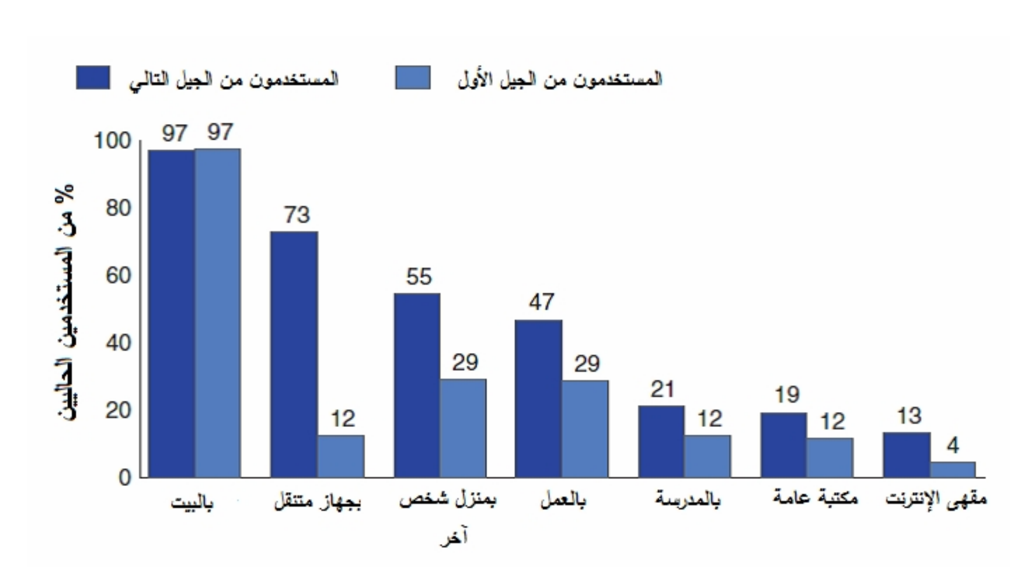
شكل (7-7): مقارنة بين المستخدمين من الجيل الأول والتالي من حيث البحث عن المعلومات

وعلى سبيل المثال، نجد أن 84٪ من مستخدمي الجيل التالي يتصلون بشبكة الإنترنت للحصول على الأخبار، في حين يستخدم 75٪ من مستخدمي الجيل الأول الإنترنت للسبب ذاته. وبالتالي، نلاحظ هنا أن الاختلافات أصغر من الاختلافات الملحوظة أعلاه بالنسبة لإنتاج المحتوى أو الترفيه - من 7٪ إلى 14٪ فقط - ولكنها بالغة الأهمية جوهريًا أو إحصائيًا. ويكمن الاختلاف الأكبر في البحث عن معلومات خاصة بالرياضة. ونظرًا لأن الرياضة تعد نشاطًا ترفيهيًا، فإننا نلاحظ أن الأرقام الخاصة بالرياضة ذات قاسم مشترك مع الأرقام الخاصة باستخدام وسائل الترفيه (شكل 7-4). علاوةً على ذلك، نلاحظ أن الرياضة تعد بمثابة الاستثناء الذي يبرهن هذه القاعدة. وبالرغم من إمكانية دخول مستخدمي الجيل التالي على الإنترنت من أكثر من موقع وباستخدام أكثر من جهاز بمعظم الأوقات، إلا أن استخدامهم للإنترنت بحثًا عن المعلومات ليس موسعًا، مما يثير الدهشة. وتكمن أحد الأسباب الرئيسية وراء ذلك في أن عملية البحث عن المعلومات قد أصبحت شائعة للغاية بين جميع المستخدمين.

إمكانية التنقل والحركة

هل يدخل المستخدمون من الجيل التالي على الإنترنت من عدة مواقع؟ يوضح شكل (7-8) أن الأمر كذلك بالفعل. وبالتالي، لم يعد المستخدمون من الجيل التالي يميلون إلى الدخول على الإنترنت من منازلهم مقارنةً بمستخدمي الجيل الأول، ولكنهم يفعلون ذلك بالطبع. ويؤكد ذلك على أهمية البيت والعائلة بالنسبة لأجيال المستخدمين. وبالرغم من ذلك، فإن مستخدمي الجيل التالي يميلون أكثر إلى الدخول على الإنترنت أثناء انتقالهم ومن جميع الأماكن كمنزل شخص آخر أو العمل أو المدرسة أو الجامعة أو المكتبة أو من أحد مقاهي الإنترنت (شكل 7-8).

وتكشف النتائج أن الخلل بالمناظرات العقلانية من الناحية التقنية يكمن في تقويض الأجهزة للإبداع الذي تتميز به الإنترنت (زيترين Zittrain، 2008). ولذلك، لا يمكن استبدال الأجهزة عمومًا بأجهزة كمبيوتر شخصية ولكنها تتمم وسائل التكنولوجيا المذكورة في الوقت والمكان المناسبين. ونلاحظ أن كل شخص تقريبًا، ممن يمتلكون شاشة

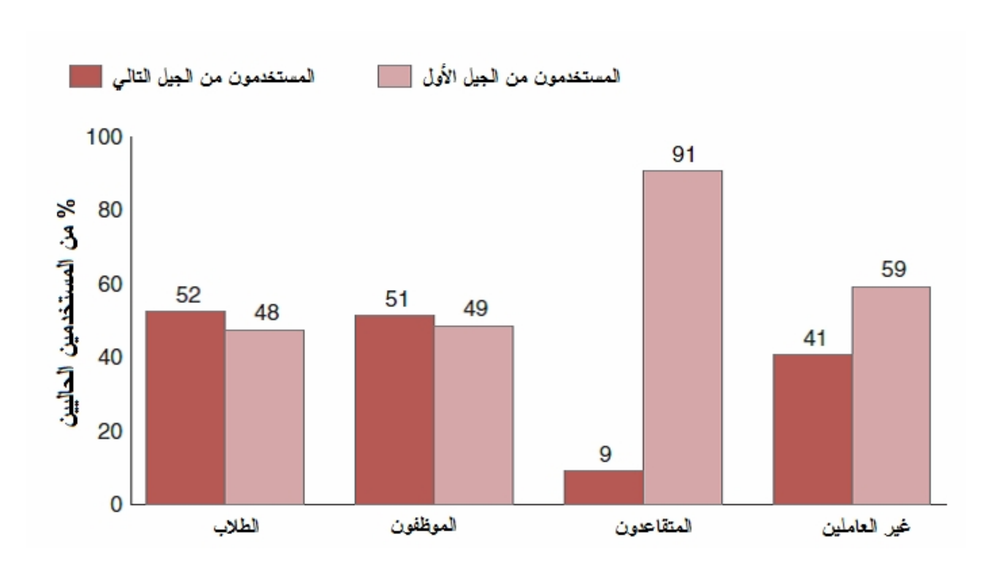


المستخدمون الحاليون. OxIS 2011:N = 1498

لوحية أو وحدة للقراءة، يحاول الاستزادة من وسائل التكنولوجيا المذكورة بدلاً من استبدال أنماط الدخول على الإنترنت.

شكل (7-8): مقارنة بين مستخدمين الجيل الأول والتالي من حيث المكان

وبشكل عام، وبخلاف المناظرات التقنية وموضوع التدجين، يميل المستخدمون من الجيل التالي، مقارنةً مع مستخدمين الجيل الأول، إلى إنشاء المحتوى والاستمتاع بسُبل الترفيه على شبكة الإنترنت والبحث عن المعلومات بعدة طرق بالوقت والمكان الذي يتناسب مع حياتهم وأعمالهم اليومية بأسلوبٍ أكثر اندماجًا. وبالطبع، فإن كل من يسعون إلى إنشاء محتوى أو دمج الإنترنت بمعظم جوانب حياتهم اليومية يميلون إلى استخدام وسائل التكنولوجيا التي يستخدمها الجيل التالي، وفي هذا المعنى، نجد أن الأمر أصبح ذا صلة بعملية التدجين. ومن خلال التشكيل الاجتماعي لسُلطة المستخدمين، نلاحظ أن مستخدم الجيل التالي يتميز بعلاقته القوية بالإنترنت والمصادر التي توفرها له بغرض الحصول على المعلومات، أو الوصول إلى الأشخاص، أو الخدمات، أو وسائل التكنولوجيا الأخرى.



المستخدمون الحاليون. 1498 = N:2011 OxIS

شكل (7-9): مقارنة بين مستخدمين الجيل الأول والتالي من حيث مراحل حياتهم

وهنا نتساءل عن ماهية مستخدمي الجيل التالي. من أصبح منهم مخولاً للدخول على الإنترنت كالمستخدمين من الجيل التالي، ومن منهم لم يخول للقيام بذلك؟

ما المقصود بمستخدمي الجيل التالي؟

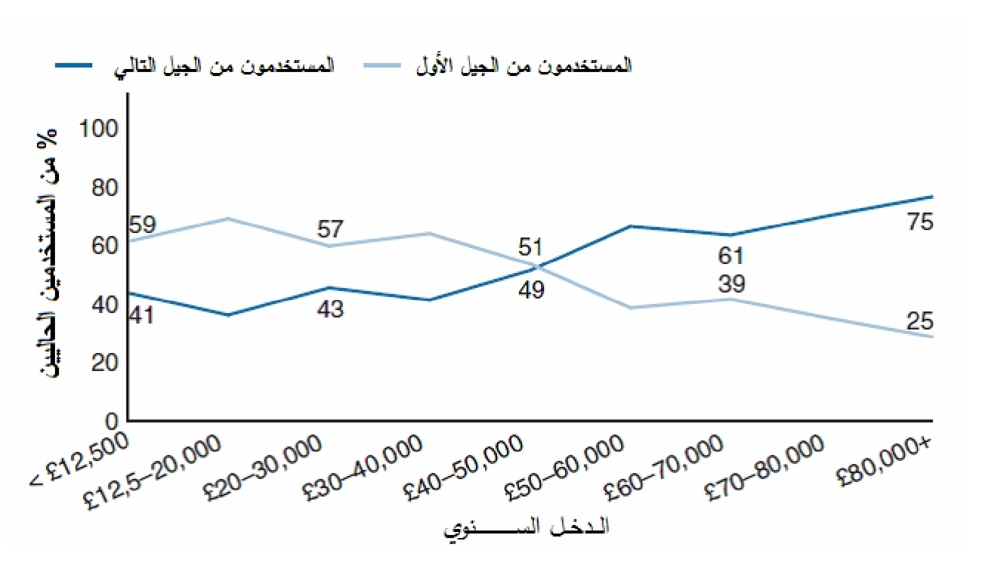
هل يُقصد بمستخدمي الجيل التالي ببساطة شباب عصر الإنترنت؟ ليس حقيقيًا. فالعمر والحياة يرتبطان باستخدام الجيل التالي، ولكن المتقاعدون أو من هم بسن التقاعد يبعدان كل البعد عن كونهما مستخدمين من الجيل التالي. وبالمثل، فإن العاطلين لا يمثلون جزءًا من الجيل التالي، بينما يُنظر للطلاب والعاملين على حدٍ سواء باعتبارهم مستخدمين من الجيل التالي.

وهي ليست ببساطة وظيفة الشباب أو الفئات العمرية. فمثلاً، يوجد 52٪ فقط من الطلاب ممن يمكن اعتبارهم مستخدمين من الجيل التالي (شكل 7-9). باختصار، تعتبر عملية التدجين غير متعادلة، حيث يمكن لبعض الناس تطويع وسائل التكنولوجيا الجديدة لخدمة مصالحهم واحتياجاتهم، بينما يفشل الآخرون في ذلك. وعلى هذا النحو، نجد أن

الابتكارات قد تعيد تشكيل عملية الدخول على الإنترنت من خلال إنشاء فجوة رقمية جديدة عبر الناس بمختلف مراحل حياتهم.

وهناك عامل أساسيّ آخر يرتبط بمستخدمي الجيل التالي ألا وهو دخل الأسرة. فهناك مستخدمين من الجيل التالي بكل مستوى من مستويات الدخل، إلا أننا نلاحظ وجود نسبة أكبر من مستخدمي الجيل التالي بين الفئات الأعلى دخلًا في بريطانيا (شكل 10-7)؛ فمن المفيد امتلاك مزيد من المال لشراء مجموعة متنوعة من الأجهزة باهظة الثمن.

يشكل مستخدم الجيل التالي مستوى جديدًا من الدخول على الإنترنت والويب الذي يدعم الأنماط الفاعلة بمجال إنتاج المعلومات ودمج الإنترنت بالعمل والحياة اليومية. ويشكل هذا النمط تكلفة جديدة للإنترنت الذي يعتبر سهل المنال بالنسبة للأغنياء بالإضافة إلى تنامي فجوة رقمية جديدة في بريطانيا، وربما لدى بعض الشعوب الأخرى، بين مستخدمين الجيل الأول ومستخدمي الجيل التالي.



المستخدمون الحاليون. OxIS 2011:N = 1498

شكل (10-7): مقارنة بين مستخدمي الجيل التالي ومستخدمين الجيل الأول من حيث الدخل

التكهن متعدد المتغيرات بالنسبة لمستخدمي الجيل التالي

تعد هذه الحبكات ثنائية المتغير إخبارية، ولكن يمكننا أن نوجز خصائص المستخدمين من الجيل التالي بأسلوب أكثر دقة باستخدام تحليلٍ متعدد المتغيرات والذي يعتمد على سبعة متغيرات ديموغرافية مستقلة حيث تُستخدم لوصف المستجيبين[9]. وهذه المتغيرات هي: العمر بالسنوات، ودخل الأسرة، ودرجة التعليم العالي، والنوع، والتقاعد، واستخدام الإنترنت في العمل، والزواج[10]. ويشتمل هذا النموذج على المتغيرات الديمغرافية كافة الموجودة بقاعدة البيانات بمسح أكسفورد للإنترنت (OxIS) لعام 2011.

وبشكل عام، نجد أن نتائج جدول (7-1) لا تثير الدهشة، حيث أنها تضاهي إلى حد كبير، وتُعزز، النتائج ثنائية المتغيرات بالأشكال السابقة. وتظهر النتائج أن أقوى متغير يتعلق بعامل التقاعد؛ حيث ينتمي 9٪ فقط منهم للمستخدمين من الجيل التالي مقارنةً بنسبة 49.3٪ من المستخدمين غير المتقاعدين (انظر أيضًا شكل 7.9)[11]. وتتمثل أقوى المتغيرات التالية في الحصول على درجة التعليم العالي واستخدام الإنترنت في العمل. بالإضافة إلى ذلك، فإن الأنشطة الخاصة بالأجيال التالية، كإنتاج المحتوى والاستخدامات الترفيهية، تتطلب مهارات خاصة. فمثلاً، نجد أن كتابة مدونة ناجحة تتطلب القدرة على الكتابة بشكل ممتع ومقنع. وهذه النوعية من المهارات تنتشر بين الأشخاص الذين يتمتعون بدرجة عالية من التعليم. علاوة على ذلك، فإن استخدام الإنترنت في العمل يُشير عادةً إلى مهمة أكثر تعقيدًا، سواء من الناحية الإدارية أو المهنية، وقد يشير أيضًا إلى مزيد من الخبرة بمجال الإنترنت (دوتون Dutton وبلانك Blank، 2011)[12]. ويوحي مفهوم التدجين بوجود عملية مماثلة بالبيوت، إلا أن بعض الأفراد وبعض العائلات يسعون للاستفادة من الابتكارات التكنولوجية كما يعيدون تشكيل عملية الدخول بوسائل التكنولوجيا التي من شأنها دعم احتياجاتهم ومصالحهم.

جدول (7-1): التكهن بالانحدار اللوجستيّ للمستخدمين من الجيل التالي

القيمة الاحتمالية (أو قيمة P)	نسبة الأرجحية	المتغير
0.001	0.96	العمر
0.001	1.21	الدخل
0.016	1.49	درجة التعليم العالي
0.041	0.75	النوع
0.006	0.33	التقاعد
0.019	1.47	استخدام الإنترنت في العمل
0.012	0.67	الزواج

N= 1047. MFadden's pseudo R2:16.1%. المصنفة بشكل صحيح 70.2٪.

يشير التحليل متعدد المتغيرات إلى أن الزواج يقلل من احتمالية الانتماء إلى مستخدمي الجيل التالي. ويعكس هذا الأمر الحقيقة التي مفادها أن الكثير من أنشطة المستخدمين من الجيل التالي ما هي إلا أنشطة مضيعة للوقت والتي لا يمكن مشاركتها في كثير من الأحيان. والجدير بالذكر أن الفرد المتزوج قد يحدد بعض الألويات لقضاء وقته كما يفضل القيام بالأشياء معًا. أما معامل النوع فيقول إنه يقل احتمال كون السيدات مستخدمين من الجيل التالي مقارنةً بالرجال. والجدير بالذكر أن اختراق الإنترنت المنزل يرتبط بتضييق الفجوة الرقمية. وقد يرجع إلى انتشار الأجهزة المتنقلة التي يمكن دمجها بالعمل أو الحياة اليومية للفرد ومن ثم إعادة تشكيل الانقسامات بين الجنسين إلى حد ما.

مشروع الإنترنت العالمي، خارج بريطانيا

وأخيرًا، بينما تقتصر هذه التحليلات المفصلة على بريطانيا فقط، فإن مشاركتنا بمشروع الإنترنت العالمي تدفعنا إلى مقارنة نتائجنا مع نتائج عشرات الدول الأخرى.[13] ومن منطلق عملنا في هذا السياق، فإننا لا نمتلك أي دليل على إمكانية تطبيق هذه الأنماط

الأساسية على شعوبٍ أخرى. ففي الدول الأقل تطورًا، على سبيل المثال، يقل التركيز على البيت باعتباره المكان الأساسي للدخول على شبكة الإنترنت، بينما يزيد التركيز على أماكن أخرى كمقاهي الإنترنت. وبالمثل، فهناك بعض الدول، مثل: بولندا (مشروع الإنترنت العالمي عام 2011)، لم تعاصر بعد زيادة في الأجهزة المتنقلة والدخول من خلالها على شبكة الإنترنت مثل: بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكثير من الدول الأخرى. وهذه هي بعض الاختلافات الطفيفة التي لا تشكك في النتائج العامة لتحليلاتنا بشأن ظهور مستخدمي الجيل التالي بمرور الوقت والأساليب التي يطبقها هؤلاء المستخدمون بهدف إعادة تشكيل إمكانية وصولهم إلى المعلومات أو الأشخاص أو الخدمات أو وسائل التكنولوجيا كاستخدام بعض الأجهزة التي تتمم أنماط أو إمكانية الوصول الدخول الأخرى.

المستقبل

وبشكل واضح، سوف يقوم مزيد من مستخدمي الهواتف المحمولة بالدخول على الإنترنت خلال السنوات القادمة، ولكن هذا التكهن قد أغفل الصورة الأكبر، بمعنى أن هذين الاتجاهين، إمكانية التنقل واستخدام أجهزة متعددة، وتضافرهما يُشكلان استخدام الجيل التالي. ويوضح الشكلان (7-1)، و(7-2) مدى قوة هذين الاتجاهين وإمكانية استمرارهما بالمستقبل القريب.

وبالتالي، يصبح من الضروري التمييز بين مستخدمي الإنترنت من خلال هذا البحث بأساليب جديدة. وتظل السرعة إحدى سمات البنية التحتية الجديدة التي من شأنها تشكيل عملية الدخول على الإنترنت. وقد انقضت أيام الانقسام بين الاستخدام الهاتفي ضيق الحزمة وعريض الحزمة (دوتون وآخرون 2004) حيث يعمل جميع المستخدمين ببريطانيا تقريبًا بمستوى الدخول بالحزمة العريضة. وهي حزمة لاسلكية عريضة تُمكن الفرد من استخدام الأجهزة المحمولة للدخول على الإنترنت بهدف الترفيه أو البحث عن المعلومات أثناء عملية التنقل. وبالرغم من ذلك، فإن السرعة والدخول اللاسلكي يعززان بالأساس الأنماط الجديدة للدخول ناهيك عن العوامل الأساسية التي تميز بين مستخدمي الإنترنت.

ومن منظور هذه الدراسة، نلاحظ أن التمييز الأساسي الجديد يكمن في التمييز بين استخدام الجيل الأول والجيل التالي. وبالتالي، فإنه من الضروري أن نتتبع زيادة استخدام الجيل التالي بالنسبة لغير المستخدمين، والمستخدمين السابقين، والمستخدمين من الجيل الأول. ويتطلب هذا البحث النظر إلى نتائج استخدام الجيل التالي من حيث أنماط الاستخدام والتضمينات المجتمعية. وإذا كان الجيل التالي حقًا يُشجع المستخدمين بأساليب جديدة، كما نرى، فإنه من الضروري التطرق إلى الفجوات الرقمية الجديدة التي شكلها مستخدم الجيل التالي.

تكمن المساهمة النظرية الأساسية لهذه الدراسة في توضيح بعض المشكلات بالمنظورات الحتمية من الناحية الاجتماعية والتكنولوجية. فالابتكارات التي ميزت مستخدم الجيل التالي تُعيد تشكيل عملية الوصول إلى المعلومات والأشخاص والخدمات بأسلوبٍ مشجع مقارنةً بباقي المستخدمين. أما بالنسبة لمن يدرسون أو يعملون أو من يتمتعون بمستوى تعليمي رفيع أو من يحصلون على دُخولٍ أعلى، فإنهم يمتلكون عادةً المهارات والمال الكاف لاستغلال هذه الإمكانية. ويتعارض هذا الأمر مع التكهنات التي تفيد بأن الإنترنت قد أصبح أكثر بساطة من الناحية التقنية مقارنةً بعصر الإنترنت المعتمد على أجهزة الكمبيوتر. علاوةً على ذلك، فإن بعض الأجهزة قد تُستخدم للإضافة إلى بعض الأدوات الموجودة بالفعل. وبالتعارض مع منظور التدجين، يستطيع بعض الأشخاص تطويع وسائل التكنولوجيا الجديدة أكثر من الآخرين وقد تنطوي هذه التكنولوجيا على تضمينات نظامية بالنسبة لمستخدميها، كإمكانية دمجها بحياتهم بأسلوبٍ يعزز من أهميتها.

وتوضح هذه الدراسة التناقض الملحوظ بالبحث الخاص بعملية التدجين. فمن ناحية، يطالب هذا البحث بوضع نظرية لتلافي الحتمية التكنولوجية (سيلفرستون Silverstone 2006) والتي تُركز على طريقة دمج الأشخاص لوسائل التكنولوجيا بحياتهم اليومية. ومن ناحية أخرى، يركز معظم الباحثين على الأشياء الفردية، مثل: أجهزة الكمبيوتر، والهواتف المحمولة، ووسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، فإن التعقيد الذي تتسم به الإنترنت يوضح مدى صعوبة هذه الدراسة، فبالنسبة للإنترنت لا يوجد سوى "شيء" واحد. وبجانب ذلك، فإن مستخدمي الجيل التالي لا يركزون على الأشياء.، فهم يسعون إلى الترفيه، أو البحث عن المعلومات، أو الحصول على وظيفة، أو نشر أعمالهم الإبداعية. ولإنجاز هذه المهام، فإنهم يقومون بجمع ودمج مجموعة من الأشياء معًا، كالهواتف الذكية، والشاشات اللوحية، ووحدات القراءة، وأجهزة اللابتوب، وسطح المكتب. بالنسبة لمعظم الناس، الأشياء لا تعني لهم الكثير، فمثلاً، يرغبون في الاستماع للموسيقى أو مشاهدة الأفلام ولا يهتمون كثيرًا بطريقة "استخدام الشاشة اللوحية". إن الاهتمام الشديد بوسائل التكنولوجيا بحد ذاته قد يميز الهواة، وبعض مستخدمي الإنترنت، ولكن يختلف الأمر بالنسبة لمعظم المستخدمين. وتعد هذه الطريقة، لفهم كيفية استخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لخدمة أهداف الناس، متسقة مع تشديد بحث التدجين على كيفية تطويع الناس للأشياء، إلا أنها حوّلت البحث من التركيز على الأشياء إلى التركيز على الأهداف التي يود الإنسان تحقيقها من خلال هذه الأشياء.

تعد الديناميكية أحد الجوانب الملحوظة بالإنترنت؛ بمعنى عدم بقاء الشيء على حالة من عامٍ إلى آخر، فمثلاً، نجد أن الارتفاع المفاجئ في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي منذ عام 2007 قد قدم أسلوبًا جديدًا تمامًا للناس للتواصل بأعدادٍ هائلة، كما أن إعادة اختراع شركة (أبل Apple) للمساعد الرقمي الشخصي PDA كالأيباد قد جعلت من "الشاشة اللوحية" الجديدة الشيء الكبير التالي. وتعد الإنترنت موقعًا لمجموعة متنوعة من وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وغيرها من الابتكارات العديدة. ويكمن الخلل بنظرية التدجين في افتراضها لمستوى معين من الاستقرار، وخاصةً وجود شيء ثابت ومحدد من شأنه التكيف ببطء مع حياة الأسرة. ولكن الإنترنت ليست مستقرة، حيث يُضاف إليها الكثير بصفة مستمرة. والجدير بالذكر أن كل التطورات الجديدة تجلب معها تحدياتٍ جديدة للناس وتدمجها بأسلوب حياتهم. وبجانب ذلك، فإن الموجات المستمرة من الابتكارات أيضًا تتحدى الأبحاث. ووسط استمرار عملية التغير، يكمن

التحدي في التعرف على أنماط الاندماج المستقرة والتي تستمر لفترة من الوقت. ويعد مستخدمو الجيل التالي هم أكثر هذه الأنماط حداثة.

وهنا يتطلب الأمر إجراء بحث جديد آخر. وسوف تكتمل بيانات المسح خاصتنا بإجراء مزيدٍ من الدراسات الكيفية التي من شأنها توسيع دائرة فهمنا بشأن مستخدمي الجيل التالي من خلال التحقق من معنى أنماط الاستخدام المذكورة بالنسبة لمستخدمي الجيل التالي، ومدى ارتباط هويات المستخدمين من الجيل التالي كونهم مستخدمين من الجيل التالي، وكيفية التحقق من الاستخدام داخل الأسرة، وموضوعات أخرى من الصعب تناولها بمعلومات المسح.

ملاحظات

1- يقدم زيترين Zittrain (2008) نظرة عامة عن ظهور مثل هذه الأجهزة ودلالاتها المحتملة بالنسبة للحصول على المعلومات والوصول إلى خدماتٍ أخرى.

2- لمزيد من المعلومات عن منهجية مسح أكسفورد للإنترنت OxIS، زوروا موقعنا على الإنترنت: http://microsites.oii.ox.ac.uk/oxis/methodology.

3- استخدام صيغة معدل الاستجابة RR1، التي عرفتها الجمعية الأمريكية لبحوث الرأي العام (AAPOR) (2011:44).

4- لمزيد من التفاصيل بشأن العينة والمنهجية، انظر ما ذكره بلانك Blank ودوتون Dutton (2011) في هذا الإطار.

5- إن قضية مناظرة ليسيج Lessig كونها حتمية من الناحية التكنولوجية قد تطورت على يد الباحث ماير-شونبيرجر Mayer-Schonberger.

6- يتطابق ذلك مع المراحل العامة في استخدام أحد الابتكارات، بدايةً من الاستخدام حتى التنفيذ والدمج في بروتين الحياة، بالرغم من افتراض روجرز Rogers (1962) وباحثين آخرين لترتيب هذه العوامل بصورة أقوى كونها مراحل متقطعة وغير مترابطة مقارنةً بالباحثين بمجال التدجين.

7- مثل: دراسة وي Wei (2011) عن الهواتف المحمولة.

8- الاستخدامات الأربعة هي: تصفح الإنترنت، واستخدام البريد الإلكتروني، وتحديث مواقع التواصل الاجتماعي، والعثور على التعليمات.

9- يشمل هذا النمط جميع المتغيرات الديمغرافية المتاحة بقاعدة بيانات مسح أوكسفورد للإنترنت OxIS (2011)، باستثناء شيء واحد، وهو أننا حاولنا أيضًا تجربة قياس المتغير ولكنه لم يكن هامًا من الناحية الإحصائية. والجدير بالذكر، أننا قمنا بتجربة مواصفات متعددة فيما يتعلق بكثير من المتغيرات بهذا النموذج. وبالنسبة للحالة الاجتماعية، فإن المتغير الكامل يشتمل على خمس فئات إلا أن فئة "الزواج" فقط هي الهامة من الناحية الإحصائية. وبالمثل، بالنسبة للتعليم، نجد أن فئة "درجة التعليم العالي" هي الأهم، أما بالنسبة للحياة، كانت فئة "التقاعد" هي الأهم.

10- تُحدد المتغيرات كما يلي، بالنسبة للعمر: بدايةً من 14 حتى 92 عامًا؛ وبالنسبة للدخل: متغير الفئة الثامنة؛ ودرجة التعليم العالي: وهي متغير وهمي يشير إلى حصول الفرد على درجة التعليم العالي من عدمه؛ النوع: وهو متغير وهمي يستخدم الذكور كمجموعة للمقارنة؛ التقاعد: متغير وهمي يشير إلى المتقاعدين؛ استخدام الإنترنت في العمل: متغير وهمي يشير إلى استخدامات الشخص في إطار وظيفته؛ الزواج: وهو متغير وهمي يشير إلى زواج الشخص من عدمه.

11- تقاس القوة بناءً على نسبة الأرجحية. إذا كانت نسبة الأرجحية 0.33 فقط، أصبحت فئة المتقاعدين بمثابة المتغير الأهم بالانحدار. وبالمثل، فإن نسبة الأرجحية بدرجة التعليم العالي واستخدام الإنترنت بالعمل تصل إلى 1.50 تقريبًا، مما يجعلها ثاني أهم متغير بالانحدار اللوجستي.

12- لاحظ أن، بالرغم من ذلك، عندما نقوم باستبدال قياس مباشر بهذا النموذج، فإنه لم يعد هامًا من الناحية الإحصائية.

13- للحصول على مزيد من المعلومات بشأن مشروع الإنترنت العالمي (WIP) والعينات القومية الأخرى، برجاء زيارة موقعنا على شبكة الإنترنت:
www.worldinternetproject.net/#news

المراجع

American Association of Public Opinion Researchers (2011) *Standard Definitions: Final Dispositions of Case Codes and Outcome Rates for Surveys*, 7th edn. www.aapor.org/Standard_Definitions/3049.htm.

Blank, G. and Dutton, W.H. (2011) "Age and Trust in the Internet: The Centrality of Experience and Attitudes Toward Technology in Britain." *Social Science Computer Review*. http://ssc.sagepub.com/content/early/2011/02/21/0894439310396186.

Danziger, J.N., Dutton, W.H., Kling, R., and Kraemer, K.L. (1982) *Computers and Politics: High Technology in American Local Governments*. New York: Columbia University Press.

Dutton, W.H. (1999) *Society on the Line: Information Politics in the Digital Age*. Oxford and New York: Oxford University Press.

Dutton, W.H. (2005) "The Internet and Social Transformation: Reconfiguring Access" in W.H. Dutton, B. Kahin, R. O'Callaghan, and A.W. Wyckoff, eds., *Transforming Enterprise*. Cambridge, MA: MIT Press, pp. 375-397.

Dutton, W.H. and Blank, G. (2011) *Next Generation Users: The Internet in Britain*. *Oxford Internet Survey 2011*. Oxford: Oxford Internet Institute, University of Oxford.

Dutton, W. H., Gillett, S. E., McKnight, L. W., and Peltu, M. (2004) "Bridging Broadband Internet Divides: Reconfiguring Access to Enhance Communicative Power." *Journal of Information Technology*, 19(1), 28-38.

Haddon, L. (2006) "The Contribution of Domestication Research to In-Home Computing and Media Consumption." *Information Society*, 22, 195-205.

Haddon, L. (2007) "Roger Silverstone's Legacies: Domestication." *New Media & Society*, 9, 25-32.

Haddon, L. (2011) "Domestication Analysis, Objects of Study, and the Centrality of Technologies in Everyday Life." *Canadian Journal of Communication*, 36, 311-323.

Lessig, L. (1999) *Code and Other Laws of Cyberspace*. New York: Basic Books.

Livingstone, S. (1992) "The Meaning of Domestic Technologies: A Personal Construct Analysis of Familial Gender Relations" in R. Silverstone and E. Hirsch, eds., *Consuming Technologies: Media and Information in Domestic Spaces*. London: Routledge, pp. 113-130.

Mayer-Sch¨onberger, V. (2008) "Demystifying Lessig." Wisconsin Law Review, 4, 713-746.

Punie, Y. (1997) "Rejections of ICT in Flemish Households: The Why-Not Question" in R. Silverstone and M. Hartmann, eds.,*EMTELWorking Paper*

No. 3. Media and Information Technology: Regulating Markets&Everyday Life. Brighton: University of Sussex, pp. 46-72.

Rogers, E.M. (1962) *Diffusion of Innovations*. New York: Free Press.

Silverstone, R. (1996) "Future Imperfect: Information and Communication Technologies in Everyday Life" in W.H. Dutton, ed., *Information and Communication Technologies - Visions and Realities*. Oxford: Oxford University Press, pp. 217-231.

Silverstone, R. (2005) "Introduction" in R. Silverstone, ed., *Media, Technology and EverydayLife in Europe*. Aldershot: Ashgate, pp. 1-18.

Silverstone, R. (2006) "Domesticating Domestication: Reflections on the Life of a Concept" in T. Berker, M. Hartmann, Y. Punie, and K.J. Ward, eds., *Domestication of Media and Technology*. Maidenhead: Open University Press. pp. 229-248.

Silverstone, R. Hirsch, E., and Morley, D. (1992) "Information and Communication Technologies and the Moral Economy of the Household" in R. Silverstone and E. Hirsch, eds., *Consuming Technologies: Media and Information in Domestic Spaces*. London: Routledge, pp 15-31.

Wei, R. (2001) "From Luxury to Utility: A Longitudinal Analysis of Cell Phone Laggards." *Journalism and Mass Communication Quarterly*, 78, 702-719.

World Internet Project (2011) *World Internet Project Poland 2011*. Warsaw, PL: Agora S.A. and T.P. Group.

Zittrain, J. (2008) *The Future of the Internet - And How to Stop It*. New Haven, CT: Yale University Press.

الفصل الثامن

دراسات الويب القومية

قضية إيران أون لاين

ريتشارد روجرز Richard Rogers، **وإيثر ويلتفريد** Esther Weltevrede،
وإريك بورا Erik Borra ، **وسابين نيدرير** Sabine Niederer

مقدمة: دراسات الويب القومية

في عام 2007، نشر ريكاردو بيزا ياتس Richardo Baeza-Yates وزملائه، ببحثٍ عن شركة ياهو Yahoo! بمدينة برشلونة، مقالاً عن "خصائص نطاقات الويب القومية" حيث قاموا باستعراض مجالٍ جديد وهو ما أطلقنا عليه دراسات الويب القومية. والجدير بالذكر أن ما يميز هذا المقال هو تمييز المؤلفين بين الدراسات التي أُجريت خلال فترة التسعينات من القرن العشرين عن خصائص "الويب" والدراسات التي أُجريت بعدها

الدليل إلى ديناميكية الإعلام الجديد، الطبعة الأولى، منقحة على يد جون هارتلي "John Hartley" و جين بورجس "Jean Burgess" و أكسيل برونز"Axel Bruns".© شركة بلاكويل المحدودة للنشر 2013 "Blackwell Publishing Ltd". نُشرت شركة بلاكويل المحدودة للنشر هذا الكتاب عام 2013 .

بعشر سنوات عن "شبكات الويب القومية" (كيهو وآخرون Kehoe et al.، 1999؛). بيزا ياتس وآخرون Baeza-Yates، 2007). إن مصطلح "الويب القومية" يبدو مفيدًا، كما نرى، في الحصول على نقلة تاريخية بدراسة الإنترنت، وخاصةً فيما يتعلق بكيفية تحديد إدراك موقع الويب للإنترنت باعتبارها موضوعًا للدراسة. وتُعرف شبكة الويب القومية على أنها وسيلة لإيجاز مرحلة التحول في مجال الإنترنت من "الفضاء السايبري أو الإلكتروني" الذي يحدد مجالاً بلا مكان للبريد الإلكتروني والرزم حتى النطاقات القومية المميزة للويب (مثل: de.، fr.، gr. وغيرها) بجانب مواقع الإنترنت التي يتماشى محتواها وإعلاناتها ولغتها مع موقع شخص ما. وبعبارة أخرى، فإننا نغير في موضوع الدراسة كما نطرح أسئلة حول دراسة الديناميكيات الجديدة على شبكة الإنترنت. كيف نقوم بدراسة الويب بعد الفضاء السايبري؟ إننا ندفع بأن شبكة الويب القومية مفيدة على نحو يتجاوز نطاق المستوى المفاهيمي، حيث تمكننا من دراسة الظروف الراهنة لفضاء الويب المحددة خلال الخطوط القومية، وذلك حسبما أشار بيزا ياتس Baeza-Yates وزملاؤه عند مقارنة إحدى شبكات الويب القومية بأخرى. وقد تكون مفيدة أيضًا بالنسبة لدراسة الظروف عبر شبكة الإنترنت والظروف خارجها، بمعنى أن دراسات الويب القومية تعد مثالاً آخر لتنميط الدولة.

وهنا، بناءً على العمل التشخيصي لشبكة الويب، فإننا نقدم أسلوبًا لدراسة الشبكات القومية التي تضم سلسلة من المناظرات المنهجية (كيف تقوم بدراسة شبكة الويب القومية) كما نضع أساسًا منطقيًا شاملاً لدراستها (لماذا نقوم بدراسة شبكة الويب القومية). وعند التركيز على ما سبق، فإننا نطرح سؤالاً بشأن تعدد خبرات مستخدم الويب بجانب ممارسات جمع البيانات الإضافية عن شبكة الويب (التي قد يشارك بها المستخدم بشكل فعال أو سلبي).

بالإضافة إلى ذلك، فإن محركات البحث وشركات معلومات الويب الأخرى مثل: شركة أليكسا Alexa تقوم بجمع المعلومات بشكل روتيني من المستخدمين الذين يقومون بالبحث واستخدام أشرطة الأدوات على سبيل المثال. ويُنظر أيضًا إلى المنصات التي

"يتشاركها الجمهور" عن طريق النشر أو التصنيف باعتبارها أدوات لجمع البيانات وآلات تحليلية. والجدير بالذكر أن نتائج هذه الممارسات الخاصة بجمع وحصر البيانات تقوم بتصنيف قوائم اليو ار ال URL، المرشحة أمام المستخدمين. وعند إضافة الموقع كمتغير، فإن قوائم اليو ار ال URL تُصبح خاصة بالبلد أو الإقليم. وبالمثل بالنسبة للغة، بمعنى أنه يتم خدمة مواقع الإنترنت بلغة معينة سواء جزئيًا أو كليًا. وبالتالي، يصبح المرء قادرًا من الناحية العملية على الحديث عن مواقع الويب الخاصة بالدولة و/ أو مواقع الويب ذات لغة معينة والتي تُنظم وفقًا للبيانات التي يتم جمعها وتحليلها باستخدام محركات البحث أو المنصات أو أدواتٍ أخرى. والجدير بالذكر أن مستخدمي هذه الأدوات يعتمدون على بياناتهم الخاصة ومجموعة مختارة من أهم عناوين اليو ار ال URL. ولذلك، قد تؤثر عملية التشخيص على عناوين اليو ار ال URL الخاصة بالدولة، بالرغم من التأثير الضعيف على نتائج محركات البحث (فيوز Feuz et. al وآخرون 2011). وبالتالي، فإننا لم نتطرق إلى آثار عملية التشخيص هنا (بريزر 2011 Pariser).

بالإضافة إلى ذلك، فإننا نطلق مصطلح "الثقافة الآلية" على التفاعل القائم بين المستخدم ومحرك البحث، والبيانات التي تم جمعها، وكيفية تحليلها، وأخيرًا، توصيات عناوين اليو ار ال URL الناتجة. وفي دراسة الحالة هذا الفصل من الكتاب، تجد أننا نناقش سلسلة من الثقافات الآلية وأنماط من شبكات الويب القومية التي تنظمها مثل هذه الثقافات. بالإضافة إلى ذلك، فإننا نناقش شبكات الويب الخاصة بأصحاب المدونات والإعلانات ومتصفحي الإنترنت والباحثين وشبكات الويب المحتشدة بالجماهير التي تشكلها الأجهزة والمنصات عبر شبكة الإنترنت والتي من شأنها جمع البيانات والمطالبة بتقديمها أو توفيرها بأسلوبٍ أو بآخر بشبكة ويب خاصة بالدولة، أو متخصصة اللغة. وعلى النقيض، فإننا نستخدم أجهزة الويب "المحلية" - وهي الأجهزة التي لا تجمع محتوى الويب فحسب بل تخدمه على المستوى الإقليمي (أو القومي عادةً) أو تقدمه لمجموعة لغوية محددة. وقد أدركنا أن مفهوم المحلية يتطلب معنيين مميزين قابلين للتوفيق، في بعض الحالات، وغير قابلين للتوفيق، في حالاتٍ أخرى.

علاوةً على ذلك، فإن محركات البحث قد تخدم مواقع الويب متخصصة اللغة التي تنشأ من داخل الدولة وكذلك من خارج الدولة التي نحن بصدد الحديث عنها. فمثلاً، نجد أن "موقع جوجل المحلي" البوليفيّ (Google.com.bo) قد يخدم النتائج الخاصة بإسبانيا أو بوليفيا أو كولومبيا، حيث إن كلتا الدولتين تتحدثان الإسبانية. وبالتالي، عند مناقشة قضية تراجع الفضاء السايبيري وظهور شبكة الويب المدرك حسب الموقع، نجد أن العلاقة متوترة بين الأسلوبين السائدين الجديدين لتفسير موضوع الدراسة، وهما، شبكات الويب القومية في مقابل شبكات الويب اللغوية. والجدير بالذكر أننا ندرك مدى التوتر القائم بين الأسلوبين الجديدين المستخدمين لدراسة الويب بعد دراسة الفضاء السايبري، كما نعرف أن شبكات الويب "المحلية"، التي تهتم بكيفية صياغة جوجل لمحركات البحث القومية كما ذكرنا آنفًا، قد تشير إلى شبكات الويب القومية أو اللغوية أو كليهما معًا.

بالإضافة إلى ذلك، فقد ناقشنا سبل التخطيط لشبكة ويب قومية، والتي تضمنت إجراءات اختيار العينة. والجدير بالذكر أننا نهتم بفعالية نتائج البحث من حيث فصل وتقسيم الأجزاء المتنوعة لشبكة الويب القومية - الخاصة بأصحاب المدونات أو الإعلانات وما إلى ذلك. هل تتشابه عناوين اليو ار ال URL المصنفة باعتبارها "مدونات رئيسية" من قِبل مواقع المدونات مع عناوين اليو ار ال URL المصنفة باعتبارها شيقة من جانب المنصات المحتشدة بالجماهير؟ هل تتماثل قائمة عناوين اليو ار ال URLs ذات كثافة الزيارات المرتفعة والمساحة الإعلانية المتاحة بالنسبة للمتحدثين بلغة محددة (كالفارسية) مع القائمة التي تضم أهم مواقع الويب بالدولة التي نحن بصدد الحديث عنها (كإيران مثلاً)؟ ونستخلص من ذلك أن فصل أجزاء وقوائم عناوين اليو ار ال URL قد يكون أمرًا مفيدًا، فقد تشتمل المدونات القومية على خصائص مختلفة عن خصائص شبكة الويب القومية المحتشدة بالجمهور.[1]

إن الأساس المنطقيّ لدراسة شبكة الويب القومية لا يتضمن نقد شبكة الويب كونها حيزًا بلا مكان، أو كونها معممة، فحسب، بل يعد أيضًا وسيلة لتطوير التحليلات

الإضافية بشأن العلاقات القائمة بين مقاييس الويب والمؤشرات الأساسية. وتتركز هذه الدراسة أيضًا على تناول الطرق الرقمية اللازمة لفهم أهمية حيز شبكة الويب القومية. ونقصد بالطرق الرقمية تلك القواعد الرياضية وتقنيات الحساب الأخرى التي تشتمل على مدخلات رقمية كالروابط وشفرات مواقع الويب والتي تتعلق تطبيقاتها بدراسة الثقافة وحدها عبر شبكة الإنترنت (روجرز Rogers 2009). وسوف نناقش مقاييس تحليل صحة شبكة الويب القومية مثل: الاستجابة والحداثة وإمكانية الوصول. وقد تعرضنا لمثل هذه التحليلات من قبل بغرض تشخيص حالة العراق (عام 2007، أربع سنوات تقريبًا بحرب العراق) بالنظر إلى "شبكة الويب الخاصة بها" (مبادرة الطرق الرقمية 2007). وقد وجدنا شبكة ويب محطمة، حيث كانت مواقع الويب التعليمية بالعراق متوقفة ومعطلة. علاوةً على ذلك، فقد عانت مواقع العراق الحكومية من الإهمال باستثناء موقع وزارة البترول (www.oil.gov.iq) الذي كان ثنائي اللغة ويُحدث بانتظام. ومن خلال رحلتنا الموجزة بدولة العراق عبر شبكة الويب العراقية، فقد سعينا إلى تطوير سلسلة من المقاييس المفاهيمية والتجريبية اللازمة لتشخيص صحة شبكة الويب.

الحظر مع إمكانية التدوين: قضية إيران الخاصة

في هذا الفصل، نتطرق إلى إيران باعتبارها دراسة حالة.[2] وتعد قضية إيران قضية خاصة في كثير من النواحي نظرًا لأن مصطلح "شبكة الويب القومية" ذاته قد يُفسَّر على أنه تأسيس بنية تحتية منفصلة كالإنترنت (رودز Rhoads وفاسيهي fassihi 2011). وبجانب ذلك، فإنها تعد قضية خاصة أيضًا نظرًا لنطاق ومجال رقابة الإنترنت التي تطبقها الدولة والتي تقترن بردع وقمع الأصوات المعارضة للنظام. وبعبارة أخرى، تختلف شبكة الويب الإيرانية من الداخل عن الخارج، وهو شأن جميع الدول الأخرى التي تُطبق بها رقابة الإنترنت. وتبدو إيران مختلفة من الخارج عن الداخل. ونتيجةً لذلك، يحتاج كثير من الإيرانيين، سواء المؤلفين أو زوار الموقع الالكتروني، من الداخل أو الخارج، إلى مجابهة الرقابة عبر شبكة الإنترنت. من الداخل، نعني بمجابهة الرقابة تثبيط المرء وانتظار صديقٍ أو قريبٍ لنقل الأخبار إليه بشأن الشبكة الإلكترونية الخاصة (VPN) أو أي وسيلة أخرى

للتغلب على العقبات. وقد يُقصد بها مراوغة الرقابة من خلال الشبكات الإلكترونية الخاصة (VPNs) ووحدة الخدمة الفرعية وجوجل ريدر Google Reader أو طرق أخرى. وسواء داخل أو خارج الدولة، يُقصد بمصطلح المجابهة التعرف على (وليس استخدام) الكلمات المحظورة وربما استخدام الكلمات المشفرة والأخطاء الهجائية. وقد تعني الرقابة الذاتية أيضًا. أما التعامل مع الوحشية عبر شبكة الإنترنت، فهو أمر آخر. فمثلاً، قد يقوم الجيش الإيراني الالكتروني بتحذير أو ملاحقة شخص ما (ديبيرت Deibert وروهزينسكي Rohozinski 2010). وقد يتمكن المرء من حماية نفسه من خلال اختيار برنامج إلكتروني معين أو تفضيل منصة معينة عن أخرى بناءً على أيهما توفر له الحماية والخصوصية المطلوبين. وقد يستخدم المرء نظام وردبريس (Wordpress.com) لسهولة اختيار بريد إلكتروني جديد كوسيلة للدخول على شبكة الإنترنت أو موقع فريندفيد Friendfeed للقدرة على تغيير اسم المستخدم.

وبعد أن ذكرنا بعض الأسباب التي تشير إلى أهمية هذه القضية، نود أن ننوه إلى وجود مقاييس عامة كاستجابة الموقع وحداثته والتي يمكن الاعتماد عليها عند دراسة بعض الدول كإيران. فمثلاً، إذا حظرت الدولة بعض المواقع فإنها تستمر في الاستجابة والتحديث، ويحدث ذلك داخل وخارج إيران. وقد توجد مؤشرات على المراوغة المنتشرة للرقابة، كما وجدنا بالفعل. وبالتالي، فإن منع بعض مواقع الويب بإجراءات اختيار العينة قد يفيد. ولذلك، فإن مواقع التدوين الإيرانية، أو المدونين الإيرانيين الذين يقرؤون عبر جوجل ريدر Google Reader أو يصنفون باستخدام خادوم لايك خور Likekhor، قد تُحظر من جانب الدولة ومع ذلك، تستمر في التدوين. إن "الحظر مع إمكانية التدوين" قد يكون شعار الأجزاء الحيوية على الأقل بشبكة الويب الإيرانية.

وبالرغم من ذلك، يتم إنشاء مواقع الويب القومية بشكل روتيني. ويقال إن شبكات الويب القومية قد ظهرت مع ظهور وسائل التكنولوجيا المحلية، حيث يتم التعامل مع تطبيقات الويب القومية (أو متخصصة اللغة) مثل جوجل من الجانب القومي (مثل: Google.gr نسبةً إلى اليونان) إلى جانب الإعلانات التي تستهدف المحليات والمعلومات

التي تخضع للقوانين المحلية (جولد سميث Goldsmith ووو Wu 2006؛ شميدت Schmidt 2009).

وهناك بالفعل مجموعة من الأعمال الأدبية التي يمكن الرجوع إليها عند دراسة شبكات الويب القومية بدايةً من الدراسات الاثنوجرافية الرائدة لشبكات الويب القومية بجمهورية ترينداد و توباجو حتى الأعمال المشهورة التي تناولت الحديث عن وسائل الإعلام باعتبارها وسيلة لتنظيم المجتمع القوميّ بشكل عام (هيجسون Higson 1989؛ أندرسون Anderson 1991؛ ميلر Miller وسلاتر Slater 2000؛ جينسبيرج وآخرون Ginsburg 2002). وفي الدراسات السياسية أيضًا، "تُخطَط" مواقع الويب القومية ، أو بعضها، لنقل المناظرات الخاصة بمدى تنظيم الويب، وخاصة مواقع التدوين، للأصوات (كيلي Kelly وإيتلينج Etling 2008 وآخرون 2010). ويجدر بنا الحديث هنا عن أعمالٍ ذات صلة والتي تسعى لبناء الأدوات المطلوبة لتجنب الرقابة، ومن ثم يستمر سماع الأصوات (جلانز Glanz وماركوف Markoff 2011؛ روبيرتس وآخرون Roberts 2011). أما في علم المكتبات، فقد أُسست مواقع الويب القومية من قِبل المكتبات القومية ومشاريع الأرشفة القومية التي نظرت بعين الاعتبار إلى تعريف هذه الويب (أرفيدسون Arvidson وليتينستروم Lettenstrom 1998؛ آرمز Arms وآخرون 2001؛ أبيتبول Abiteboul وآخرون 2002؛ كوربين Koerbin 2004). وهناك أرشيفات متنوعة بشأن شبكات الويب القومية. أما الدول التي تسن تشريعات الإيداع القانوني بالنسبة للكتب ومحتوى الويب أيضًا (كالدنمارك) فإنها تميل إلى تأسيس أرشيف ويب أكبر من الدول التي لا تمتلك مثل هذه التشريعات (مثل: هولندا) (بادي ن.د. PADI n.d.؛ لاسفيرجيوس Lasfargues وآخرون 2008).

تعريف مواقع الويب القومية، ودلالات احتكار شبكة الويب القومية

خلال إجراء هذا البحث، يجب أن ننظر بعين الاعتبار إلى تعريف أُمناء الأرشيف لشبكات ومواقع الويب القومية. كيف تقوم المكتبات القومية بتعريف شبكات ومواقع الويب القومية؟

ما المستفاد من عملهم التعريفيّ؟ على سبيل المثال، قامت المكتبة الملكية بهولندا، بعد تقصي التعريفات المماثلة لمواقع الويب القومية من مشاريع الأرشفة ببعض الدول الأوروبية الأخرى، بتعريف موقع الويب باعتباره "هولنديًا" إذا انطبق عليه واحد أو أكثر من هذه الاختبارات التالية:

1- اللغة الهولندية، والتسجيل بهولندا.

2- أي لغة، والتسجيل بهولندا.

3- اللغة الهولندية، والتسجيل خارج هولندا

4- أو أي لغة، والتسجيل خارج هولندا، مع ارتباط موضوع البحث بهولندا. (ويلتفريد Weltevrede 2009)

وهنا في المثال الأول، نود أن نناقش مدى تأثير التعريف على تقنية جمع البيانات، سواء كانت ذاتية أو يدوية. فإذا كان على المرء أن يبدأ بمواقع النطاق القوميّ (.nl)، فإنه يمكن اكتشاف هذه المواقع (سواء كانت باللغة الهولندية أو بأية لغة أخرى) أوتوماتيكيًا باستخدام برامج إلكترونية كما يتسنى للمرء حذفها من قائمة be. (من بلجيكا، حيث يتحدثون اللغة الهولندية والفلمنكية) بإجراءات جمع البيانات، ما لم تتم معالجة الموضوعات الهولندية. (وقد يندهش مستخدمو أرشيف الشبكة الهولندية القومية عند مشاهدتهم لمواقع الويب البلجيكية المخزنة بها لأي سبب من الأسباب) وبالرغم من ذلك، يمكن وصف الدراسة التي أجرتها المكتبة الملكية باعتبارها دراسة تمهيدية، بمعنى أن مواقع الويب التي ترتبط بالموضوعات الهولندية ومواقع الويب المخصصة باللغة الهولندية ولكنها مسجلة خارج هولندا (خارج النطاق القومي) تفرض تحديات معينة على الآلية ولاسيما عند العمل بنطاقٍ واسع. وفي مجال تطبيق البحث، لن يتمكن المرء من اكتشاف واحتكار هذه الأنواع من المواقع بطريقة آلية، ومن ثم يمكنه حينئذٍ تشكيل قائمة بها قبل احتكارها مع مرور الوقت. أما بخصوص الدراسات التشخيصية لشبكة الويب القومية التي استعرضها بايزا ياتس Baeza-yates وآخرون (2007) وناقشوها في البداية، فيُنظر للنطاق القوميّ (المعروف بالنطاق الأعلى في ترميز الدولة ccTLD) باعتباره الكيان

المنظم. ومن الناحية العملية، بالرغم من ذلك، تستخدم كثير من الدول (أو الأهالي) عناوين اليو ار ال URL خارج نطاقهم القومي، مثل: com. و net.، وorg. . وكما سنلاحظ فيما يلي، قد لا تكون المواقع الإيرانية، التي تبدأ بـ (ir.) في الواقع نقطة البداية المفضلة لتخطيط شبكة الويب الإيرانية القومية. وفي الحالة التي نحن بصددها، نجد أن النسبة المئوية للمواقع الإيرانية ir. المحظورة ضئيلة للغاية مقارنة بمواقع com. مثلاً. وبالتالي، يبدو أن مواقع ir. تتمتع بخصائص مختلفة عن باقي المواقع الأخرى التي يتصفحها الإيرانيون.

وفي محاولة لوصف الاعتبارات التي يضعها المحلل في الحسبان عند البدء بتخطيط شبكة ويب قومية، و في الوقت ذاته توجيه هذه الأفكار وخاصةً تجاه إيران، قمنا بدايةً بفحص مجموعة مختارة من المدونين الإيرانيين بشأن "شبكة الويب الإيرانية" وخاصةً التي تحمل نفس أفكار موقع الويب الإيراني وشبكة الويب القومية.

علاوةً على ذلك، فإننا نهتم بتعارض التعريفات الخاصة بشبكة الويب القومية "الأساسية" مع تلك التعريفات التي تعتمد على الثقافات الآلية. ونقصد بمصطلح "الأساسية" تلك التعريفات البديهية لكل ما يُشكل شبكة الويب القومية ومواقع الويب القومية، كالمكتبة الملكية آنفة الذكر. ونقصد بالثقافات الآلية شبكات الويب التي تشكلت عن طريق جمع وتحليل بيانات المستخدم ومن ثم، إنتاج المواقع الرائدة بالدولة و/ أو اللغة. وقد ذكرنا سالفًا بعض نتائج التخطيط لشبكة ويب قومية، في حين تعتمد مواقع الويب القومية ذات الصلة بالأرشفة على الخصائص الشكلية للمحتوى. وبالتالي، أصبح من الصعب جمع البيانات بأية حال.

وفي بحثٍ تحضيري أجراه طالب بالدراسات العليا بوسائل الإعلام الجديدة عن مفهوم شبكة الويب الإيرانية، شمل مسح صغير، بجامعة أمستردام، 141 مدونًا إيرانيًّا ممن يستخدمون جوجل ريدر (Gooder) بشبكة جوجل ريدر Gooder network (زارينباخش Zarrinbakhsh 2011). وقد وُضعت مجموعة متنوعة من التعريفات الخاصة بشبكة الويب القومية وقد طُلب من الجمهور اختيار التعريف الأنسب (ويمكنهم اختيار إجابات متعددة). في البداية، استقبل الجمهور هذا السؤال بشيء من الريبة، فقد يكون

المصطلح ذاته خدعة محتملة دبرتها الحكومة الإيرانية لإنشاء شبكة إنترنت خاصة بها ومن ثم، تقوم بعزل الشعب والدولة، حسبما ذكر الطالب. وفي التعليقات الواردة عن هذا السؤال، كتب أحدهم أن الإنترنت ما هي إلا "مجال حُر" وأن أفكار شبكة الويب القومية سوف "تحجم" هذه الحرية.

وقد طرح المسح هذا السؤال: "ما المقصود بـ "موقع الويب الإيراني"؟" مع توفير بعض الخيارات المحتملة:

1- هو الموقع المخصص باللغة الفارسية فقط.
2- هو الموقع المخصص باللغة الفارسية وغيرها من اللغات (واللهجات) المنطوقة بإيران.
3- هو الموقع المنشأ من جانب الإيرانيين.
4- هو الموقع الذي يهتم بالقضايا الإيرانية.
5- هو الموقع الذي يستخدمه الإيرانيون.
6- النطاق القومي (.ir).
7- الرجوع إلى موقع جوجل

في البداية، لاحظ انتشار ما يُشكل شبكة الويب القومية سواء بدراسات تشخيص النطاق القوميّ أو بحالة تشكيل شبكة الويب الهولندية من جانب المكتبة الملكية Royal Library. وعلى نحو خاص، نجد خياري "هو الموقع الذي يستخدمه الإيرانيون" و "الرجوع إلى موقع جوجل" قد أُضيفا مؤخرًا كونها تركيباتٍ مرشحة لشبكة الويب الإيرانية حيث يُنظر لشبكة الويب الإيرانية باعتبارها مسحًا خاصًا باستهلاك وسائل الإعلام التقليدية بشأن المواقع الأكثر استخدامًا. أما الخيار التالي، بشأن علاقة موقع جوجل Google بشبكة الويب الإيرانية، فهو أكثر غموضًا. فقد يضاهي موقع جوجل Google شبكة الويب بشكل عام، كونهما يمثلان نقطة للدخول؛ أو قد يكتشف المرء شبكة الويب الإيرانية بمساعدة جوجل Google.

وبشكل عام، يعتقد 12٪ من المشاركين أن مواقع الويب الفارسية فقط هي التي تُعرف بمواقع الويب القومية؛ بينما قام 31٪ آخرون بفحص صندوق مواقع الويب

الفارسية واللغات واللهجات الأخرى المنطوقة بإيران؛ في حين نظر 45٪ إلى المحتوى الإيرانيّ باعتباره يمثل جزءًا من شبكة الويب القومية؛ بينما وافق 29٪ منهم على الرأي القائل بأن كل ما يتعلق بالقضايا الإيرانية يدخل في نطاق شبكة الويب الإيرانية القومية؛ ويشير 19٪ من المشاركين إلى أهمية اعتبار مواقع الويب المستخدمة من جانب الإيرانيين شبكة ويب قومية. ونلاحظ اعتراض البعض بشدة على هذا الخيار الخامس مؤكدين أن بإمكان أي شخصٍ الدخول على أي موقع، ومن ثم يعد هذا الخيار ضعيفًا. وقد اختار 4٪ فقط من إجمالي عدد المشاركين مواقع الويب ذات النطاق الإيراني (.ir)، الأمر الذي يدل ضمنيًا على أن تعريف دراسات الويب القومية الذي يعتمد على النطاق فحسب هو تعريف غير رائج. وبجانب ذلك، يرى 9٪ من المشاركين أن مواقع الويب التي تظهر بنتائج البحث بموقع جوجل Google هي التي تُشكل شبكة الويب (الإيرانية القومية).

وأخيرًا، بشأن القضية التالية الذي تتناول مسألة وجود أي اختلاف بين الكتابة داخل وخارج الدولة، يوافق ثلث المشاركين تقريبًا على التقرير التالي لغلام خياباني Gholam Khiabany، الباحث بمجال الاتصالات:

> "إذا عرفنا المدونات الإيرانية من حيث اللغة، فإن ذلك يعني إغفال عدد هائل من المدونين الإيرانيين الذين يكتبون بلغاتٍ أخرى، أبرزها اللغة الإنجليزية، مع تضمين عدد من المدونين بأفغانستان أو طاجيكستان ممن يكتبون باللغة الفارسية. علاوةً على ذلك، فإن التركيز أيضًا على المدونين الإيرانيين الذين يكتبون داخل الدولة، يدفعنا إلى استثناء عدد هائل من المدونين الإيرانيين ممن يكتبون باللغة الفارسية خارج إيران." (خياباني Khiabany وسريبرني Sreberny 2007:565)

وبناءً على نتائج المسح المذكورة، ومناظرة خياباني Khiabany، يخلص المحلل إلى إمكانية تعريف شبكة الويب القومية باعتبارها إحدى الشبكات المنشأة من جانب الإيرانيين، بصرف النظر عن مكانهم أو اللغة التي يكتبون بها أو موضوع البحث. عمومًا، يبدو أن تعريف شبكة الويب القومية قد يشمل المواقع ذات المحتوى المصدق عليه من

جانب الإيرانيين خارج إيران والمكتوب بلغات أخرى خلاف الفارسية، والقضايا التي قد لا ترتبط بالشئون الإيرانية. وبناءً على هذا التعريف، نجد أنه من المستحيل تقريبًا التخطيط لشبكة ويب إيرانية! ولكن، على أية حال، نلاحظ أن اكتشاف المواقع المصدقة من جانب الإيرانيين خارج إيران والمصممة بلغات أخرى خلاف الفارسية قد يتطلب عملًا يدويًا. ومن الجدير بالذكر أن التعريف الذي أقرته المكتبة الملكية بهولندا يتطلب أيضًا عملًا يدويًا، إلا أن تعريفها للمواقع الهولندية لا يشمل المواقع المصدقة من جانب الهولنديين بالخارج والمصممة بلغاتٍ أخرى خلاف الهولندية ما لم يكن موضوع البحث متعلقًا بهولندا.

وبعد تناول ومناقشة ما أطلقنا عليه لقب الدراسات الأساسية وتعريف شبكات الويب ومواقع الويب القومية، فقد اتجهنا إلى تحليل مخرجات الأجهزة، والتي سوف نتطرق إليها مرةً أخرى بشيء من التفصيل. ويرجع ذلك، من الناحية المنهجية، إلى أننا لم نبدأ بتعريفات بديهية عما يُشكل مواقع الويب الإيرانية، أو شبكة الويب الإيرانية، بالرغم من جاذبية هذه التعريفات من الناحية الشكلية والانطولوجية. وفضلاً عن ذلك، وكما سنوضح فيما بعد، فقد اعتمدنا على توصيات عناوين اليو ار ال URL التي تصممها أجهزة الويب والمنصات السائدة التي نجدها ذات صلة بدولة معينة و/ أو لغة معينة، من حيث علم الحساب والمنطق.

علاوةً على ذلك، فإن مساهمتنا بدراسات الويب القومية تشكل الأعمال الأدبية بشأن تشخيص شبكة ويب قومية، كما ناقشنا في بداية هذا الفصل، والدراسات السياسية أيضًا (والعلوم السياسية) بخصوص تنظيم الأصوات عبر شبكة الإنترنت. بالإضافة إلى ذلك، فإنها ترتبط أيضًا بدراسات الويب ونظرية الإعلام بالنظر إلى شبكة الويب القومية باعتبارها موضوعًا للدراسة. والجدير بالذكر أن مجمل الدراسة ليس مفاهيميًا فحسب، بل تجريبيًا أيضًا، وبالتالي فإننا نسعى إلى التعرف على خصائص حيز شبكة الويب القومية كونه مؤشرًا على الظروف المشار إليها. وترتبط هذه الخصائص بمدى استجابة شبكة الويب القومية في أي وقت ومدى إمكانية الوصول إليها. هل المواقع المستجيبة أيضًا

(تُحدَّث باستمرار)؟ هل تُحدث وتستجيب المواقع المحظورة؟ إننا نهتم أيضًا بأكثر من مجموعة البيانات الخاصة بشبكة الويب التقنية وكيفية توظيفها بالدراسات الاجتماعية. وكما ألمحنا بالفعل، بالنسبة لإيران على وجه الخصوص، فإنه يتم مراقبة محتوى مواقع الويب بعناية شديدة وقد يتم حظر الموقع أو ملاحقة مؤسسه. وفيما يلي نتطلع إلى تخطيط شبكة ويب قومية لدراسة وضعها الراهن.

تخطيط شبكة الويب الإيرانية: دراسة مخرجات الثقافات الآلية

يهدف هذا البحث إلى تخطيط شبكة ويب إيرانية اعتبارية وتحليل وضعها، وبذلك نتمكن من توفير دلائل على الموقف الذي نحن بصدد الحديث عنه. ونقصد بـ"شبكة الويب الاعتبارية" تلك الشبكة التي يمكن تنظيمها باستخدام الأجهزة والمنصات عبر الإنترنت وكيفية استرجاعها من جانب المستخدم والمحلل. وقد اخترنا هنا تخطيط شبكة ويب إيرانية باستخدام أساليب متعددة ومنتشرة على شبكة الإنترنت لفهرسة وتنظيم هذه "المحلية" بجانب تمييز اللغة والموقع والجمهور إذا تحدثنا بشكل عام. وخلال عام 2011، وجدنا أن شبكة الويب التي تُحدد من خلال ثلاث منصات تهدف إلى تشكيل جمهور إيراني يختلف عن شبكات الويب التي تخضع لأداة تسويقية بيد أصحاب الإعلانات المتخصصة باللغة الفارسية أو جميع المستخدمين بإيران أو محركات البحث بالمواقع الإيرانية بجانب مواقع TLD الأخرى (مثل: com.، nets.، وغيرها) من "المنطقة" حتى لو زعم كل منهم بأهميته لشبكة الويب الإيرانية. وأخيرًا، فقد اخترنا أن نكتب عن شبكات الويب الإيرانية في المجمل بجانب مناقشة خصائص كل شبكة. وبالتالي، فقد تطرقنا إلى قضية تواجه المحلل عند اتخاذه قرار للبدء بجمع عناوين اليو ار ال URL، وتنظيم الكلمات المفتاحية والمشغلات، وتشكيل قوائم بالمدونات الرئيسية وتصنيف عناوين اليو ار ال أو مواقع الويب الرئيسية وغيرها. وبالنسبة لتحليلنا، فقد اخترنا أشهر مخرجات مواقع الويب المتخصصة باللغة الفارسية أو الإيرانية، وعدم اختيار نقطة بداية واحدة بل الاحتفاظ بها جميعًا (أو الاحتفاظ بالأهم على الأقل).

علاوةً على ذلك، فقد اتخذنا قرارات تتعلق بالتعامل مع فكرة أن شبكة الويب

الإيرانية تنشأ (فقط) من معرفة سكانها. وكما ناقشنا من قبل، بمجال بحث شبكات الويب القومية، قد يتوقع المرء أن سكان إحدى شبكات الويب يمكن معرفتهم (من حيث عدد مواقع الويب أو تصنيف أنواعها)، ومن ثم يتمكن المرء من تشكيل عينة منها ومن أنواعها. وقد يقوم المرء بإجراء مسحٍ لنطاقات بروتوكول الإنترنت الإيرانية IP (أ و الآي بي) ومن ثم يمكنه تحديد أي عناوين الآي بي IP تستجيب لبروتوكول النص التشعبي (http)80,8080 أو 443. وتكمن الخطوة التالية في حساب عدد خوادم الويب الفعالة في نطاق آي بي معين، ومن ثم تقدير عدد النطاقات. وبالتالي، ينظر المرء بعين الاعتبار إلى دراسة سلطة الإنترنت الإيرانية أو مزود خدمة الإنترنت الإيرانية، وقد يُشكل المرء قائمة مبدئية لعناوين اليو ار ال URLs (أو قوائم متعددة) باستخدام تقنيات الآثار المتراكمة وبالتالي غربلة النتائج الهائلة باستخدام برامج اكتشاف اللغة و/ أو من إجراء الأبحاث. وعندما يبدأ المرء بالاعتماد على خدمات الويب التي تتعارض مع مرسلي رسائل الويب غير المرغوبة (التي تشكل معظمها ما لم تكن جميعها)، فإن تحديات العمل مع كميات هائلة (نسبيًا) من البيانات عبر شبكة الإنترنت تصبح واضحة. وبالتالي، لا يتمكن المرء من إجراء مجموعة من التساؤلات دون الحصول على موافقة من معامل الأبحاث أو الأجهزة الإدارية بشبكة الإنترنت وغيرهما. وعندما يصبح الأمر شيقًا، يتحول تركيز البحث إلى المجالات الإدارية والقانونية والهندسة الاجتماعية، ومن ثم يصل الأمر إلى حالة من التوقف التام. وببساطة يصبح الدخول على شبكة الإنترنت والانتهاء من جمع البيانات ومشاريع الغربلة إنجازًا بحد ذاته. علاوةً على ذلك، فقد تجنبنا دراسة الميدان التكنولوجي- الإداري الذي أشرنا إليه من قبل، وسعينا إلى استخدام كافة الإمكانات المتاحة أمام مستخدمي شبكات الويب. ويرجع هذا الاختيار إلى وجود بيانات ضئيلة نسبيًا.

بالإضافة إلى ذلك، فإننا نود أن نثبت حقيقة طريقة التخطيط لشبكة ويب قومية (أو "شبكات ويب") والتي تكون ملموسة بالنسبة لمجموعة متنوعة من الطرق التي يستخدمها المرء للدخول بحيز الويب من خلال الانتماء إلى ثقافات أجهزة معينة والتي

تضاهي محركات البحث والمنصات ناهيك عن المعنى الإثنوجرافي (حيث يمكن مضاهاة الشيء بخصائصه أو "روحه" المادية. وبشكل عام، فإننا نقدم مجموعة من طرق التخطيط لشبكة ويب قومية والتي من شأنها إعادة توجيه أجهزة الويب "المحلية" بجانب الثقافات الآلية أيضًا. باختصار، إننا نهتم بدراسة الثقافات الآلية القومية. والجدير بالذكر أن إعادة توجيه أجهزة الويب يتمتع بميزتين منهجيتين. أولاً: قد يُنظر للأجهزة الشعبية باعتبارها وسيطًا وعاملاً محددًا لاستخدامٍ معين. علاوةً على ذلك، تقوم الأجهزة بطلب مشاركة المستخدم بصفة متكررة في تقييم وإنتاج المحتوى. وتقوم الأجهزة أيضًا بحساب أكثر مواقع الويب صلة عن طريق تجميع الروابط والنقرات والمشاهدات والأصوات، ومن ثم إنتاج مصادر متميزة. ثانيًا: فإن تعريف شبكة الويب الإيرانية يرتبط بمنهجية البيانات الهائلة التي تستخدمها الأجهزة في تنظيم المحتوى الذي يجمع بين تقنيات علم الحساب ومشاركة المستخدم واسعة النطاق. ويمكن الحصول على مجموعة صغيرة نسبيًا من البيانات من مخرجات هذه الأجهزة ذات البيانات الهائلة. ولكن على نحو مختلف، يُنظر لعملية إعادة توجيه أجهزة الويب باعتبارها استراتيجية يستخدمها الباحثون عن البيانات الصغيرة للحصول على عينة من البيانات الهائلة، كما تعد أيضًا وسيلة للحصول على العينات التي من شأنها تنظيم وترتيب محتوى الويب، وذلك حسبما أوضحنا بمناقشتنا عن مزايا الروابط والمواقع والمقاييس الأخرى للمنصات والأجهزة قيد الدراسة.

ومن خلال هذه التحليلات، نود أن نضع مخططًا للغة والسمات الشكلية الأخرى الموجودة بكافة شبكات الويب الإيرانية. ومن الجانب المفاهيمي، ومن خلال دراستنا لشبكات الويب القومية، نود أيضًا أن نناقش أي أنواع شبكات الويب سليمة، من حيث الفعالية، وأيها معطلة، من حيث عدم الاستجابة. بالإضافة إلى ذلك، فإننا نهتم بالمدى الخاضع لإشراف الدولة وعما إذا كان هناك علاقة بين مواقع الويب المستجيبة (الفعالة) ومواقع الويب المرشحة. وإذا تطرقنا إلى السؤال عما إذا كانت الرقابة تقتل المحتوى، الذي تناولنا الحديث عنه بالمشروع السابق (والمشروع التحضيري) بشبكة الويب التونسية (قبل بداية "الربيع العربي" لعام 2011)، فقد طورنا عدد من الوسائل لتخطيط التغيرات التي

طرأت على جزء معين بشبكة الويب الإيرانية بمرور الوقت. وقد استخدمنا مجموعة من البيانات المستخدمة بموقع بالاترين Balatrain (وهي منصة رائدة محتشدة المصدر) كما أجرينا مقارنة بين عناوين اليو ار ال URL الهامة التي تم ترشيحها خلال فترة الانتخابات الرئاسية لعام 2009 مع عناوين اليو ار ال المستخدمة خلال نفس الفترة من عامي 2010 و 2011. وبجانب ذلك، فقد استخدمنا مستضيفات الإنترنت بإيران لفحص مؤشرات الحظر. وبشكل عام، وجدنا أن مجموعة عناوين اليو ار ال بموقع بالاترين Balatrain معرضة للحظر بشكل خاص. وقبل كتابة تقرير بشأن التحليلات الطولية، سوف نصف آليات ترتيب وفهرسة أجهزة ومنصات الويب ذات الصلة بالحيز الإيرانيّ. بالإضافة إلى ذلك، فإن البيانات المختارة من هذه المنصات ومحركات البحث تُوظف لتشخيص أنماط الويب المعروضة.

الثقافات الآلية: كيف يتم تقييم وتصنيف مواقع الويب

وقد نُظمت شبكة الويب الأولى على يد مجموعة من منشئي الروابط المحترفين والهواة الذين أخذوا على عاتقهم كتابة دليل لمواقع الويب وتنظيمها حسب الفئة. علاوةً على ذلك، يظل تصنيف مواقع الويب المحترفة أو "التي تجمع بين صفات المحترفين والهواة" حسب الموضوع، سواء على نطاق أوسع مثل دليل موقع ياهو Yahoo وكذلك المجموعات محدودة النطاق، مستخدمًا بالرغم من تراجع تطبيقه مقارنةً بالطرق الأخرى (التي وصفناها هما) التي أصبحت أكثر انتشارًا من تقييم مواقع الويب (ديوز Deuze 2007، برونز Bruns 2008). بالإضافة إلى ذلك، فإن الدراسات الخاصة بتقييم مواقع الويب التي عبرنا عنها بمصطلحاتٍ تقنية واقتصادية-سياسية - مثل "نظام العدد" و"نظام الروابط" و"الويب الجغرافي" و"التعهيد الجماعي" (أي الاستعانة بالجماهير بهدف الحصول على معلومات) و"العملية المماثلة للاقتصاد". والجدير بالذكر أن مصطلح "التعهيد الجماعي" هو مصطلح وضعته الصحافة التجارية بالإنترنت (وهو مشتق من تطبيق مصطلح التعهيد ولكنه يوصف أيضًا بـ"نظام شغالة النحل") لوصف موقف يجمع بين الحكمة والعمل الجماهيري ويعبر عن خدمة أو شركة من طراز ويب 2.0 (هوي

Howe 2006؛ موليير-بوتانج Moulier-Boutang 2008). أما مصطلح الويب الجغرافي (أو"الويب المكانية")، فإنه لا يدل ضمنيًا على نوع معين من الاقتصاد إلا أنه يجسد طريقة استخدام المواقع كمصدر.

أما نظام العدد، الذي تمثله البرامج الإلكترونية التي تكشف عن عدد زوار الموقع بمواقع الويب الأولى، فيقوم بتصنيف مواقع الإنترنت من حيث عدد الانطباعات أو عدد صفحات الويب المستلمة أو عدد زوار الموقع. وفقًا لهذا الرأي، فقد اخترنا خدمة (DoubleClick Ad Planner) التي أطلقتها شركة جوجل (والتي يُشار إليها هنا كجوجل آد بلانر Google Ad Planner)، وهي خدمة تُستخدم لتصنيف مواقع الإنترنت لخدمة أصحاب الإعلانات. ونظرًا لعدم إدراج إيران بقوائم الدول المدرجة (بسبب العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الولايات الأمريكية على إيران والتي تسببت أيضًا في تضييق النطاق الإيراني المحلي ir.)، نجد أن "متحدثي اللغة الفارسية" من بين فئات الموقع بالتحليلات الجماهيرية المتاحة. وبالتالي، فإن شبكة الويب الإيرانية سوف تشمل هذه المواقع التي تصل للجمهور المتحدث بالفارسية، والتي تُجمع وتُصنف من خلال خدمة جوجل آد بلانر. وباستخدام هذه الخيارات المتاحة، فقد جمعت خدمة جوجل آد بلانر 1500 ضيف مميز من الجمهور المتحدث باللغة الفارسية.

أما مصطلح "نظام الروابط"، فيصف مدى تقييم الصفحة والقواعد الحسابية الأخرى التي من شأنها تقييم الروابط (روجرز Rogers 2002). ويمثل هذا المصطلح أيضًا نقلة بتصنيف عناوين اليو ار ال بعيدًا عن نمط أصحاب الإعلانات إلى أسلوبٍ للتفكير أفضل من الناحية البيلوغرافية (من حيث عدد الروابط أو الاقتباسات). ويُستخدم هذا المصطلح لتمييز عمليات البحث بشبكة جوجل بجانب المكون الرئيسي الآخر بموقع جوجل وهو متابعة المستخدم للنص التشعبي. علاوةً على ذلك، فإن عملية البحث بجوجل عن مواقع ir. (من بينها النطاقات الإيرانية من المستوى الثاني) وكذلك المواقع الإيرانية بالنطاق الأعلى لترميز الدولة TLD بالبحث الإقليمي بموقع جوجل Google قد وصلت إلى حوالي 3500 مستضيفًا.[3]

في الواقع، تجمع شركة أليكسا Alexa، شأنها في ذلك شأن الشركات الأخرى التي تقدم مجموعة من أشرطة أدوات مستعرض الويب، بيانات عن موقع المستخدم (كالرقم البريدي مثلاً) أثناء عملية التسجيل، وبمجرد تنصيب شريط الأدوات، فإنه يتتبع مواقع الويب التي قام المستخدم بزيارتها (انظر شكل 8-1). وبالتالي، تُسجل المواقع الأكثر زيارة باستخدام موقع المستخدم، وبالتالي يمكن الحصول على قائمة تضم 500 موقع رئيسي والتي قام المستخدم بزيارتها في إيران.

Alexa
The Web Information Company
Home | Site Tools | Top Sites | Site Info | What's Hot | Toolbar

The Alexa Toolbar *for Firefox* - Demographic Information

You are almost done. Please take a moment to fill out the following information*:

Gender: Male Female
Age: - Select -
Household Income: - Select -
Ethnicity: - Select -
Education: - Select -
Children in Household: Yes No
Install Location: - Select -
Your Postal Code:
Submit

شكل (8-1): تنصيب شريط الأدوات لشركة أليكسا وعملية التسجيل، مع وجود خانة الرقم البريدي للمستخدم، أغسطس 2011. المصدر: 2012 ، أليكسا إنترنت (www.alexa.com)

تتطلب مواقع التعهيد الجماعي، أبرزها موقع (بالاترين) والمواقع المحاكية له مثل: (Donbaleh و Sabzlink)، التسجيل بها قبل اقتراح المستخدم لرابط ما، والذي يتم التصويت بشأنه من جانب المستخدمين المسجلين بالموقع. أما عناوين URL التي تحصل على أعلى نسبة من الأصوات، فإنها تُدرج بقائمة العناوين الرئيسية. وبناءً على ذلك، فقد جمعنا حوالي 1100 مستضيفًا من موقع بالاترين و2850 من Donbaleh و2750 من موقع Sabzlink.[4] وقد جمعنا عدد المستضيفين بموقعي Donbaleh وSabzlink معًا نظرًا لمشاركتهما الثقافة الآلية (عملية التعهيد الجماعي)، وقد نتج حوالي 4579 مستضيفًا مميزًا. وقد تعاملنا مع المنصة الأخرى، أي موقع بالاترين، بشكل منفصل نظرًا لحالتها كونها تمثل أهم موقع ويب إيرانيّ. ومنذ إطلاق موقع بالاترين عام 2006، فإنه يعتبر أول موقع من طراز ويب 2.0 متخصص باللغة الفارسية كما يُنظر إليه باعتباره أحد مواقع الويب الفارسية الأكثر شعبية خلال عامي 2007 و2008 (الموسوعة الحرة 2011). والجدير بالذكر أنها شديدة الأهمية أيضًا بالنسبة لحركة المعارضة المعروفة بالحركة الخضراء Green Movement قبل وبعد انتخابات الرئاسة الإيرانية عام 2009 (سابيتي Sabeti 2010).

إن إدخال زر "أعجبني" والعدادات الاجتماعية الأخرى بمواقع التواصل الاجتماعي قد جلب معه ما يُطلق عليه المرء اسم "نظام الإعجاب" الذي يقيم المحتوى بناءً على نشاط الزر الاجتماعي (جيرلتز Gerlitz وهيلموند Helmond 2011). أما خادوم لايك خور Likekhor، كما يوحي الاسم، فيقوم بتصنيف مواقع الويب بناءً على مرات الإعجاب، أي مرات الإعجاب التي يسجلها مستخدمي جوجل ريدر المسجلين بخادوم لايك خور Likekhor. إن برنامج جوجل ريدر، أو جودر Gooder (كما يلقبه بعض المستخدمين الإيرانيين)، يعد ذو أهمية خاصة حيث يتمكن المستخدم خلاله من قراءة محتويات مواقع الويب المرشحة من جانب الدولة. أما خادوم لايك خور، فيقوم بالتركيز على المدونات أو وحدات قراءة المدونات. وقد استخلصنا قائمة تضم 2600 ضيفًا من خادوم لايك خور، والتي تم جمعها من صفحة تضم كافة المدونات بالخادوم.

وخلال شهر يوليو لعام 2011، جمعنا أكثر من 10000 ضيفًا من خلال المنصات

والأجهزة الهامة بالنسبة للمستخدمين الإيرانيين (جوجل ريدر، جوجل ويب سيرش، ومنصات التعهيد الاجتماعي) وموقعين آخرين يقومان بتصنيف القوائم التي تضم مواقع الإيرانيين والمتكلمين بالفارسية (أليكسا وجوجل آد بلانر على التوالي) على أساس البيانات التي يتم جمعها من المستخدمين الموجودين بإيران (أليكسا) أو من المستخدمين المتحدثين بالفارسية (جوجل آد بلانر). بالإضافة إلى ذلك، سوف نقوم بتشخيص هذه الشبكات الإيرانية منفردة ومجتمعة، كما اخترنا عدم تقسيمها إلى أثلاث حتى لا يتسنى لقليل من مواقع الويب متابعتهم.

تحليل خصائص شبكات الويب الإيرانية: اللغة والاستجابة

إن دراسة خصائص شبكات الويب تعد أحد ميادين البحث التي تطرقنا إليها، ومن أهم الصعوبات الأساسية بها والتي نناقشها باستمرار تلك التي تتعلق بكيفية الحصول على عينة تمثيلية من شبكة ويب قومية أو أنماط لشبكاتٍ أخرى. وفقًا لبيزا ياتس Baeza-Yates ورفاقه، يوجد ثلاث أنماط لتقنيات إجراء العينة شائعة بدراسات تشخيص شبكات الويب وهي: "الزحف التام لموقع ويب واحد، والعينات العشوائية من شبكة ويب كاملة، والعينات الكبيرة من مجتمعات خاصة" (2007: 1). بالنسبة لشبكات الويب القومية، التي يعتبرها المؤلف مجتمعات خاصة، تضم القائمة مجموعة من مواقع الويب تمتلك نفس النطاق الأعلى في ترميز الدولة ccTLD. وبالنسبة للكثير من شبكات الويب القومية، يعد هذا التحديد عملية جزئية أيضًا، وخاصةً بالنسبة للدول التي يسود بها استخدام النطاق الأعلى في ترميز الدولة TLD. وتسعى دراستنا للإبقاء على بعض النطاقات com. وorgs. وnets. وغيرها حيث نعتبرها ذات صلة بالإيرانيين ومتحدثي اللغة الفارسية وذلك من خلال الأجهزة والمنصات التي نعتمد عليها.

بالنسبة لتقنيات إجراء العينة المذكورة آنفًا، نود أن نضيف نمطًا رابعًا وهو "multiple aggregator site scraping" أو الآلية، من الناحية المفاهيمية. والجدير بالذكر أن برامج جوجل آد بلانر وأليكسا وجوجل ويب سيرش ولايك خور (جوجل ريدر) قد أتيحت إما من خلال نتائج التساؤلات أو قوائم مواقع الويب (التي تشكلت ديناميكيًا)

ذات الصلة بالإيرانيين ومتحدثي اللغة الفارسية. وفي حالتنا، باستثناء شبكة الباحثين (الناشئة عن التساؤلات الخاصة بالنطاق الإيراني والنطاق الأعلى في ترميز الدولة TLD بمنطقة البحث الخاصة بجوجل)، نجد أن نسبة المواقع الإيرانية ir. بين المستضيفات الهامة ضئيلة نسبيًا (انظر جدول 8-1).

جدول (8-1): نسبة المواقع ذات النطاق الإيراني ir. بمواقع الويب الرئيسية التي تم جمعها من الثقافات الآلية ذات الصلة بالإيرانيين ومتحدثي اللغة الفارسية، يوليو 2011.

النسبة المئوية	شبكة الويب الإيرانية	أرقام مطلقة
25	أليكسا (شبكة ويب جغرافية)	126 من 496 مضيف
24	جوجل آد بلانر (أصحاب إعلانات)	370 من 1525 مضيف
16	لايك خور (المدونون)	397 من 2541 مضيف
12	موقع دونباله Donbaleh/ سابزلينك Sabzlink (متعهد جماعي)	535 من 4579 مضيف
11	بالاترين (متعهد جماعي)	116 من 1102 مضيف

نلاحظ أن شبكة التعهيد الجماعي تمثل أقل عدد من المواقع ذات النطاق الإيراني بنسبة 10٪ تقريبًا في حين تمثل شبكة ويب أصحاب الإعلانات وشبكة الويب الجغرافية أو شبكة مستعرضي الإنترنت بإيران أعلى نسبة حيث بلغت حوالي 25٪، وكما لاحظنا أعلاه، نجد أن المواقع ذات النطاق الإيراني (ir.) بهذه المجموعة من عناوين اليو ار ال أقل عرضة للحظر مقارنةً بمواقع دوت كوم (com.). علاوةً على ذلك، تم حظر عدد من مواقع الويب التي تم اختبارها، والتي تمثل 80٪ من مواقع دوت كوم (com.) و6٪ من مواقع دوت نت (net.) و4٪ من مواقع دوت أورج (org.). ونجد أيضًا أن النطاق الأعلى في ترميز الدولة ccTLD يضم حوالي 3٪ من نسبة المستضيفات الخاضعة للإشراف.

وبعد أن استعرضنا طريقة إجراء العينة بشكل عام، قارن بيزا ياتس Baeza-Yates

ورفاقه الدراسات العشر بشأن شبكات الويب القومية في محاولة للوصول إلى مجموعة أساسية من المقاييس التي شاركتها الكثير من هذه الدراسات (انظر جدول 8-2). بالإضافة إلى ذلك، فإن تشخيصنا لشبكة (أو شبكات) الويب الإيرانية يستفيد من المقاييس المذكورة. وبالإشارة إلى المقاييس الواردة بجدول 8-2، بخانة "المحتوى" التي يتقاسمها مشروعنا مع بيزا ياتس Baeza-Yates ورفاقه من حيث الاهتمام باللغة وعمر الصفحة وتحليل النطاق (بالرغم من كونه ذو مستوى عالٍ) كما تعتمد خانة التكنولوجيا على رموز الاستجابة لبروتوكول النص الشعبي. وقد أظهرت هذه الرموز ما نشير إليه بمصطلح "الاستجابة" والتي نعتبرها أحد المقاييس الأساسية الصحيحة للموقع بجانب عُمر الصفحة (مقياس الحداثة). بالإضافة إلى ذلك، فهناك بعض المقاييس الأخرى التي لم نستخدمها، ونود أن نتطرق هنا إلى كيفية استخدامها. وسواء كان موقع الويب معطلاً أو غير معطل، فإنه يجب التقاطه من مشرعيّ الروابط، التي قد تشير إلى الروابط المعطلة بالموقع.

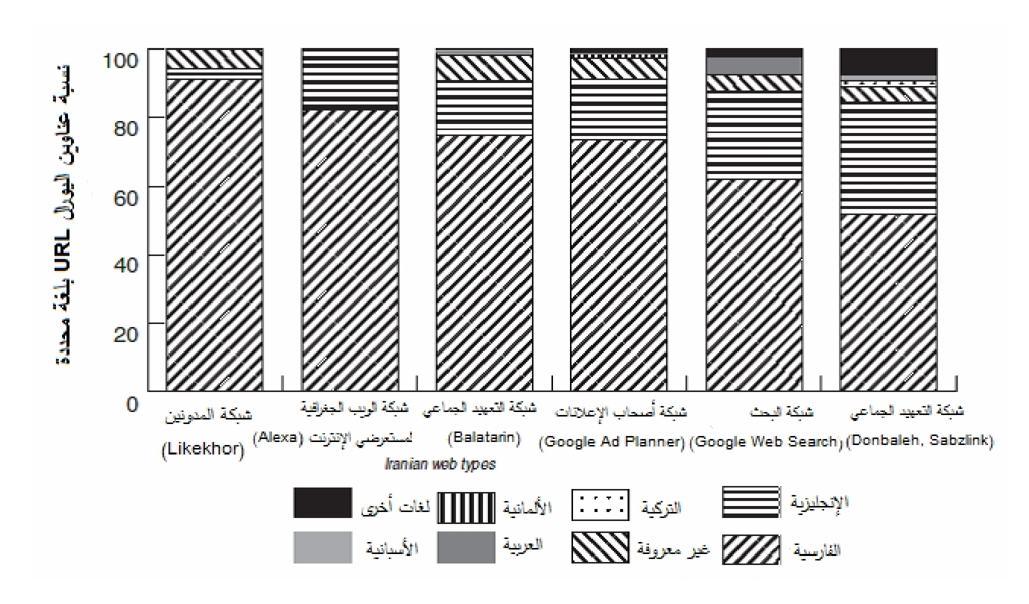
جدول (8-2): المقاييس المستخدمة على نطاقٍ واسع بدراسات تشخيص شبكات الويب القومية وفقًا لبيزا ياتس Baeza-Yates وآخرين (2007). وتشير الكلمات المكتوبة بالخط العريض إلى المقاييس المستخدمة بهذه الدراسة، ولكننا قمنا بتحليل النطاق عال المستوى على حساب النطاق ذي المستوى الثاني.

المحتوى	الرابط	التكنولوجيا
اللغة	الدرجة	طول عنوان اليو ار ال URL
حجم الصفحة	التصنيف	رمز الاستجابة لبروتوكول النص التشعبي
عمر الصفحة	تركيب شبكة الويب	صيغ الوثائق والصيغ الإعلامية
صفحات كل موقع		صيغ الصور
مواقع وصفحات كل نطاق		المواقع التي لا تتقدم بشكل صحيح
نطاق المستوى الثاني		برنامج وحدة خدمة الويب لغات البرمجة بالنسبة للصفحات الديناميكية

بالإضافة إلى ذلك، توضح مواقع الويب "المتوقفة" أو المخترقة" مدى ابتعاد أصحابها السابقين عنها. بالمقارنة مع بيانات المخدمات الفرعية، نجد أن تحليل الموقع المتوقف أو المهجور قد يُستخدم للمطالبة بفعالية الرقابة أو قمع الأصوات. وقد يشير مصطلح الملاءمة إلى "صحة" الرمز أو تنفيذه الصحيح، كما يشير بيزا ياتس Baeza-Yates وآخرون إلى تركيب الموقع و"صحته" كمحرك بحث. وهناك أنماط قياسية أخرى تستقر أكثر بمجال الاقتصاد السياسيّ والتي تهتم بالطرق المتاحة لنشر هذا البحث. فمثلاً، قد تشير صيغ الصور والوثائق والصيغ الإعلامية إلى ملكية شبكة الويب القومية، الأمر الذي يُنظر إليه كحالة سليمة من منظورٍ معين.

شبكة الويب الإيرانية واللغات المستخدمة بها

يقوم أحد المقاييس الأساسية بقياس صياغة اللغات بمواقع الويب الإيرانية (انظر شكل 8-2). فالفارسية هي اللغة الرسمية لدولة إيران بالطبع (المخطوطة الفارسية المدمجة ذات نظام اليونيكود 2011) ويمكن اكتشافها (أمير إبراهيمي 2008). أما فيما يتعلق باكتشاف لغة مواقع الويب فقد أسسنا أداة متخصصة لاكتشاف لغة الموقع AlchemyAPI والتي من شأنها اكتشاف اللغة الفارسية وكافة اللغات الأخرى، بالرغم من عدم استخدام كافة اللغات بإيران كما نشير أدناه.[5] والجدير بالذكر أنه تم فحص نتائج هذه الأداة يدويًا.[6] علاوةً على ذلك، فإن حوالي ثلثي مواقع الويب الإيرانية مكتوبة باللغة الفارسية، تليها اللغة الإنجليزية في المرتبة الثانية، حيث تبلغ نسبته الخُمس تقريبًا. ومن الجدير بالاهتمام أن ننظر بعين الاعتبار إلى نسب اللغة الفارسية المستخدمة بمواقع الويب المتنوعة. فقد أظهرت النتائج أن حيز المدونين، بشبكة لايك خور Likekhor، يبلغ 91٪ من مصادره باللغة الفارسية تليها شبكة مستعرض الويب الإيراني ببرنامج أليكسا حيث بلغت نسبتها 83٪ ثم شبكة الويب ذات التعهيد الجماعي بنسبة 73٪. أما شبكة أصحاب الإعلانات، فقد بلغت نسبتها 62٪، بينما وصلت نسبة جوجل ويب سيرش 52٪. أما موقع بالاترين Balatarin، كحالة خاصة، فقد تخصصت 75٪ من مصادره باللغة الفارسية.



شكل (2-8): توزيع اللغات بشبكة الويب الإيرانية

وبالتالي، يوجد اختلاف جوهري بين شبكات الويب، أبرزها المدونات المكتوبة باللغة الفارسية (إذا اعتبرنا قائمة لايك خور Likekhor مرجعًا في متناول اليد).[7]

والآن يمكن أن نبدأ بمناقشة أنواع شبكات الويب التي سوف نتطرق إليها ونقوم بتحليلها إذا كان علينا تعريف شبكة الويب الإيرانية أو موقع الويب الإيرانيّ بديهيًا، كما ناقشناها من قبل من ناحية ظروف أمناء الأرشيف بمواقع الويب القومية (بالمثال الهولندي) وأفكار المشاركين بالشبكة فيما يتعلق بشبكة الويب القومية (بالنسبة لإيران). وتعتبر المدونات وشبكة الويب الجغرافية، إلى حد ما، هما الأقرب لفكرة شبكة الويب الإيرانية (وفقًا لآراء متصفحي الإنترنت بإيران) بالنسبة لمتحدثي الفارسية

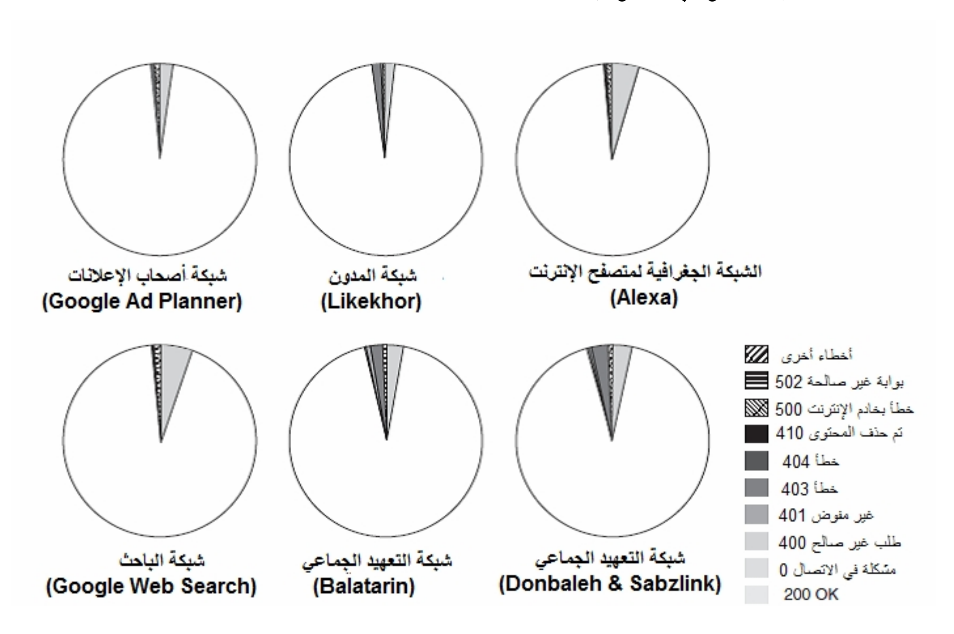
فقط بالرغم من وجود 10٪ كفارق بينهما بمواقع الويب غير المتخصصة باللغة الفارسية. والجدير بالذكر أن مواقع الويب الإيرانية التي تميزت بأعلى نسب من مواقع الويب غير المتخصصة بالفارسية هي شبكات الويب الإقليمية وأصحاب الإعلانات (من الخيار المتقدم بموقع جوجل). وتُعرف شبكة الويب الخاصة بأصحاب الإعلانات بأنها

تلك الشبكة التي يتصل بها متحدثو اللغة الفارسية من خلال الإشارات التي يفرضها موقع جوجل على مستخدميه والمحتوى الذي يعرضه (جوجل آد بلانر). وكلاهما يضم أعلى نسبة من مواقع الويب غير المتخصصة باللغة الفارسية، ولا سيما اللغة الإنجليزية، بالرغم من أننا لم نحاول البحث عن هذه المواقع عما إذا كانت إيرانية أم أنها تهتم بالشأن الإيراني. وهناك شبكة ويب شاملة، أخرى والتي تضم التضمينات اللازمة لتحديد موضوع الدراسة. إن شمولية شبكة الويب من حيث اللغات المنطوقة بإيران (كاللغة الأرمنية، واللغة الآشورية الأرمية الحديثة، والعربية، والأذرية، والبلوشية، والجاليكية، والكوردية، واللورية، والطبرية، والتركمانية) تعد ذات أهمية بالنسبة للتقنيات المشار إليها. أما بالنسبة للغات الثانوية المستخدمة بإيران، فإن أداة الكشف المستخدمة بهذه الدراسة تكشف فقط عن اللغة العربية والأرمنية والأذرية ولكنها لا تكشف عن اللغة الآشورية الأرمية الحديثة أو اللغة البلوشية أو الجاليكية أو الكوردية أو اللورية أو الطبرية التركمانية. ولتوحيد مثل هذه المواقع، لابد أن يعتمد المرء على القوائم التي تضم روابط المتخصصين، بالرغم من عدم متابعتنا للموضوع بعد ذلك.

شبكة الويب الإيرانية والاستجابة

في محاولة لتحليل مدى استجابة شبكات الويب الإيرانية، فقد استرجعنا الرموز الخاصة باستجابة بروتوكول النص المتشعب بواسطة أداة مخصصة لهذا الغرض. أما عن مدخلات هذه الأداة، فهي عبارة عن قوائم تضم مستضيفات كل شبكة والتي تم جمعها مسبقًا. وبعد تحليل نتائج أداة كود الاستجابة، وجدنا أن هناك ثمانية رموز شائعة بشبكات الويب الإيرانية (انظر شكل 8-3). وتشير فئة أكواد الوضع الأربعمائة إلى خطأ العميل بطريقة ما. وتعني هذه العبارة "طلب غير صالح 400" أن هناك خطأً بالصياغة، بينما تشير عبارة "خطأ 403" إلى عدم استجابة الخادوم، وتعني عبارة "خطأ 404" أن المحتوى لم يعد متاحًا[8]. وبشكل عام، تعتبر رموز الاستجابة المرتجعة بجانب حالة "200 OK" بمثابة رمزين موجهين من رموز الاستجابة: وهما "301 التحرك باستمرار" و "302 تم العثور عليه". والجدير بالذكر أن إعادة التوجيه لا تشير بالضرورة إلى عدم الاستجابة وقد تكون

نتيجة عدة أسباب من بينها إعادة إرسال أسماء عدة مجالات إلى الموقع ذاته أو إعادة توجيه أسماء مستعارة قصيرة إلى عناوين يو ار ال أطول أو تحريك الموقع إلى نطاقٍ جديد[9]. وقد يشير أيضًا إلى موقع ويب مُعطل.



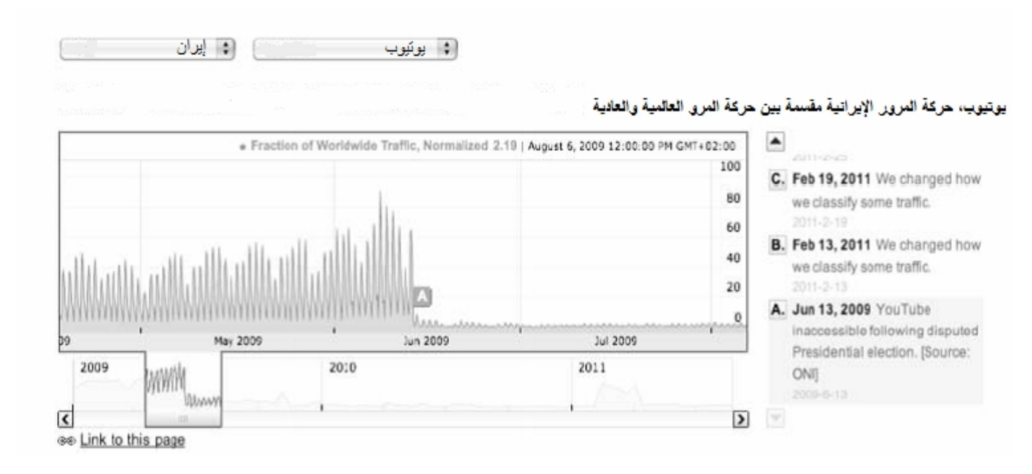
شكل (3-8): صحة شبكات الويب الإيرانية بقياس رموز إجابة http بهولندا.

بالرغم من ذلك، قد تظهر أيضًا رسائل "خطأ 404" عند إعادة توجيه الخادوم لإخفاء روابط معطلة (يوسف وآخرون 2004). ومن خلال دراستنا، يمكن اتباع هذين الخطأين 301 و302 عند رجوع ترويسة الموقع والتي يتم حلها غالبًا من خلال رموز الإجابة 200 و400. وتشير رسالة "مشكلة في الاتصال 0" إلى عدم قدرة الأداة على الاتصال الخادم، وربما لم يعد الخادوم موجودًا أو قد تشير إلى انتهاء وقت الأداة.

تشير نتائج هذا الجزء من الدراسة بالمثال الأول إلى أن شبكات الويب الإيرانية تعد صحيحة نسبيًا بشكل عام. أما بالنسبة لشبكات التعهيد الجماعي (مثل: Donbaleh وSabzlink وBalatarin)، يمكن حل حوالي 92٪ و 94٪ من مشاكل المواقع على التوالي. علاوةً على ذلك، فإن حيز أصحاب الإعلانات يليه حيز المدونين (الذي يقدمه مستخدمو جوجل ريدر) يتمتع بأفضل وثائق صحيحة بنسبة تصل من 95٪ إلى 96٪. وبالتالي، يمكن النظر إلى حيز أصحاب الإعلانات والمدونات باعتباره حيزًا سليمًا وحيويًا.

شبكات الويب الإيرانية والرقابة

من المثير للجدل أن أدوات الويب تعد من أكثر أدوات الرقابة المنتشرة. وبالتالي، تستقبل محركات البحث والمنصات رسائل تطالب بحذف المحتوى - سواء عناوين يو ار ال معينة أو تعليمات أكثر عمومية - ومن ثم، تدعو إلى إنشاء قائمة سوداء مستمرة وفهرس رقابي. فمثلاً، للالتزام بتعليمات الجهة الرقابية للحكومة الصينية، قام المهندسون بشركة جوجل "بإنشاء جهاز كمبيوتر داخل الصين وبرمجته في محاولةٍ للاتصال بمواقع الويب خارج الدولة، واحدًا يلو الآخر.



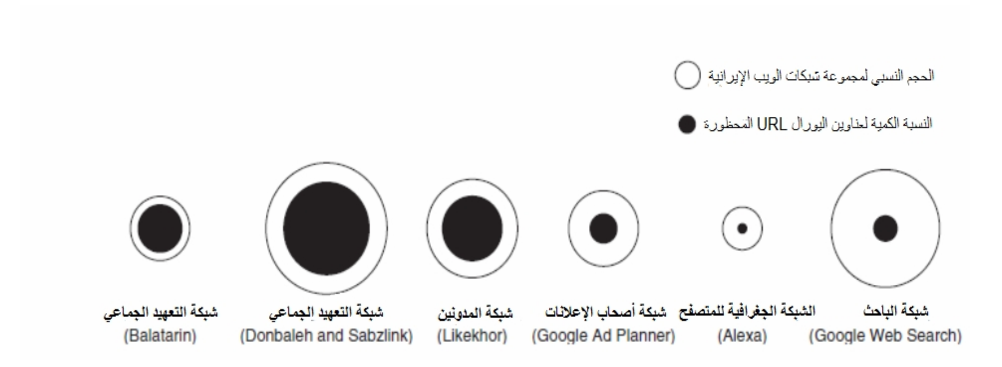
شكل (8-4): وصول حركة المرور الإيرانية بموقع يوتيوب إلى حالة من التوقف عقب إجراء الانتخابات الرئاسية عام 2009. المصدر: جوجل ترانسبيرنسي ريبورت Google Transparency Report، 25 أغسطس 2011

إذا تم حظر الموقع باستخدام برنامج حماية، فيعني ذلك أن الحكومة تعتبر هذا الموقع محظورًا – ومن ثم، فإنه يصبح جزءًا من القائمة السوداء بموقع جوجل" (ثومبيثون 2006). أما في حالة شبكة الويب الإيرانية، التي تعد واحدة من أهم شبكات الويب العالمية التي تحظى برقابة شديدة، فلا توجد تقارير حكومية تطالب بغلقها (مبادرة الإنترنت المفتوحة 2009، جوجل Google 2011). وبالرغم من ذلك، يوضح شكل (8-4) مدى تزايد حركة المرور الإيرانية وصولًا إلى الانتخابات الرئاسية في يونيو عام 2009 حيث وصلت إلى حالة من التوقف التام بعد يومٍ واحد من هذه الانتخابات. وهنا يطرح هذا السؤال نفسه، إلى أي مدى يكون حظر المواقع الهامة ذا دلالا بالنسبة لسلامة شبكات الويب الإيرانية. والجدير بالذكر، أننا قمنا بفحص مدى إتاحة مجموعة من شبكات الويب الإيرانية داخل إيران باستخدام الخوادم أو وحدات الخدمة الفرعية. وبالتالي، كما سنوضح أدناه، قورنت هذه النتائج بمقاييس الصحة الأساسية، وهي: الاستجابة والحداثة. وكما ذكرنا أعلاه، فقد تم حظر جزء هائل من المدونات الإيرانية، ومع ذلك فإنها لا تزال تستجيب.

علاوةً على ذلك، فإن أداة مستكشف الرقابة Cencorship Explorer، الموجودة بهذا الرابط: http://tools.digitalmethods.net/beta/proxies، قد أدرجت مجموعة من الخوادم الفرعية (الحديثة) من جانب الدولة وقد تُستخدم لفحص مواقع الويب الخاضعة للرقابة. وتقوم هذه الأداة باستعادة رموز استجابة موقع الويب أو تسيطر على مواقع الويب الفعلية كما لو كنت بدولة مختارة. وفي بداية إجراء البحث الرقابي، يقوم المرء غالبًا بفحص استجابة موقع الويب بدولة غير معروفة لممارسة الرقابة بمواقع الويب (الإيرانية) (كما في حالة هولندا). وبالتالي، يُنشئ المرء قوائم للمستضيفات باستخدام الخوادم الفرعية بالدولة قيد الدراسة ثم إدخال رموز الاستجابة. بالإضافة إلى ذلك، فقد استعادت الخواديم الإيرانية رمز استجابة الخطأ 403، والذي يعد إشارة قوية على حظر الموقع (نومان 2008). وقد تشير فحوصات كود الاستجابة باستخدام المخدمات الفرعية إلى أنماط معينة من الرقابة على الإنترنت – مثل: حظر عنوان URL أو عنوان بروتوكول

الإنترنت IP، الذي يضم بعض التقنيات الرقابية مثل:ترشيح ترويسة TCP/IP وترشيح محتوى TCP/IP وترشيح المخدمات الفرعية http (موردوخ وأندرسون 2008). (وهناك مجموعة معروفة أخرى من تقنيات الترشيح من بينها: الترشيح الجزئي للمحتوي وترشيح DNS اللذان يتم اكتشافهما بوسائل أخرى). وفي كثير من الأحيان، يُستخدم الكثير من الخوادم الفرعية مما يسمح للباحث بتقسيم نتائج الخادم الفرعي إلى ثلاثة أقسام وتعزيز مصداقية النتائج. فعلى سبيل المثال، قد تتعلق رسالة "مشكلة في الاتصال 0" بمشكلة بالخادم الفرعي ولكن قد يتعلق الأمر بمشكلة في حزمة إعادة الضبط، التي من شأنها إعادة ضبط الاتصال (فيلينوف Villeneuve، 2006). علاوةً على ذلك، فإن إجراء مقارنة بين عدة خوادم فرعية قد يفيد في التأكد من عدم وجود مشكلة بالخادم الفرعي. وقد استخدمنا 12 نوع من الخوادم الفرعية، بست مدن مختلفة بإيران ويديريها عدد متنوع من الأشخاص، منها جامعة شريف التكنولوجية ومزود خدمة الإنترنت الشعبي. بالإضافة إلى ذلك، فإنه "من الخطأ أن ننظر لعملية ترشيح الإنترنت باعتبارها ظاهرة متماثلة بالدولة" مع الأخذ في الاعتبار أن عملية التنفيذ وكذلك خبرة المستخدم بالرقابة قد تختلف حسب المدينة أو مزود خدمة الإنترنت أو حتى جهاز الكمبيوتر (رايت وآخرون Wright،2011:5). وبالتالي، فقد قمنا باختيار مجموعة من الخوادم الفرعية من مختلف المدن ومزودات خدمة الإنترنت ومن ثم تم استعادة كود الاستجابة بالأغلبية.

تُظهر النتائج أنه قد تم حظر 6٪ تقريبًا من شبكات الويب الجغرافية (29 من 497 شبكة) و16٪ من شبكات أصحاب الإعلانات (241 من 1525 مستضيف). أما بالنسبة لشبكة الويب ذات التعهيد الجماعي، فقد تم حظر أكثر من 50٪ منها، بواقع 2411 من إجمالي 4579 مستضيف. أما موقع بالاترين Balatarin، وهو من أكثر المواقع الخاضعة للرقابة الإيرانية، فقد تم حظر 58٪ منه، بواقع 639 من إجمالي 1102 مستضيف يليه منصتي التعهيد الجماعي (Donbaleh و Sabzlink) حيث تم حظر أكثر من نصف المستضيفات. وفيما يتعلق بشبكة جوجل ريدير، فهي تضم 1137 من 2541 موقعًا ممن استعادوا رمز خطأ 403، أو 45٪ (انظر شكل 8-5).



شكل (8-5): الرقابة على مواقع الويب الإيرانية، أغسطس 2011. المصدر: أداة مستكشف الرقابة Censorship Explorer باستخدام مبادرة الطرق الرقمية Digital Methods Initiatives، أمستردام.

وكما ناقشنا أعلاه، تعتبر شبكة المدونين إحدى شبكات الويب المتخصصة باللغة الفارسية كما أنها من أكبر الشبكات المستجيبة قيد الدراسة، بواقع 95٪ من المواقع التي استعادت رموز الاستجابة من نوع "200 OK". علاوةً على ذلك، فهي تتحدث عن استخدام شبكة جوجل ريدر كنوع من ثقافة التحايل الفاعلة من الرقابة. وتنظر هذه الدراسة بعين الاعتبار إلى ثقافة التحايل على الرقابة على نطاقٍ واسع، أو أنها تظهر على الأقل أن مواقع الويب المحظورة ما زالت متصلة بشبكة الإنترنت. والجدير بالذكر أن مواقع التعهيد الجماعي ومواقع لايك خور Likekhor تعتبر من أكثر المواقع المحظورة ، من ضمن مواقع الويب التي يتم فحصها بغرض الترشيح، الأمر الذي يطرح سؤالاً لا يتعلق بمادة هذه المواقع فقط (كما تعاملنا مع موقع بالاترين أدناه) بل يرتبط بملاءمة بعض المنصات كقوائم عناوين URL للرقابة. ونظرًا لوجود الكثير من المواقع المحظورة بالرغم من استجابتها، إلا أننا نهتم بدراسة هذه المواقع المحظورة للكشف عن مزيد من علامات صحتها. هل هي مواقع متجددة؟ إذا كانت المواقع محظورة ولكنها مستجيبة ومتجددة، فإنها دلالة قوية على فعالية الرقابة (حتى الآن).

شبكة الويب الإيرانية والتجدد

بعد التعرف على المواقع ذات الأهمية بالنسبة لنا (كمواقع الويب الخاصة بالمدونين والتعهيد الجماعي)، وجدنا أنها سريعة الاستجابة بالرغم من حظرها، ولذلك فإننا نسعى لمزيدٍ من المعرفة حول مسألة قتل الرقابة للمحتوى. أو بعبارة أخرى، بالرغم من خضوع مثل هذه المواقع للرقابة، هل يستمر المدونون بالتدوين وهل يستمر الجمهور بنشر وتقييم المحتوى؟ هل تتوقع أن القراء يتحايلون على الرقابة بشكل روتينيّ وبالتالي يستمر المحتوى في الانتشار والتعليق عليه وخلافه؟ بعيدًا عن اختبار الاستجابة (الذي كشف بالفعل عن اتصال كافة مواقع الويب بشبكة الإنترنت)، نود أن نتأكد من فعالية هذه المواقع. هل يكون محتوى هذه المواقع متجددًا؟ للإجابة على هذه الأسئلة، فقد قمنا بدراسة مجموعة ثانوية من شبكات الويب - وهي مواقع محظورة بشبكات المدونين وشبكات التعهيد الجماعي. وبالبحث في مدى تجدد هذه المواقع، بالنسبة لكل مستضيف (بكل قائمة)، فقد طلبنا تغذيتنا بالأخبار من خلال الواجهة البرمجية التطبيقية لجوجل API (مثل: تزويدنا بمقتطفات الأخبار أر أس أس RSS أو atom). وفي هذه الحالة، قمنا بتحليل عملية التغذية باستخدام مكتبة بايثون العالمية للغة البرمجة Python Universal Feed Parser library واقتبسنا تاريخًا آخرًا منشورًا. وبشكل عام، فقد تأكدنا من تغذية 63٪ (5147 من 8222) من شبكات الويب الثلاثة بالمعلومات. أما بالنسبة للمواقع المحظورة بشبكات الويب المشار إليها، فقد تأكدنا من تغذية 71٪ (بواقع 2986 من 4189). أما بالنسبة لشبكة بالاترين Balatarin، يتغذى 79٪ من المواقع المحظورة (أي 504 من 639 من المستضيفات المحظورة)، في حين بلغت النسبة 68٪ بشبكتي Donbaleh و Sabzlink (أي 1630 من 2413) و75٪ بشبكة لايك خور Likekhor (أي 852 من 1137). وقد قمنا بفحص هذه الشبكات المذكورة بغرض التأكد من تجددها.

ما الذي يشكل موقعًا متجددًا؟ لقد اتجهنا إلى محركات بحث المدونات لطلب النصيحة بخصوص هذا الأمر. أما عن الأسئلة المتكررة بشأن دليل جودة المدونات، يذكر تكنوراتي Technorati (2011) أنهم "يقومون فقط بفهرسة المحتوى ثلاثين يومًا، بمعنى

أن المحتوى الذي يزيد عمره عن 30 يومًا لن يظهر بمحرك البحث تكنوراتي. وبالمثل، نجد أن موقع بلوج بالس Blogpulse (وهو محرك بحث ونظام لتحليل المدونات) يستغرق ثلاثين يومًا لقياس مدى تجدد المحتوى، حيث "يعتمد تصنيف المدونة على معدل الاقتباس على مدار ثلاثين يومًا مضت" (بلوج بالس Blogpulse 2011). وبالتالي، يُنظر إلى عنصر التجديد هنا من حيث إضافة منشور واحد على الأقل على مدار شهرٍ كامل، بدايةً من لحظة آخر حظر. والجدير بالملاحظة أن المسح المشهور الذي أجراه محرك البحث تكنوراتي Technorati (عام 2008) قد أظهر أن حوالي سبعة ملايين مدونة فقط من أصل 133 مليون مدونة قد تم تحديثها خلال الأربعة شهور الماضية. وبالإضافة إلى ذلك، كتبت صحيفة نيويورك تايمز New York Times أن النتائج قد تضمنت أن "95٪ من إجمالي المدونات قد هُجرت بالفعل، وتُركت كالأرض البور بشبكة الإنترنت، حيث ظلت كبقايا حُلم - أو كطموحٍ على الأقل - لم يتحقق" (كوينكا Quenqua 2009). وعلى النقيض تمامًا، وجدنا أن هناك 65٪ من المواقع المدرجة بقائمتنا متجددة. وفيما يتعلق بمنصة التعهيد الجماعي بالاترين Balatarin، وجدنا أن 78٪ من المستضيفات المحظورة متجددة أيضًا (أي 395 من 504 مستضيف)، وفي شبكة التعهيد الجماعي التي ينظمها موقعا Donbaleh و Sabzlink، وجدنا أن 56٪ من المستضيفات المحظورة متجددة بالفعل (أي 915 من 1630 مستضيفًا). أما بقائمة لايك خور، نلاحظ أن 61٪ من المواقع (أي 525 مستضيفًا) قد نشرت آخر منشور لها منذ شهر أو أقل عند اختبارها، ومن ثم اكتشفنا أنها محظورة. وتؤكد النتائج على عدم وجود دلالة عامة على أن الرقابة تقتل المحتوى بشبكات الويب الإيرانية قيد الدراسة. وعلى النقيض، فقد تميزت شبكات الويب الإيرانية الخاضعة للرقابة باستجابتها وتجددها.

الخاتمة: المؤشر على سلامة شبكة الويب القومية

في هذه الدراسة، سعينا للإضافة إلى دراسات تشخيص شبكة الويب القومية وعرض دراسات الويب القومية. أولاً، وقبل كل شيء، استخدمنا حجة منهجية لملاحظة وتحليل التنوع بين شبكات الويب القومية، أو شبكات الويب. فبدلاً من تعريف شبكات

الويب القومية وفقًا لأسلوبٍ ممنهج ذي خصائص شكلية (مثل: جميع مواقع الويب التي تندرج تحت النطاق الأعلى في ترميز الدولة ir ccTLD.؛ أو مواقع الويب المتخصصة باللغة الفارسية ذات المحتوى الإيراني؛ أو جميع مواقع الويب التي تضم عدد من المؤلفين داخل إيران)، فقد خلصنا إلى أن مثل هذه الدراسات لم تكن آلية. أو بالأحرى، فقد اقترحنا استخدام مصطلح "الثقافات الآلية" وخاصةً حيز الويب الإيراني الذي يتضمنه هذا المصطلح - كشبكات الويب الخاصة بأصحاب الإعلانات والمدونين ومتصفحي الإنترنت والباحثين وشبكات التعهيد الجماعي. وتعرف الثقافات الآلية بأنها هذا التفاعل القائم بين المستخدم والآلة من حيث كيفية جمع البيانات بشكل روتيني، وكيفية تحليلها، وأخيرًا، توصيات عناوين اليو ار ال URL الناتجة عن ذلك. علاوةً على ذلك، فقد قمنا بتحديد شبكات الويب القومية باستخدام الأجهزة "المحلية" - التي تتمتع بموقع أو لغة كونها قِيمة من شأنها تحويل عناوين اليو ار ال URL ذات الصلة بالإيرانيين أو متحدثي اللغة الفارسية. ومن خلال دراسة مجموعة البيانات، حيث أجرينا تحليل TLD لعينة، وأظهرت النتائج أن غالبية المستضيفات التي تم جمعها من مختلف مواقع الويب الإيرانية كانت مواقع ويب من نطاق com.، وir.، وقد ساعدت هذه النتائج في انتشار مجال دراسات تشخيص النطاق القومي وتقديم طريقة لجمع البيانات لدراسات الويب القومية على نطاقٍ أوسع.

ثانيًا، فإننا نقدم أساسًا منطقيًا سواء بغرض الإضافة إلى أو المساهمة بدراسات تشخيص شبكات الويب القومية، ألا وهو المؤشر على سلامة شبكة الويب القومية. ويمكن تعريفه على أنه سلسلة من المقاييس، المحدودة التي تناولنا الحديث عنها بهذه الدراسة، والتي تتمثل في: الاستجابة السريعة، وعُمر الصفحة، والترشيح أو الحظر. (كما قمنا أيضًا بتحديد اللغة وتحليل نطاق الترميز الأعلى). بالإضافة إلى ذلك، فإن مساهمة هذا العمل بدراسات تشخيص شبكات الويب القومية تعد عملية مزدوجة. تعتبر المساهمة الأولى عملية تصورية، حيث نفترض إعادة استخدام مقاييس تشخيص شبكة الويب القومية كمؤشرات على سلامة شبكات الويب القومية. هل تستجيب مواقع الويب؟ هل

تبدو الصفحات متجددة؟ هل الروابط معطلة؟ هل الرمز صحيح؟ سوف نستعرض تشخيص الدولة. أما المساهمة الثانية، فهي معممة بالنسبة لجميع الدول التي تخضع لرقابة الدولة ومطبقة بدراستنا عن إيران. علاوة على ذلك، فقد قارنا نتائج اختبارات الاستجابة بنتائج اختبارات الترشيح للتحقق من استمرارية استجابة المواقع المحظورة. وقد ساعدتنا هذه الدراسة على العثور على عدد لا بأس به من المدونات المحظورة بالرغم من استجابتها. وأظهرت النتائج أن هناك الكثير للغاية من المواقع المحظورة ومع ذلك، فإنها مستمرة في التدوين كما تشير النتائج أيضًا إلى جمهور المحتوى، سواء من داخل أو خارج إيران. والجدير بالذكر أننا نعتقد بوجود تحايل منتشر عبر شبكة الإنترنت بمكان معين: المدونات المتخصصة باللغة الفارسية بمواقع لايك خور Likekhor أو جوجل ريدر Google Reader التي تعمل كمرشحات جوهرية للمدونات الإيرانية. وبالرغم من الرقابة الشديدة، إلا أن المدونات الإيرانية ظلت فاعلة وفقًا لموقع لايك خور Likekhor. إن تطبيق الرقابة بالرغم من فعالية الموقع يشبه شبكات التعهيد الجماعي التي ينظمها موقع بلاترين Balatarin. ونظرًا لوجود مواقع محظورة بالرغم من فعاليتها، توحي المواقع الموصى بها بشبكة بالاترين Balatarin بنتائج مماثلة بالنسبة للمدونات، بمعنى وجود جمهور فعال بمواقع الويب المحظورة. علاوة على ذلك، قد أظهرت نتائج الأبحاث الجوهرية أن شبكة بالاترين (باعتبارها تضم مجموعة من عناوين اليو ار ال التي تم تقييمها حتى أصبحت بالمنصات الرئيسية) قد أصبحت شبكة صاخبة، ربما بعد إجراء الانتخابات الرئاسية بشهر يونيو لعام 2009 وظهور الحركة الخضراء. فهذه الشبكة لم تمارس الرقابة الذاتية ولم تُجبر قط على الإذعان.

ثالثًا، نود أن نذكر بعض التضمينات الخاصة بدراسات الويب القومية باعتبارها طريقة من طرق تشخيص الدول حيث يؤثر ذلك على السياسات الحالية والمستقبلية فيما يتعلق بشبكة الويب (ودراستها) واستخدام مؤشرات الويب بالنسبة للدراسة الاجتماعية. وكما أشرنا من قبل، فيما يتعلق بدراستنا عن العراق وحالة شبكة الويب بها أثناء حرب العراق عام 2007، فإن دراسة سلامة شبكة الويب القومية تقدم مجموعة إضافية من

المعايير بشأن الحالة الراهنة للجامعات والوزارات والمؤسسات الأخرى. أين مواطن العمل والإهمال؟ وقد تعمل الدراسات عن شبكة الويب القومية أيضًا كمصدر لدراسة مقارنة، وأخيرًا، كباعث على التعامل مع عدم سلامة واحدة أو أكثر من شبكات الويب. وبالتالي، فإنها تعد بمثابة أسلوبٍ لدراسة شبكة الويب التي قد تكون ذات نتائج صحية.

شكر وتقدير

نود أن نتوجه بخالص الشكر إلى البرنامج الإعلامي بإيران بمدرسة أننبيرغ للتواصل Annenberg School for Communication وجامعة بنسلفانيا لدعمهما هذا العمل، كما نتوجه بخالص الشكر والتقدير لمحمود عنايت لاهتمامه الشديد. بالإضافة إلى ذلك، نود أن نشكر خبير الشبكات الإيرانية إبي شريفي Ebby Sharifi الذي التقينا به بورشة مدرسة أننبيرغ للتخطيط الثقافي عبر الإنترنت Annenberg School for the Mapping Online Culture خلال شهر مايو لعام 2011، وكذلك كاميران أشرف Cameran Ashraf وبرونوين روبيرتسون Bronwen Robertson وليفا زاند Leva Zand و نياز زارينباخش Niaz Zarrinbakhsh لمشاركتهم بالمدرسة الصيفية بشأن الطرق الرقمية عام 2011 بجامعة أمستردام.

ملاحظات

1- توجد البيانات الخاصة بهذه الدراسة على الموقع الإلكتروني الخاص بالمشروع، http://mappingiranonline.digitalmethods.net

2- وفقًا للاتحاد الدولي للاتصالات، نجد أن 13٪ من إجمالي سكان إيران يستخدمون الإنترنت بينما يتمتع 21٪ من الأسر الإيرانية بإمكانية الدخول على الإنترنت (2011). بالإضافة إلى ذلك، فقد أظهرت تقارير البحث التسويقي عن مستخدمي الإنترنت أن "عُمر الغالبية العظمى من المستخدمين (صغار السن) يتراوح ما بين 15 إلى 40 عامًا"(نتبينا NetBina 2010:10). أما البيانات الخاصة بالجالية الإيرانية، فهي غير متاحة.

3- تم اختيار شبكة جوجل للبحث نظرًا لانتشارها في إيران بين مستخدمي محركات

البحث. وقد كشفت البيانات الخاصة بأسهم سوق محركات البحث عام 2010 بإيران عن هذه النسب: جوجل Google 90.78٪، وياهو! Yahoo 4.97٪ وبينج Bing 3.64٪ وأسك جيفز Ask Jeeves 0.46٪ وايه أوه إل AOL 0.07٪ (MVF Global، 2010). وقد كشفت نتائج بحث تسويقي آخر بإيران عام 2011 عن هذه النسب: جوجل Google 78.15٪، وياهو! Yahoo 7.27٪ وبينج Bing 4.16٪ وأسك جيفز Ask Jeeves 0.70٪ وايه أوه إل AOL 0.12٪ وليكوس Lycos 0.01٪ (Net Applications، 2011).وفقًا لشبكة أليكسا Alexa، في شهر أكتوبر عام 2011، يعد موقع جوجل (Google.com) أكثر المواقع استخدامًا في إيران، يليه موقع ياهو (yahoo.com). والجدير بالذكر أن تقنية التساؤلات بالموقع لم تسمح بإعادة توجيه موقع جوجل Google ذي النطاق المحلي، نظرًا لعدم إمكانية استرجاع ملفات تعريف الارتباط أو تشخيص النتائج.

4- للمقارنة بين المنصات المختلفة، فقد اخترنا إجراء المقارنة بين المستضيفات بدلاً من عناوين اليو ار ال URL. وبالتالي، فقد جمعنا جميع عناوين اليو ار ال URL بـ 150 صفحة تضم الروابط "الساخنة" مما أدى إلى ظهور 1102 مستضيفًا متميزًا.

5- إن أداة الكشف الذاتي عن اللغة التي استخدمناها بهذا البحث هي أداة AlchemyAPI، التي تسمح للباحث الأكاديمي بإجراء 30000 استفسارٍ يوميًا. للحصول على مزيد من المعلومات بشأن هذه الأداة، يرجى زيارة هذا الرابط: www.alchemyapi.com/api/lang

6- قمنا بفحص النتائج يدويًا حيث استعدنا المواقع باللغة الإنجليزية أو بلغة غير معروفة كما قمنا بتصحيح الأخطاء. ولم نكتشف السبب وراء اعتبار أداة AlchemyAPI للمواقع مزدوجة اللغة بأنها ذات لغةٍ خاصة. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن ننظر بعين الاعتبار إلى استخدام موقع جوجل Google كمستكشف للغة. والجدير بالذكر أن ظهور إشعار "غير معروف" يشير إلى عدم القدرة على استكشاف اللغة سواء باستخدام أداة استكشاف اللغة أو عن طريق الباحث نظرًا لأن الموقع لم يعد متصلاً بالإنترنت في معظم الحالات.

7- بالإضافة إلى ذلك، فقد أظهرت مواقع الويب الإيرانية درجات متنوعة من توزيع اللغة، حيث تضم شبكة أليكسا Alexa أقل عدد للغات (6 لغات) بينما تضم شبكة جوجل أكبر عدد من اللغات (36 لغة).

8- تم سرد التفاصيل الخاصة برموز الحالة على هذا الرابط المخصص بالموسوعة الحرة:
http://en.wikipedia.org/wiki/list_of_HTTP_status_codes

9- توضيح عملية إعادة توجيه عنوان URL بهذا الرابط المخصص بالموسوعة الحرة:
http://en.wikipedia.org/wiki/URL_redirection

المراجع

Abiteboul, S., Cobena, G., Masanes, J., and Sedrati, G. (2002) "A First Experience in Archiving the French Web." Paper presented at the 6th European Conference on Research and Advanced Technology for Digital Libraries, Rome, Italy (September 16-18).

Amir-Ebrahimi, M. (2008) "Blogging from Qom, behind Walls and Veils." *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, 28(2), 235-249.

Anderson, B. (1991) *Imagined Communities*. London: Verso.

Arms, W.Y., Adkins, R., Ammen, C., and Hayes, A. (2001) "Collecting and Preserving the Web: The Minerva Prototype." *RLG DigiNews.* 5(2).

Arvidson, A. and Lettenstr¨om, F. (1998) "The Kulturarw Project - The Swedish Royal Web Archive." *Electronic Library*, 16(2), 105-108.

Baeza-Yates, R., Castillo, C., and Efthimiadis, E.N. (2007) "Characterization of National Web Domains." *ACM Transactions on Internet Technology*, 7(2), art. 9.

Blogpulse (2011) "FAQ:Howdo you Determine Blog Rankings?" http://web.archive.org/web/20110722023858/http://www.blogpulse.com/about.html.

Bruns, A. (2008) *Blogs, Wikipedia,* Second Life, *and Beyond: From Production to Produsage*. New York: Peter Lang.

Deibert, R. and Rohozinski, R. (2010) "Cyber Wars." *Index on Censorship*, 29(1), 79-90.

Deuze, M. (2007) *Media Work*. Cambridge: Polity.

Digital Methods Initiative (2007) “Diagnosing the Condition of Iraq: The Web View.” https://wiki.digitalmethods.net/Dmi/DiagnosingTheConditionOfIraq:TheWebView.

Etling, B., Alexanyan, K., Kelly, J., et al. (2010) "Public Discourse in the Russian Blogosphere: Mapping RuNet Politics and Mobilization." Berkman Center Research Publication No. 2010-11. http://cyber.law.harvard.edu/sites/cyber.law.harvard.edu/files/Public_Discourse_in_the_Russian_Blogosphere_2010.pdf.

Feuz, M., Fuller, M., and Stalder, F. (2011) "Personal Web Searching in the Age of Semantic Capitalism: Diagnosing the Mechanisms of Personalization." *First Monday*, 16(2). http://firstmonday.org/htbin/cgiwrap/bin/ojs/index.php/fm/article/view/3344/2766.

Gerlitz, C. and Helmond, A. (2011) “The Like Economy: The Social Web in Transition.”

Paper presented at the MIT7 Unstable Platforms Conference, Cambridge, MA (May 13-15).

Ginsburg, F., Abu-Lughod, L., and Larkin, B. (2002) "Introduction" in F. Ginsburg, L. Abu-Lughod, and B. Larkin, eds., *Media Worlds: Anthropology on New Terrain*. Berkeley, CA: University of California Press.

Glanz, J. and Markoff, J. (2011) "U.S. Underwrites Internet Detour Around Censors." *New York Times* (June 12). https://www.nytimes.com/2011/06/12/world/12internet.html.

Goldsmith, J. and Wu, T. (2006) *Who Controls the Internet. Illusions of a Borderless World*. Oxford: Oxford University Press.

Google (2011) “Google Transparency Report.” www.google.com/transparencyreport.

Higson, A. (1989) "The Concept of National Cinema." *Screen*, 30(4), 36-47.

Howe, J. (2006) "The Rise of Crowdsourcing," *Wired*, 14(6). www.wired.com/wired/archive/14.06/crowds.html.

International Telecommunication Union (2011) *Measuring the Information Society*. Geneva: International Telecommunication Union.

Kehoe, C., Pitkow, J., Sutton, K., et al. (1999) *GVU’s Tenth World Wide Web User Survey*. Atlanta, GA: Graphics Visualization and Usability Center, College of Computing, Georgia Institute of Technology.

Kelly, J. and Etling, B. (2008) “Mapping Iran’s Online Public: Politics and Culture in the Persian Blogosphere.” Berkman Center Research Publication No. 2008-01. http://cyber.law.harvard.edu/sites/cyber.law.harvard.edu/files/Kelly&Etling_Mapping_Irans_Online_Public_2008.pdf.

Khiabany, G. and Sreberny, A. (2007) "The Politics of/in Blogging in Iran." *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, 27(3), 563-579.

Koerbin, P. (2004) "The Pandora Digital Archiving System (PANDAS) and Managing Web Archiving in Australia: A Case Study." Paper presented at the 4th International Web Archiving Workshop, Bath, UK (September 16).

Lasfargues, F., Oury, C., and Wendland, B. (2008) "Legal Deposit of the French Web: Harvesting Strategies for a National Domain." Paper presented at IWAW'08, Aarhus, Denmark (September 18-19). http://iwaw.europarchive.org/08/IWAW2008-Lasfargues.pdf.

Miller, D. and Slater, D. (2000) *The Internet: An Ethnographic Approach*. Oxford: Berg.

Moulier-Boutang, Y. (2008) "Worker Bee Economy." Paper presented at the Society of the Query Conference, Institute of Network Cultures, Amsterdam, The Netherlands (November 13-14).

Murdoch, S. and Anderson, R. (2008) "Tools and Technology of Internet Filtering" in R. Deibert, J. Palfrey, R. Rohozinski, and Zittrain, Z., eds., *Access Denied: The Practice and Policy of Global Internet Filtering*. Cambridge, MA: MIT Press.

MVF Global (2010) "Online Marketing in the top 50 Internet Economies: Lead Generation and Internet Marketing in Iran." www.mvfglobal.com/iran.

Net Applications (2011) “Search Engine Market Share: Iran, Islamic Republic of.” https://marketshare.hitslink.com/search-engine-market-share.aspx?qprid=4&qpaf=−000%09101%09IR%0D&qptimeframe=Y.

NetBina (2010) “Online Marketing in Iran.” http://new.netbina.com/resources/2/docs/Online_marketing_in_Iran_2010.pdf.

Noman, H. (2008) "Tunisian Journalist Sues Government Agency for Blocking Facebook, Claims Damage for the Use of 404 Error Message Instead of 403." *Open Net Initiative* (September 12). http://opennet.net/node/950.

Open Net Initiative (2009) *Internet Filtering in Iran, 2009*. Toronto, ON: University of Toronto. http://opennet.net/sites/opennet.net/files/ONI_Iran_2009.pdf.

PADI (n.d.) “Legal Deposit.” *Preserving Access to Digital Information*. https://www.nla.gov.au/padi/topics/67.html.

Pariser, E. (2011) *The Filter Bubble*. New York: Penguin. Quenqua, D. (2009) "Blogs Falling in an Empty Forest." *New York Times* (June 5). www.nytimes.com/2009/06/07/fashion/07blogs.html.

Rhoads, C. and Fassihi, F. (2011) "Iran Vows to Unplug Internet." *Wall Street Journal* (May 28). http://online.wsj.com/article/SB10001424052748704889404576277391449002016.html.

Roberts, H., Zuckerman, E., and Palfrey J. (2011) “2011 Circumvention Tool Evaluation.” Berkman Center for Internet&Society.